دَفعُ الشُّبهَات عن الشَيخ محُمَّد الغزالي

تأليف
د. أحمد حجازي السّقا



المكتبة الثقافية
بيروت

دَفعُ الشُّبهَات

عن

الشَيخ محُمَّد الغَزالي

تأليف

[redacted] حجازي السقّا

المكتبة الثقافية
بيروت

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

التقديم لِلكِتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بخير واحسان الى يوم الدين.

وبعد

فان الشيخ الامام محمد الغزالي السقا ـــ رضي الله عنه ـــ قد ألف في الدعوة الى الاسلام كتبا قيمة. وكتب في بعضها : ان كثيرين من أعداء المسلمين في بدء الاسلام[1] قد تظاهروا بأنهم مسلمون، وألفوا كلاماً ونسبوه كذباً الى النبي ﷺ والى أصحابه الكرام. وأن هذا الكلام شوش

(١) يقول الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري رحمه الله في مقدمة المقدمات الخمس والعشرين : « أريد أن أشير اشارة عابرة الى رجال من اليهود، عرفوا في مطاوي التاريخ الاسلامي بما أثاروا على طول التاريخ في البلاد الاسلامية من أحداث يجب استذكارها، لما في ذلك من عبر تدعو الى اليقظة والتبصر. ومن هؤلاء عبدالله بن سبا المعروف بابن السوداء اليماني، كان يتعثر في أذياله في سبيل الركض وراء اثارة فتن بين الصحابة ـــ رضي الله عنهم ـــ متنقلاً بين اليمن والحجاز والبصرة والكوفة ومصر والشام، للدس وتعكير الصفاء بين المسلمين في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما ايام كان المسلمون ما خبروا أساليب الماكرين وطرق فتن الفاتنين، من قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور على ما في صحيح البخاري وغيره. ونتائج تلك الفتن ماثلة أمام كل باحث، مدونة في كتب ثقات المؤرخين من علماء هذه الأمة من أمثال ابن أبي خيثمة وابن جرير وابن عساكر ... الخ ».

على تعاليم الاسلام، وحير المسلمين في فهمه، وأرهقهم في العمل به. وأنه يجب على علماء المسلمين الراسخين في العلم تنقية كتب التفاسير والحديث والفقه والتاريخ من الكلام الذي نسبه أعداء المسلمين الى النبي الكريم وزوجاته وأصحابه، وذلك لأن الكذب على نبي الله ﷺ قد أخر المسلمين، وأضعفهم، وجعلهم أحزاباً وشيعاً.

وقد ضاق ذرعاً بكلامه طلاب يطلبون العلم ممن ينتمون الى مذهب السلف، وألفوا في الرد عليه كتباً. منها كتاب يسمى « كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها، ونقد بعض آرائه » وكتاب يسمى « حوار هادئ مع محمد الغزالي » وقد رأيت الكتاب الأول أولا. وقرأته ووعيت ما فيه بفضل الله تعالى، واستخرت الله تعالى في الرد عليه. وبعد تمام الرد. رأيت الكتاب الثاني ــ وهو شبيه بالأول ــ فقمت بالرد عليه. وأعدت ترتيب الكتاب على النحو التالي :

الفصل الأول : في رد كتاب الكشف.

والثاني : في رد كتاب الحوار.

* * *

القرآن والسنّة وأحكام الاسلام

وأحكام الاسلام يعرفها المسلمون من :

(أ) القرآن.

(ب) والسنة.

وثبت أن القرآن كله موحى به من الله. وثبت أن السنة فيها حق وفيها

باطل. لأن النبي ﷺ لم يأمر بكتابتها، والكتابة فيها كانت من بعده بزمان طويل. وذلك لأن من الرواة رواة تظاهروا بأنهم مسلمون ونسبوا الى النبي ﷺ ما لم يقله.

وقد قسم علماء السنة : السنة الى آحاد. أي الراوي واحد عن واحد عن واحد. والى متواتر. أي الرواة جماعة عن جماعة. واختلف علماء المسلمين في الاحتجاج بالسنة المروية عن واحد عن واحد عن واحد في مسائل العقيدة. هل يحتج بها أم لا ؟ فمنهم من أجاز، ومنهم من لم يجز.

وفي بدء الاسلام ظهرت مذاهب عقائدية مبنية على القرآن وحده. مثل مذهب الخوارج والمعتزلة. والمذاهب العقائدية المبنية على القرآن والسنة ظهرت بعد عصر « المأمون » ــ رضي الله عنه ــ.

والسنة عند المسلمين موثقة عن طريقين : طريق الامام الكليني وأتباعه. وطريق الامام البخاري واتباعه. والمذاهب العقائدية المبنية على القرآن والسنة التي وردت في الكتب عن طريق الامام البخاري وأتباعه هي : مذهب الحنابلة والأشاعرة والماتريدية. وكل مذهب يعتقد أصحابه أنه هو المذهب الصحيح.

وقد انتشر المذهب الأشعري في مصر، في أيام الأيوبيين وهو يدرس في الأزهر الى هذا اليوم. وانتشر المذهب الماتريدي فيما وراء النهر، وفي تركيا. وله أتباع كثيرون الى هذا اليوم. وانتشر المذهب الحنبلي في المملكة العربية السعودية. وما يزال فيها. والمذاهب الثلاثة هذه هي المذاهب الكثيرة الاتباع لأهل السنة أي المذاهب الآخذة بالحديث النبوي الوارد عن طريق البخاري مع القرآن الكريم في الاستدلال. والأشاعرة يسمون مذهبهم بمذهب أهل السنة والجماعة، والماتريدية يسمون مذهبهم بمذهب أهل السنة والجماعة، والحنابلة يسمون مذهبهم بمذهب أهل السنة والجماعة. وأتباع كل مذهب يقولون : نحن على نهج السلف

الصالح. وخصومنا ليسوا على نهج السلف ــ أي ليسوا على نهج النبي ﷺ وأصحابه الكرام ــ

والحنابلة يطعنون في الأشاعرة ويقولون : انهم ليسوا على شيء. ويقولون للأشاعرة : نحن السلف وأنتم الخلف وطريقتنا أسلم. والأشاعرة يطعنون في الحنابلة ويقولون إنهم ليسوا على شيء. ويقولون للحنابلة : أنتم تجسمون الله عز وجل وتحددون جهته، والماتريدية يعظمون الأشعري رضي الله عنه وينتقدونه في مسائل.

وقد طعن الخوارج والمعتزلة في المذاهب الثلاثة الآخذة بطريق البخاري وشيعته وفي المذهب الآخذ بطريق الكليني بأنها مذاهب خارجة على الحق المنصوص عليه في القرآن الكريم. وقالوا : انها خارجة لأنها قبلت في دين الله أحاديث مروية عن طريق واحد عن واحد عن واحد. والله تعالى منع شهادة الواحد في شؤون الدنيا بقوله تعالى : ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رجالكم** ﴾ فالمنع منها في شؤون الدين أولى. وخاصة : أنه قد ثبت من الأحاديث : ان الزنادقة وأهل الأهواء والبدع ونفرا من أهل الكتاب قد كذبوا على النبي ﷺ وعلى أصحابه الكرام.

ولم يطعن فيها الخوارج والمعتزلة وحدهم، فقد هون من شأنها أئمة في العلم من المسلمين السنيين والشيعة. وقالوا : انها لا تفيد العلم في أصول الدين. ومنهم شيخ الاسلام أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ.

فقد قال في كتابه « المستصفى » عن حديث الآحاد : « ولا يظن بمعتوه تجويزه، مع انتفاء القرائن أما اذا اجتمعت قرائن فلا يبعد أن تبلغ القرائن مبلغاً لا يبقى بينها وبين اثارة العلم الا قرينة واحدة. تقوم أخبار الواحد مقام تلك القرينة وهذا مما لا تعرف استحالته. ولا يقطع بوقوعه، فان

وقوعه إنما يعلم بالتجربة ونحن لم نجربه ولكن قد جربنا كثيراً مما اعتقدناه جزماً بقول الواحد مع قرائن أحواله، ثم انكشف أنه كان تلبيساً »[1] أ هـ.

والشريف الرضي ـــ رضي الله عنه ـــ يقول : « خبر الواحد غير جائز قبوله. لأن كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط فيما يخبر به، ويصح كونه كاذباً في نقله، ولا يجوز أن نقطع في ديننا على الشيء من وجه يجوز الغلط فيه، لانا لا نأمن بالاقدام على اعتقاده من أن يكون جهلاً ولا نأمن من أن يكون إخبارنا عنه كذباً. وإنما نعمل بأخبار الآحاد في فروع الدين »[2].

ومثل هذا الكلام يهد مذهب الحنابة هدًّا ويهدمه هدماً. فإن الحنابلة قد تسموا بالسلف. وعملوا مذهباً في العقائد الاسلامية على القرآن الكريم وعلى أحاديث الآحاد وقالوا : نحن الذين على الحق من بين المسلمين. وغيرنا ضال أو مبتدع. وقد خرج عليهم منهم من علا عنهم في العلم درجات، وبين لهم الخطأ في المذهب. مثل الامام ابن الجوزي ـــ رضي الله عنه ـــ في كتابه « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ».

ومن أصول مذهبهم : أن الله تعالى ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا وينادي. ويفسرون النزول والنداء بنزول من أعلى الى أسفل وكلام لمن يسمع. ثم يموهون على العوام بقولهم :

ولكن لا على طريق التشبيه بالذين خلقهم الله. وقد رد عليهم الامام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه في « الاقتصاد في الاعتقاد » بأن الناس يصلون الفجر ولا يسمعون نداء بصوت وحرف. فنزوله هو نزول رحمته وكلامه هو حكاية حال عن قبوله توبة التائبين.

---

(١) المستصفى ص ٨٨ ج ١.

(٢) المجازات النبوية ص ٤٦.

وفي زماننا هذا. قام الداعية الاسلامي الكبير صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام محمد الغزالي السقا رضي الله عنه، بما قام به من قبل الامام الغزالي أبو حامد رضي الله عنه وغيره من الأئمة وقال :

١ ــ الأحاديث كلها فيها حق وباطل.

٢ ــ وأحاديث الآحاد لوجود الضعف فيها لا ينبغي التعصب لها ولا الاستدلال بها كلها في العقائد.

٣ ــ المذهب السلفي فيه حق وباطل.

ومن الباطل الواضح فيه : قولهم بأن الله تعالى في السماء بذاته، وأن صفاته الايجابية وهي القدرة والارادة ... الخ. هي صفات زائدة على ذاته، وأن الله له يد وله رجل بلا تمثيل. وأن العمل ليس جزءاً من الدين، وإنما هو شرط كمال، وأن الانسان مجبر على أفعاله وهو في بطن أمه، وأنه ليس في القرآن الكريم ولا في اللغة العربية مجاز. ومن أخطائه : تصحيح السلفيين لأحاديث الآحاد التي تطعن في صحة القرآن، وفي عصمة الله للنبي، وفي شرف أمهات المؤمنين.

وأمثل لذلك بهذا المثال :

قال لي واحد من أهل السلف في « الرس » يدرس العلم في النهار في المعهد العلمي ويبيع في الليل كتباً : ان الشيخ محمد الغزالي يبيح لحم الكلب ولا يحرمه. فقلت له : أخطأ أم أصاب ؟ فقال : أخطأ. فقلت له : ما وجه خطئه ؟ قال : اذن أنت تبيح لحم الكلب مثله. فقلت له : لا تفرع الكلام والتزم بالسؤال والجواب. ما وجه خطئه ؟ أجب. فسكت. فقلت له : اسمع مني بالنيابة عنه : ليس في القرآن نص على تحريم لحم الكلب. والمسكوت عنه في القرآن مباح لمن يستسيغه. وذلك لأن الأصل في الأشياء الاباحة. وحديث « حرم رسول الله كل ذي ناب من

السباع وذي مخلب من الطيور » الذي قد يفهم تحريم الكلب منه هو حديث غير متفق عليه. فقد ردته عائشة رضي الله عنها ورده الامام مالك وبعض السلف. فكيف تحرم شيئاً بدليل مختلف فيه ؟ هذا في تفسير « ابن كثير » وغيره. اقرأ. ففتح التفسير وقرأ. وسكت. ثم قلت له : واسمع كلام الشيخ محمد الغزالي على وجهه. وهو أنه يقول : اذا ذهبت الى بلد يأكل أهلها لحوم الكلاب، ودعوتهم الى الاسلام وقبلوه فبين لهم أن ما تعودوا عليه ليس محرماً بدليل قاطع، لئلا ينفر محب له عن الاسلام ــ كما حرمت الخمر على التدريج، على رأي ــ واذا ذهبت الى بلد لا تستسيغ أكله، فلا تحثهم على أكله.

وغرضه من هذا الكلام : أن يتعصب الدعاة للشيء الثابت بالقرآن وحده، وأن لا يتعصبوا للشيء الثابت بالسنة وحدها. اذ لا يسَوِّي العاقل بين دليل السنة ودليل القرآن. وهو قد اقتبس رأيه في عدم المساواة من « الميزان » للشعراني في باب صدقة الفطر. أفهمت ؟

ثم قلبت النظر في كتب يبيعها ــ وكان ذلك بعد فراغي من نقد كتاب « كشف موقف الغزالي من السنة » ــ فرأيت فيها كتاباً اسمه « حوار هادئ مع الشيخ الغزالي ». وكتاباً اسمه « أخبار الآحاد في الحديث النبوي » للشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن جبرين ــ رضي الله عنه ــ عضو هيئة كبار العلماء في « الرياض » أما كتاب حوار هادئ فأكثر ما فيه هو في كتاب « كشف موقف الغزالي من السنة » وأما كتاب الشيخ ابن جبرين ــ رضي الله عنه ــ فانه كتاب جيد. لو قرأه سلفي فطن لقال بما يقول به الامام الشيخ محمد الغزالي ــ رضي الله عنه ــ.

فقد أورد شبه من رد أخبار الآحاد من كتاب الاحكام لابن حزم ١ /١٠٧ والاحكام للآمدي ٢ /٣٢ والمستصفى للغزالي ١ /٨٨ وقال : « وقد تصرفت فيها وعبرت عن معانيها بصيغة أوضح لبيان المراد ».

وهذه الشبه هي :

١ ـــ ان الطبيعة البشرية تقتضي السهو والنسيان من كل انسان، وانه يوجد كثيراً تعمد الكذب لمصلحة يعتقدها الكاذب أو لغيرها. وكل ذلك يقتضي التوقف في خبر الواحد.

٢ ـــ اننا نشاهد اختلاف المحدثين في الحديث الواحد. ما بين مصحح له ومضعف وطاعن في روايته وذابٍّ عنه، ونحو ذلك مما يسبب عدم اليقين بما قالوه، والتوقف في رواياتهم مخافة الخطأ. فقد روى البخاري ومسلم أحاديث حكما بصحتها، ثم تعقبهما بعض العلماء كالدارقطني وذكروا فيها مطاعن. وكذا الترمذي كثيراً ما يصحح أحاديث في جامعه ولا تكون صحيحة. وهكذا ما اشتهر عن الحاكم في مستدركه. ولو كانت أمارات الصحة ظاهرة مفيدة للعلم، لما وقع فيها هذا الاختلاف الكثير.

٣ ـــ انما يجب حسن الظن بالراوي من غير جزم، لأن الله يقول : ﴿ **ان بعض الظن اثم** ﴾[(١)] ولم يقل كل الظن.

٤ ـــ لو علم الله صدق خبر الواحد لم يخلنا من دليل على ذلك.

٥ ـــ اننا لا نصدق كل خبر نسمعه، فلو كان خبر الواحد يفيد العلم لصدقنا كل ما سمعناه وحصل به العلم، كما يحصل بكل متواتر، ولم يلزم اشتراط اسلام الرواة وعدالتهم في قبول الآحاد، كما لا يلزم ذلك في المتواتر.

٦ ـــ لو أفاد خبر الواحد العلم، لما تعارض خبران. ونحن نرى الكثير من الأخبار تتعارض.

٧ ـــ لو حصل العلم بخبر الواحد، لما احتيج في الأحكام الى تعدد

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٢.

الشهود، ولا الى يمين المدعي معَ الشاهد ـــ على رأي ـــ فعدم جواز الحكم بشهادة.

٨ ـــ لو أفاد خبر الواحد العلم، لجاز نسخ القرآن ومتواتر السنة به، لكونه بمنزلتهما فلما لم يجز ذلك دل على عدم افادته العلم.

٩ ـــ لو حصل العلم بخبر الواحد مجرداً، لم يحتج من ادعى النبوة الى تأييد خبره بالمعجزات التي يعلم بها صحة ما ادعاه، فإن العلم يحصل بمجرد خبره، فلا يحتاج الى زيادة مقويات، لأنه تحصيل للحاصل.

١٠ ـــ اننا نشاهد تزايد العلم في القلب، كلما تكرر من المخبرين. ولو حصل العلم لأول مرة لما وقع هذا التزايد المحسوس، لأن العلم شيء واحد، لا يقبل الزيادة ولا النقصان.

١١ ـــ ان الاجماع منعقد على عدم تكفير مخالف خبر الواحد وتفسيقه. وما ذاك الا لأنه لا يفيد العلم. فليس كالمتواتر الذي يكفر ويبدع من رده بدون تأويل.

هذا كلام الشيخ ابن جبرين رضي الله عنه بنصه وهو أستاذ قدير وعالم جليل. وقد ذكرته لا لأنه يعتقده أو لا يعتقده، بل لأبين به : أن رأي الشيخ محمد الغزالي السقا هو رأي لأئمة سابقين عليه. أي إنه لم يبتدع ولم يخرج على ما قرره من قبله من الأئمة.

* * *

وأما ان كتابة الأحاديث لم تكن في عصر النبي ﷺ. فقد قال الامام الحافظ ابن حجر في أول مقدمة فتح الباري ما نصه: « اعلم : أن آثار النبي ﷺ لم تكن في عصر الصحابة وكبار التابعين مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين : أحدهما : أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك، كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك في القرآن. وثانيهما : سعة حفظهم وسيلان أذهانهم، لأن أكثرهم كانوا لا يعرفون

الكتابة. ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار، لما انتشر العلماء في الأمصار وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار، واتسع الخرق على الراقع، وكاد أن يلتبس الباطل بالحق ... الخ ».

وقال الحافظ الذهبي في حوادث عام ١٤٣ : « وفي هذا العصر شرع علماء الاسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير ».

وفي القسطلاني ج ١ ص ٦٢ ــ ٦٣ قال النسائي : « الكذابون المعروفون بوضع الأحاديث أربعة : ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بخراسان، ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام. وروى العقيلي : أن الزنادقة وضعوا أربعة عشر ألف حديث. ومنهم عبد الكريم ابن أبي العرجاء فقد قال عنه ابن عدي أنه قال : « وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أحرم فيها الحلال، وأحلل الحرام ».

والشيخ محمد الغزالي السقا رضي الله عنه ليس له في الدين آراء مخالفة للحق. بل ليس له رأي انفرد فيه عن غيره من الأئمة الثقاة. ويتبين مذهبه من هذا المثال : وهو لو اغتصب « زيد » من « عمرو » ألف دينار ذهبا. ولم يستطع زيد استرداد المال مدة سنوات هي خمس سنوات مثلاً. ثم استرده بعد السنوات الخمس. فهل يخرج زيد الزكاة عن هذا المال المغصوب عن السنوات الخمس الماضية ؟

قيل : يخرج. وقيل : لا يخرج. ففي المسألة رأيان كما نرى. وطريقة الامام محمد الغزالي هي :

إما أنه يذكر السؤال ويجيب بأحد الرأيين ويقيم عليه الأدلة. وإما أن يذكر الرأيين معاً ويقوي أحدهما على الآخر. هذه طريقته.

والسلفيون في خصومتهم معه. قد خرجوا على أصول الفتيا. وقالوا : لماذا اختار هذا، ولم يختر ذاك ؟ ولو أنه قد اختار ذاك. لقالوا : ولماذا

اختار ذاك، ولم يختر هذا ؟

أنا اخترت ما اخترت. وأنتم بالخيار. ها أن صاحب كتاب السماع يروي أن الامام مالك بن أنس رضي الله عنه كان بيده دف مربع. ويحكي حجج مجيزي الغناء وحجج كارهيه. فهب أني وأنت نظرنا في طبق فيه ثمرتان من ثمار الفواكه. فاشتهيت أنت واحدة، واشتهيت أنا الأخرى. فأخذت أنت التي أنا تركتها، وأخذت أنا التي قد تركتها. فهل في هذا لوم ؟

وهب أننا قرأنا معاً نصاً من كتاب واحد. وفهمته أنت بفهم غير فهمي له. فهل اختلاف الفهم يوجب الغاء النص أو يوجب الخصومة ؟

لقد فهم كثيرون من كلام لـ « أرسطو طاليس » أنه يقول بقدم العالم وللشيخ ابن تيمية عبارات تدل على قدم العالم فإنه يقول : ان الله والعالم كالخاتم في الاصبع، لا يتصور تحرك أحدهما منفصلاً عن الآخر. والقول بقدم العالم يبطل معجزات الأنبياء. لأنها تدل على ارادة الله تعالى. أما أنا فإن تابعت في الرأي من فهم أن كلام « أرسطو » لا يدل على قدم العالم فهل للاختلاف في الفهم نحرق كتب أرسطو من العالم أجمع ؟

وقال الشيخ ابن تيمية : ان شعيبا عليه السلام كان كافراً قبل النبوة — وابن تيمية يقولون إنه سلفي — ويقول غيره : لم يكن كافراً قبل النبوة. وقال ابن تيمية في مقدمة كتابه أصول التفسير : ان النبي ﷺ قد فسر القرآن كله وبينه. وبعد كلام يسير قال في نفس الكتاب : ان النبي لم يفسر القرآن كله ولم يبينه كله. وقال ابن تيمية : ان نعيم الجنة لا يدوم وعذاب النار لا يدوم. وأهل الحديث يقولون بالدوام المطلق. فهل لهذه المسائل الخلافية يقتل المسلمون بعضهم بعضاً ؟

ولو أنني قلت لانسان : أسلفني ستمائة دينار. فسكت. فقلت له : اشترِ جاريتي هذه بثمانمائة دينار نسيئة واكتب صكاً بذلك. ففعل وكتب

ثم قلت له في نفس المجلس : هات ستمائة دينار نقداً. وخذ هذه الجارية. ففعل على شرط أن أرد له في ما بعد الثمانمائة دينار. هذا يجوزه السلفيون الكرام[1]، مع قول كثيرين منهم : ان الحديث ضعيف.

فلماذا لا يلام هؤلاء. ويلام الشيخ محمد الغزالي رضي الله عنه ؟ لقد لاموه في رفضه صحة الحديث الذي يبين : أن مارية القبطية أم المؤمنين رضي الله عنها. قد أحبها رجل. وكان يختلف اليها اذا بعد النبي ﷺ عنها في غزوة أو صلاة أو لقاء وفد. وما أشبه ذلك. ولما ساءت سيرتها مع هذا الرجل. وعلم النبي ﷺ بما كان منهما. أمر الامام علي بن أبي طالب بقتله. فذهب اليه في بيته. فوجده قد حفر حفرة في بيته وملأها بالماء ونزل فيها للتبرد. فقال له : اصعد. فقال له : مد يدك وانتشلني من الماء. فمد يده وأخرج الرجل فاذا هو مقطوع آلة الجماع. فتعجب الامام علي رضي الله عنه وتركه وذهب الى النبي ﷺ وقال له : ان الرجل مجبوب الذكر ولذلك لم أقتله.

هذا الحديث رواه مسلم وأحمد[2]. واجتهد ابن قيم الجوزية في تصحيحه ــ وابن قيم من علماء السلف ــ واجتهد مؤلف حوار هادئ في تصحيحه، وعاب على الشيخ محمد الغزالي رده لهذا الحديث.

فيا أيها المسلم. احكم وانصف. هل تصح رواية هذا الكلام عن بيت النبوة ؟ وهل يجوز للنبي أن يقتل انساناً بالشبهة ؟ ومثل هذه الواقعة تحتاج الى أربعة شهود. وهل يجوز للنبي أن يحكم بلا شهود ؟ وهل يجوز لعلي ــ رضي الله عنه ــ دخول البيوت بلا استئذان ؟

يا أيها المسلم. احكم وانصف. فأنا سأعرض عليك المسألة بما لها

---

(١) راجع استدراك عائشة على الصحابة للسيوطي.

(٢) الحديث رواه مسلم وذلك برقم ٢٧٧١ واحمد ٣ /٢٨١ وغيرهما من أئمة الحديث وقد حكاه مؤلف حوار هادئ في صفحة ٩٦ وقال : ان الحديث صحيح لا مطعن فيه.

وبما عليها. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

* * *

وقد وجبت علي نصرته من قول الله تعالى :

﴿ واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة. ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم إصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ﴾(١).

وقال الله تعالى : **﴿ واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون ﴾**(٢).

والذي حثني على الدفاع والرد : هو أن كثيرين من أهل المملكة العربية السعودية تحدثوا الي في سيرة الشيخ محمد الغزالي وجهاده في الدعوة وردوده على المخالفين، وحسن سمعته وقوة ذكائه، وبراعة أسلوبه في الكتابة والخطابة. ثم قالوا : ولولا ما كتبه عن أهل الحديث لكان يستحق لقب « امام المسلمين » فلا مثل له الآن ولا نظير.

* * *

وفي ليلة من الليالي اشتد الجدال فيها بيني وبين جماعة من أهل العلم، تذكرت حواراً، كان قد جرى بيني وبين شيخ جليل، في حضرة مشايخ من السنيين في مدينة « المنصورة » سنة ألف وتسعمائة وسبعين من الميلاد.

ملخصه : أنني قلت له لقد قرأت « أضواء على السنة المحمدية »

---

(١) سورة آل عمران الآية ٨١

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٧.

للشيخ محمود أبو رية رحمة الله تعالى عليه ـــ وهو كتاب يطعن في البخاري ومسلم، ويهز الثقة في كتب الأحاديث كلها، بحجج قوية جداً، لا يستطيع أي عالم أن يضعفها، لينقض قوله. ولو اقتنع المسلمون السنيون برأيه، لاكتفوا بالقرآن وحده في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم، ونبذوا كتب السنة. وهذا هو هدفه من الكتاب.

وقد عقب بعض الحاضرين على كلامي هذا بقوله : لا ينبغي أن يسمى هذا الكتاب كتاب أضواء بل كتاب ظلمات. كيف يطعن في سنة رسول الله. رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى ؟

وقال آخر : واذا نبذ المسلمون السنة. لوجود التعارض بين الأحاديث في المعنى وبين بعضها وبين القرآن. فربما يأتي عالم بعد ذلك ويجمع الآيات القرآنية الموهمة للتعارض[1] والتناقض. ثم يلزم المسلمين بنبذه. فيضيع القرآن بعد ضياع السنة.

وقال واحد من آخر المجلس : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ».

وقال آخر : اذا أعطيتكم كتاباً الآن. وقرأتموه بإمعان وتدقيق. ورأيتم فيه حقاً وباطلاً. فهل يكون هذا الكتاب من مؤلف واحد ؟ انه اذا كان فيه ـــ مثلاً ـــ ان الصدق حسن، وأن الكذب قبيح. وفيه بعد قليل : ان الصدق قبيح والكذب حسن. فإما أن يكون المؤلف مختل العقل. وإما أن

---

(١) مثال موهم التعارض : ﴿ **فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة** ﴾ فهذه الآية تدل على أن العدل بين الزوجات ممكن. وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أنه غير ممكن. وهو قوله تعالى : ﴿ **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم** ﴾ والتوفيق هكذا : أن العدل بينهن الذي ذكر الله أنه ممكن هو العدل في توفية الحقوق الشرعية، والعدل الذي ذكر الله أنه غير ممكن : هو المساواة في المحبة والميل الطبيعي.

غير المؤلف قد أضاف اليه ما لم يقل به. وكتاب مثل هذا هل يكون كتاباً معظماً ؟

ورد عليه واحد من الحاضرين بقوله : تعني أن « محمود أبو رية » على حق في رفضه للأحاديث ؟ فأجاب بقوله : أنا لا أعنيه ولا أعني غيره. وإنما أطرح سؤالا للمناقشة. هل اذا كتب انسان على نفسه صكاً لآخر بمئة دينار ذهباً، ثم ان الذي له الحق أخذ الصك وكشط فيه كلمة أو حرفاً، لغرض أو لا لغرض. ثم ذهب به الى القاضي. فهل يعتبر الصك أمام القاضي صكاً موثقاً صالحاً لأن يحكم بموجبه ؟

فرد عليه بقوله : أنت تنكر الأحاديث. أنت من الخوارج. أنت من المعتزلة. وهنا صار صياح، ونزاع وشقاق. ولولا أنهم ضيوف في منزل هذا الشيخ الجليل، لكان بينهم من الشر ما يفوق الوصف.

وبعدما هدأوا قال الشيخ : اسمعوني ــ يسمع الله لكم ــ قضية الأحاديث النبوية من القضايا المعقدة، التي لا يستطيع أحد حلها. كالعقدة الصعبة في الحبل الرفيع، ان أردت فكها لا تقدر، وان أردت قطع الحبل بسببها، يصعب عليك قطعه. اتركوها. لا تقولوا نتركها ولا تقولوا نأخذ بها. واسكتوا. الشافعي منكم يكون على مذهبه وأئمة المذهب هم الذين سيحاسبون عنه يوم القيامة. والحنفي منكم يكون على مذهبه. والحنبلي والمالكي. التزموا بالمذاهب كما التزم السابقون. ودعوا الملك للمالك. أليست لكم أولاد تريدون أن يأكلوا خبزاً ؟ ما لكم وللأحاديث ؟ اسكتوا.

وبعدما انصرف الجميع، وبقيت في خدمته. قال لي : بعض هؤلاء يعلمون أن نفرا من اليهود قد تظاهروا بالاسلام ودسوا في الأحاديث الصحيحة، أحاديث كاذبة وخلطوا الحق بالباطل. ولم يصرحوا الليلة بما يعلمون، لخوف بعضهم من بعض. لا لخوفهم من الله. وستجدهم في

الغد على منابر المساجد يخطبون في الناس بالاسرائيليات التي وضعها اليهود في كتب التفسير وفي كتب الحديث ليستميلوا اليهم قلوب العوام.

فاذا فاجأهم مُصَلٍّ ذكي بأن هذا لا يعقل، أجابوه بأن الله على كل شيء قدير، أو يتهمونه بأنه من أعداء الأحاديث.

سمعت مرة خطيباً شرح للناس على المنبر دخول النبي ﷺ على زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها، وهي في عصمة رجل هو زيد بن حارثة رضي الله عنه والناس منهم من يصدق ومنهم من يعجب. وبعد الصلاة أرشدته أن مثل هذه الاسرائيليات لا تقال. فقال لي : هل أنا أحسن من المفسرين الذين ذكروها[1] قلت له : واذ لا بد، فاذكرها وانقدها. فقال لي : هل أنا من أعداء السنن ؟ وتركني وانصرف.

وسمعت خطيباً يقول : ان الأولياء أحياء في قبورهم بأجسادهم وأرواحهم، يرون من يزورهم، ويقضون الحوائج، ويمنعون البلاء. ويسهلون للناس أمورهم. ولهم ما يشاؤون ــ وهم أموات ــ عند ربهم. وأن ابراهيم الدسوقي أحضر صبية من فم التمساح وسلمها الى أهلها. فقلت له : يا شيخ انتهى زمان هذا الكلام. فأجابني ببرود : ستظل العوام في الدنيا الى يوم القيامة.

وبعدما حكى لي رواية أخرى عن خطباء المساجد. قلت له : وما

---

(١) قال مقاتل : زوج النبي ﷺ زينب بنت جحش من زيد، فمكثت عنده حينا، ثم أنه عليه السلام أتى زيدا يوما يطلبه، فأبصر زينب قائمة وكانت بيضاء جسيمة، من أتم نساء قريش، فهويها وقال : سبحان الله مقلب القلوب. فسمعت زينت التسبيحة، فذكرتها لزيد، ففطن زيد فقال : يا رسول الله ائذن لي في طلاقها. فان فيها كبراً، تعظم علي وتؤذيني بلسانها فقال عليه السلام : (أمسك عليك زوجك، واتق الله) وقيل : ان الله بعث ريحا فرفعت الستر وزينب متفضلة في منزلها، فرأى زينب فوقعت في نفسه ووقع في نفس زينب : أنها وقعت في نفس النبي ﷺ وذلك لما جاء يطلب زيدا. فجاء زيد فاختبرته بذلك فوقع في نفس زيد ان يطلقها ... الخ [تفسير القرطبي].

رأيك في الأحاديث ؟ قال : لا تشغل نفسك بها. خذ منها الصحيح ودع الموضوع منها. ولا تؤلف فيها بنقد ولا بتقوية. ذلك لأن غرض الذين دسوا فيها الأحاديث الموضوعة هو أن نبهاء المسلمين يتشاغلون بها. هذا يقوي وهذا يضعف. وهذا يقبل وهذا يرفض. وأثناء تشاغلهم يتركون العلوم التي تعود على المسلمين بالخير. فيضعف المسلمون ويقوى أعداؤهم.

فقلت له : هذا سبب ضعيف. اذ من الممكن أن يتعلم المرء الأحاديث في عام أو عامين، ثم ينصرف الى حرفة يتعلمها ليكسب بها عيشه. فقال : هذا غير ممكن، لأن الأحاديث غير القرآن. ان من ابنائنا في « مصر » كلها الى سن الثانية عشرة من يحفظ القرآن غيباً. ثم ينصرف الى تعلم الحرف، أو الى طلب العلم. واذا شغل نفسه بالأحاديث. فكتب الأحاديث كثيرة وكتب الجرح والتعديل كثيرة، وكتب الموضوعات كثيرة. والمستدرك على الأحاديث كثير. ويلزم لدارس الأحاديث دراسة علم أصول الفقه، والفقه أيضاً. والتفسير. ثم إن التفاسير كثيرة. ويلزم لمعرفتها معرفة علوم القرآن ومعرفة النحو والصرف والبلاغة. ومع هذا يفنى العمر ويموت العالم وفي نفسه شيء كان يريد معرفته، ولم يسعفه الوقت.

فدس اليهود الباطل من القول في الأحاديث الصحيحة، غرضهم منه : قتل الوقت بلا فائدة. واذ هممت أن أنصرف، قلت له : ألا يجوز أن يكون مؤلف أضواء على السنة المحمدية من اليهود المتظاهرين بالاسلام ليكيدوا للمسلمين بنقد الاحاديث ؟ قال : هذا مستبعد. فان اليهود يكتبون في كتبهم : أن المسلمين لهم قدم صدق في المحافظة على السنة، ويثنون عليهم أنهم كتبوا في الجرح والتعديل، وذلك ليغتر المسلمون ويزدادوا تمسكاً بالسنة. واذ يجتمعون على العمل بالشريعة، لا يقدرون. لأن في الأحاديث أحاديث متعارضة، وأيضاً فيها ما يعارض

القرآن في المعنى. فإن أخذوا بالقرآن فقط، ثار عليهم العوام، وإن أخذوا بالقرآن والسنة. يلزم أن يتركوا بعض السنة وهي المعارضة للقرآن. وعندئذ يثور العوام وأنصاف المتعلمين وذوي الأغراض الدنيوية الرخيصة. وإن تحاشوا الثورة، يلزمهم تعطيل الشريعة ـــ وهذا هو هدف اليهود ـــ وإن عطلوا الشريعة. فانهم اذ يعطلوها لا يكونون مسلمين ويستحقون عقاب الله وغضبه.

* * *

هذا ما أتذكره اليوم. وليس هو كل الذي جرى في المجلس. وربما تكون الذاكرة قد نسيت كثيراً، وقد رويته بالمعنى. وربما فهمت من لفظ أحدهم غير ما يريده هو من اللفظ. وقلت في نفسي : قضية الأحاديث كما قال هذا الشيخ قد كفانا الحديث فيها ما كتب فيها من الكتب والحق واضح والباطل واضح. ومن يرد الحق يوفقه الله الى معرفته ويثلج صدره به، ومن يرد الباطل، يوفقه الله الى معرفته، ثم يضله بعدما يعرفه الحق ذلك لقوله تعالى : ﴿ **وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون** ﴾[1] وكتب الحق وكتب الباطل مطروحة في الطريق لمن يريد أن يعرفها أما أنا فلا أدخل في قضية، لست في مكاني قادراً على الحديث فيها.

وفي هذا العام قرأت في جريدة « المسلمون » نقداً للشيخ محمد الغزالي ـــ رضي الله عنه ـــ لرفضه بعض الأحاديث الصحيحة في نظر الناقد ودخلت مكتبة فوجدت فيها كتاباً يصحح قصة الغرانيق ومدح النبي ﷺ لأصنام قريش. وأنا أعلم أن الشيخ محمد الغزالي السقا رضي الله عنه كان قد نقدها ونفاها. ورد ما في تفسير القرطبي وهو :

روي الليث عن يونس عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن

(١) سورة التوبة الآية ١١٥.

الحارث بن هشام قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **والنجم اذا هوى** ﴾ فلما بلغ ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى** ﴾[1] سها. فقال : ان شفاعتهن ترتجى. فلقيه المشركون والذين في قلوبهم مرض. فسلموا عليه وفرحوا به. فقال : « ان ذلك من الشيطان » وزاد قتادة : وانهن لهن الغرانيق العلى.

ودخلت مكتبة فوجدت كتاباً عنوانه « كشف مواقف الغزالي من السنة وأهلها ونقد بعض آرائه » لرئيس شعبة السنة ـــ بالجامعة الاسلامية ـــ نشر مكتبة ابن القيم ومكتبة المدينة المنورة بالسعودية سنة ١٤١٠ هـ ـــ ١٩٨٩ م وما كنت أتصور أن يتطاول مسلم بسب وشتم على الشيخ محمد الغزالي ـــ رضي الله عنه ـــ لجهاده في الدعوة بالتي هي أحسن. حتى قرأت هذا الكتاب فصدقت عيني، ما لم أكن أتصوره.

ومما قاله مؤلف هذا الكتاب عن الشيخ محمد الغزالي ـــ رضي الله عنه ـــ ما نصه :

١ ـــ « ويؤسفنا أن الشيخ محمد الغزالي قد حشر نفسه ـــ في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها السنة وأهلها ـــ في خصوم السنة، بل صار حامل لواء الحرب عليها، وأصبحت كتبه وأقواله تمثل مدرسة ينهل منها كل حاقد على الاسلام والسنة النبوية المطهرة. ان « الغزالي » في كثير من كتبه وتصريحاته يتململ من السنة. ولا سيما أخبار الاحاد ـــ على حد زعمه ـــ تململ السليم. ولقد ضمن مؤلفاته الأخيرة حملات شعواء وقذائف خطيرة على كثير من أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة، وحملات شديدة على من يريد التمسك بها.

ولا ينكر أن له كتابات ينصر بها الاسلام ويدافع عنه، لكنه يهدم ما بناه بهذه الحملات على السنة. اذ لا اسلام بلا سنة، فاذا زلزل بنيان السنة

(١) سورة النجم الآيات ١ ـــ ٢٠.

وطورد سكانه، بمثل قذائف « الغزالي » تحول بنيانها الى خراب والى بلاقع ويباب.

لا أدري هل يدرك « الغزالي » نتائج هذه التصرفات أو لا ؟ وكذلك هل يدرك مؤيدوه ومروجو أفكاره هذه النتائج ؟ ولعل سائلاً يسأل عن السبب الذي دفع « الغزالي » الى هذه المواقف من السنة ومن أهلها ؟ فأعتقد : أن مرد ذلك الى قصور ادراكه لمعانيها، فيخيل له هذا القصور في كثير من الأحاديث أنها تعارض القرآن أو تصادم العقل. وقد يكون هذا العقل جهمياً أو معتزلياً أو مستشرقاً أوربياً ».

٢ ــ « انه يجب أن تسلط الأضواء على هذا النوع من الكتّاب، الذين يلاحقون الدعاة الى السنة المحمدية، والى منهج السلف الصالح بالدعايات الظالمة والاتهامات الغاشمة، وفي الوقت نفسه يتعاطفون ويتبادلون الحب الخالص والولاء الصادق لمن يكيدون للامة الاسلامية ويتلمظون لابتلاعها ويلعنون ويكفرون أسلافها ».

٣ ــ « وانظر اليه كيف يشيد بالفلسفة. ومن ضمنها فلسفة ابن سينا والفارابي واخوان الصفا وغيرها من الفلسفات الضالة التي دك معاقلها علماء السنة. ولا سيما ابن تيمية في ضوء الكتاب والسنة، يشيد بها في الوقت الذي يعتبر الدعوة السلفية اساءة واسفافا، توقف سير الاسلام وتلحق به التهم ».

٤ ــ « وألف الشيخ عبد الرحمن المعلمي السلفي كتابه العظيم « التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل » رد فيه مطاعن « الكوثري » في حوالي ثلاثمائة من أعلام الأمة، بما فيهم الأئمة الثلاثة الامام مالك، والامام الشافعي، والامام أحمد بن حنبل ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ وفي عهدنا هذا، نرى ونقرأ حملات شديدة من تلاميذ « الكوثري » ولا سيما « الغزالي » الذي شن حملات على السنة وأهلها، بما لم يسبقه اليه متعصب، فهو يسيء الى الأئمة اهل الصحاح، والى

الامام عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل، والى ابن خزيمة والى ابن تيمية والى علماء البلاد المقدسة في هذا العصر. وما أكثر اساءاته وسخرياته بهم وبالسنة. فما أحوجه الى « تنكيل جديد ».

٥ ــ « وهذا أسلوب انفرد به « الغزالي » من بين من أنكر أخبار الآحاد من أصناف المبتدعين ».

٦ ــ « والقارئ الفطن يدرك بعض المنابع التي ينهل منها « الغزالي » سموم حربه على الحديث وأهله. وكفاه خذلانا أن يكون أسلافه في محاربة السنة وأهلها هذه الأصناف من مثل « النظام » والمنجمين والفلاسفة وغيرهم من أعداء الله وأعداء دينه ورسله ».

٧ ــ « أفلا تنقطع نياط القلوب أسفا على أمة يتصدى لقيادتها الفكرية والعقائدية والروحية، رجل هذه منزلته من العلم ».

٨ ــ « ومعلوم أن الرجل لا يعرف قواعد المحدثين ولا طرقهم في التصحيح والتضعيف ».

٩ ــ « وهو في قوله هذا، ظالم لأهل الحديث، قائل على الله وعلى الاسلام والقرآن بغير علم ومخالف للكتاب والسنة واجماع الأمة ».

١٠ ــ وقال الشيخ محمد الغزالي عن الاشتراكية أيام الرئيس المصري جمال عبد الناصر : « والاشتراكية الاسلامية تعتمد المبادئ الرفيعة أولاً، ثم تقيم الاشكال المادية المناسبة وتستعين على ذلك بقوة القانون. فالأخوة العامة مبدأ، والدولة مسؤولة عن تنفيذه وعن هدم أي وضع مادي ينافيه، والترف مرض اجتماعي، والدولة ملزمة بسن أي تشريع مادي يمنعه، والفضائل الانسانية ضرورة لا بد منها، والدولة مسؤولة عن القوالب المادية التي تصوغها لحفظها. وقد يقتضيها ذلك أن تقنِّن على النحو الذي تسير عليه روسيا أو أمريكا، لكن هذه القوانين لن تكون روسية ولا أمريكية، ما دام الغرض منها والدافع اليها اسلامياً مجرداً.

ونحن نستطيع بلا مراء أن نبقى مسلمين أوفياء لاسلامنا، مهما شرعنا لأحوالنا الاقتصادية ما قد يشابه في ظاهره نظام الشرق والغرب »[1].

وعقب عليه المؤلف بقوله : « ما هذه الحيل والمغالطات ؟ مذهب اشتراكي وافد. وتسن له تشريعات على النحو الذي تسير عليه أوربا وأمريكا، ثم مع كل هذا التقليد والاتباع لهم حذو القذة بالقذة، نقول : ان هذه القوانين والتشريعات لن تكون روسية ولا أمريكية ؟ أي مغالطات ومكابرة هذه ؟ هذا يعني أن نأخذ أي عقيدة كافرة ونضع عليها اسم الاسلام، ونأخذ أي مبدأ غير اسلامي ونسميه اسلامياً » أ.هـ.

١١ ــ « ان كل من يعرف « الغزالي » والشيخ « محمد الأمين الشنقيطي » ليقول للغزالي : ما أنت أمام هذا الحبر الأسد، الا كالهر، تحكي انتفاخاً صولة الأسد ».

١٢ ــ « وليعلم القارئ أنه ليس لدى « الغزالي » من العلم والدقة والاحاطة بالأدلة ما يساعده على مقارعة الحجة بالحجة، كما أنه ليس لديه الاستعداد الكامل للبحث والتنقير، فيلجأ الى الهجوم العنيف المصحوب في كثير من الأحيان بالسخرية والتحقير. وأخيراً : فإني أرى أن فكر « الغزالي » خطير جداً على الاسلام. فهو امتداد خطير لشتى الدعوات الرهيبة. فهو امتداد للاشتراكية والديمقراطية، وامتداد خطير لدعوة قاسم أمين الى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل في كل مجال، وامتداد لدعوات خصوم السنة من غلاة الجهمية في السابق، وامتداد لدعوة « أبي رية » وأمثاله من أتباع المستشرقين في اللاحق. وامتداد لفكر المعتزلة في القدر، ورمي أهل السنة بالجبر، والتهويش على الأحاديث التي تثبت القدر، وفي الوقت نفسه تنفي الجبر. فاذا كان الرجل يصر على أنه من أهل السنة والجماعة، واذا كان يصر على قوله : « وأؤكد أولاً وآخراً

(١) ص ٩ الاسلام المفتري عليه بين الشيوعيين والرأسماليين.

أنني مع القافلة الكبرى للاسلام. هذه القافلة التي يحدوها الخلفاء الراشدون والأئمة المتبعون والعلماء الموثقون »[1] فليعلن براءته من كل هذه الامتدادات الغريبة والخطيرة على الاسلام ويعلن توبته الى الله وعلى رأس الملأ من أفكار، ظل يخدمها ويدعمها طوال خمسين عاماً. فان لم يفعل، فليعلم الأذكياء النبهاء أنه مع القوافل الأخرى التي ظل يخدمها ويدعو اليها باسم الاسلام. وهي أخطر ما يكون على الاسلام. والاسلام منها براء والقافلة الكبرى في واد، وهو في وادي تلك القوافل » ـــ.هـ.

* * *

تلك عبارات بالنص من كتاب « كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها ونقد بعض آرائه » وفي الكتاب عبارات غيرها مشابهة لها.

وقد وجبت علي نصرة الشيخ محمد الغزالي ـــ رضي الله عنه ـــ من قوله تعالى: ﴿ **واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه** ﴾[2] ذلك لأن فحوى الخطاب في هذا القول الشريف يدل على نصرة المفترى عليه. اذ العالم بالدين الاسلامي الحنيف، يجب على اخوانه العارفين بفضله، نصرته اذا لم يكن مخالفاً. والشيخ محمد الغزالي ـــ رضي الله عنه ـــ من علماء الدين الاسلامي الراسخين في العلم، ولم يخالف القرآن الكريم ولم يجترئ عليه. وصرح بأن الله الخالق للعالم وحده، هو أنزل القرآن هدى للناس، وتكفل بحفظه الى يوم الدين. وأن المسلمين يكونون على ضلال اذا لم يحترموا القرآن ولم يعملوا بما فيه.

وخصومه من علماء السلف لا يطعنون فيه الا من جهة انكاره لمذهب السلف، ويموهون بانكاره للأحاديث النبوية، مع علمهم بأن فيها حقّاً

(١) ص ١١ ـــ ١٢ السنة النبوية للغزالي.

(٢) سورة آل عمران الآية ٨١.

وباطلاً. والشيخ محمد الغزالي ــ رضي الله عنه ــ لا ينكر الأحاديث النبوية كلها، ولا يسلم بصحتها كلها. وعلماء السلف ينكرون منها كما ينكر هو، ويسلمون بصحة أحاديث منها، كما يسلم هو. فما هو الفرق بينه وبين السلفيين ؟ أجب أيها المؤلف. وكتب الشيخ موجودة بين أيدي الدارسين في كل مكان تشهد برأيه.

وليس هو أول من نقد مذهب السلف ولن يكون هو الآخر.

* * *

ومؤلف كتاب الكشف معلم في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ــ قد قسم كتابه على قسمين :

القسم الأول في منهجية الغزالي في مؤلفاته. والقسم الثاني مع الغزالي في كتابه « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ».

القسم الأول

قال المؤلف :

أولاً : ضيق صدره بأخبار رسول الله ﷺ اذا جاءت عن طريق الآحاد، ولو كانت في الصحيحين. وقد مهد بهذا الكلام لانكار أحاديث انشقاق القمر الدالة على احدى المعجزات الكبرى والمدعمة بقول الله تعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾[1] ولانكار أحاديث وقوف الشمس لأحد الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ

وذكر المؤلف : أن أحاديث انشقاق القمر صحيحة. ولم يتعرض لأحاديث وقوف الشمس لأحد الأنبياء.

ثانياً : غضبه الشديد على أهل الحديث وكراهيته لهم.

ثالثاً : جهله بمكانة الصحيحين، وجهله بتلقي الأمة أحاديثهما بالقبول

(١) سورة القمر الآية الاولى.

والحب والاحترام والثقة. وكل ذلك جرَّأه على الطعن في كثير من أحاديثهما مثل :

١ ــ حديث ان الميت ليعذب ببكاء أهله.

٢ ــ لا يقتل المسلم بكافر.

٣ ــ حديث شريك في الاسراء.

٤ ــ حديث أهل القليب « ما أنتم بأسمع لما أقول الآن منهم ».

٥ ــ حديث فقء موسى عين ملك الموت.

٦ ــ حديث فاطمة بنت قيس في عدم السكن والنفقة للمطلقة ثلاثا.

٧ ــ حديث عائشة : « كان الركبان يمرون بنا فاذا جازوا بنا سدلت احدانا جلبابها ».

٨ ــ أحاديث الساق والصورة لله.

٩ ــ حديث اذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة.

١٠ ــ أحاديث الدجال وتهويشه عليها.

١١ ــ كان فيما أنزل عشر رضعات يحرمن.

١٢ ــ حديث نافع عن ابن عمر في غزوة بني المصطلق.

١٣ ــ أحاديث القدر ورميه أهل السنة بالجبر.

١٤ ــ حديث البخاري « أعطى رسول الله ﷺ للفارس سهمين ».

١٥ ــ حديث عائشة في طفل مات من الأنصار « طوبى له عصفور من عصافير الجنة ».

١٦ ــ حديث خباب في البناء.

١٧ ــ حديث يقطع الصلاة المرأة والكلب.

١٨ ــ حديث نخس الشيطان للمولود.

١٩ ــ حديث الذبابة.

٢٠ ــ حديث انشقاق القمر.

٢١ ــ حديث توقف الشمس لأحد الأنبياء.

رابعاً : اذا عرفت موقفه من أخبار الآحاد ومن أخبار الصحيحين، فما موقفه من غيرهم ؟ يريد المؤلف أن يقول : ان أخبار الصحيحين غير أخبار الآحاد وقوله للمغالطة. فكل ما في الصحيحين آحاد. بل وأسوأ من الآحاد : روايات المجهولين المسماة بالمعلقات.

خامساً : تأثره بالحضارة الغربية والشرقية.

سادساً : فشله في ميادين البحث العلمي وجهله بها وتخلفه عن مواكبة الباحثين في عصره من المسلمين وغير المسلمين.

سابعاً : الغزالي كثير التناقض في كتاباته.

ثامناً : اعتداده برأيه.

تاسعاً : تأثره بأساليب ومواقف أحرار « أوربا » وفلاسفتهم في ثورتهم على رجال الدين، لا سيما في مواقفه من أهل الحديث.

عاشراً : جنوحه الى مذهب القرءانين في تعامله مع كثير من السنن.

حادي عشر : يتسم نقده بالهجوم العنيف والسخرية اللاذعة.

القسم الثاني

يقول المؤلف : « سأتناول ـــ ان شاء الله ـــ من هذا الكتاب بعض المطاعن التي نالت من بعض الأحاديث، ونالت من خيار هذه الأمة : السلفيين وأهل الحديث »[1] ثم شرع في ذكر بعض المطاعن كما قال :

والقسم الأول عند المؤلف هو تمهيد للقسم الثاني. والذي يرد، لا يرد الا على القسم الثاني. بل على كلام المؤلف : يرد على البعض ولا يرد على الكل. بل على كلام العقلاء يكفي المثال الواحد.

(١) المؤلف هنا غاير بين السلفيين وأهل الحديث والسلفيون يقولون : نحن أهل الحديث.

وبعون الله تعالى لن أترك له شيئاً يذكر، بدون دفع. غير أني لن أراعي ترتيب المطاعن. اذ قد يستلزم موضع ما ايراد مطعن ودفعه. واذا ذكرته ودفعته. فربما أعيده تحت المطاعن، وربما لا أعيده، اكتفاء بذكره في موضعه المناسب له.

ولسوف أتجنب القسوة في الكلام، مع أنها واجبة مع الخصوم الذين يجادلون في الله بغير علم. فقد قال الامام أبو بكر الآجري : « وقيل لهذا المعارض لسنن رسول الله ﷺ : يا جاهل[1] .. الخ » فانظر الى قوله لخصمه « يا جاهل » وهو امام. تجده قد استعمل القسوة مع الخصوم. كما استعملها الشيخ محمد الغزالي رضي الله عنه.

ويقول يحيى عليه السلام لعلماء بني اسرائيل : « يا أولاد الافاعي » [متى ٤ : ٧].

وفي رسائل بولس يقول : « أيها الغلاطيون الأغبياء » [غل ٣ : ١].

وفي سفر التثنية : « الرب تكافئون بهذا. يا شعباً غبياً غير حكيم » ؟ [تث ٣٢ : ٦].

ويقول الله عن اليهود : « انهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم » [تث ٣٢ : ٢٨].

والامام البغدادي في كتابه عن الفرق الاسلامية يشتد على الخصوم ويسلقهم بألسنة حداد. وكذلك الامام ابن حزم الأندلسي. ويقول مؤلف دلالة الحائرين : « وكذلك تجد من الناس قوماً ذوي طيش وتهور وحركاتهم قلقة جداً وغير منتظمة، تدل على فساد تركيب وسوء مزاج[2] ... الخ ».

* * *

(١) الشريعة ص ٤٦ ــ ٥٤ ــ الكشف ص ٩٠.

(٢) ص ٧٩ ج ١ دلالة الحائرين.

وعند هذا الحد نتوقف في التقديم لهذا الكتاب والتعريف بموضوعه.

ونقدم خالص الشكر والاعتراف بالجميل لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود مصطفى بدوي، المدير العام السابق للمعاهد الدينية الأزهرية في المنصورة على مراجعته لهذا الكتاب، واشرافه على تصحيحه وضبطه.

والله أسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين.

د / أحمد حجازي السقا

الفصل الأول
في
رد كتاب

« كشف مَوقِف الغَزَالي »

١ ــ هل الشيخ محمد الغزالي رضي الله عنه ينكر الأحاديث النبوية كلها ؟

هذا أول سؤال كان يجب على مؤلف الكشف أن يسأله ويجيب عليه من قبل أن يسبه ــ بلا سبب ــ وقد ذكرت أنا هذا السؤال، لأنه يجب البدء به في الحكم عليه.

ولا أجيب أنا بالنيابة عن الشيخ محمد الغزالي ــ رضي الله عنه ــ بل يجيب هو نفسه. وهذه هي اجابته :

قال الشيخ محمد الغزالي ــ رضي الله عنه ــ في الصفحة السابعة بعد المائة من كتاب « هموم داعية » ما نصه :

« وقد سمعت الى مغموصين أنكروا السنة كلها، فما وجدت في سيرتهم أو منطقهم ما يستحق الاحترام، ولو ادعوا الاسلام وكانوا من الحكام » أ.هـ

هذا نص كلامه يا أيها الناس. فماذا ترون ؟ هل ترون أنه ينكر السنة

كلها ؟ ولئن قال قائل : ان هذا المؤلف الذي سب الشيخ محمد الغزالي وشتمه قد وقع في الخطأ، لأنه لم يطلع على ذلك الكتاب الذي صرح فيه الشيخ محمد الغزالي ـــ رضي الله عنه ـــ بهذا القول. لئن قال قائل بهذا، فان قوله مردود. وذلك لأن المؤلف نقل في كتابه عبارات من « هموم داعية »[1] هي من صفحة ست بعد المائة من الطبعة الأولى وعبارته التي ذكرتها هي في صفحة سبع بعد المائة من طبعة دار البشير بالقاهرة سنة ١٤٠٥ هـ.

هل الشيخ محمد الغزالي ينكر صحة القرآن ؟

ولقد أجبت بأنه ليس مخالفاً الا في السنة. ولكني سأذكر للناس عبارات من كتابه « هموم داعية »، ليحكموا هم أنفسهم، إما لك وإما له.

قال الشيخ محمد الغزالي ـــ رضي الله عنه ـــ في الصفحة السادسة بعد المائة ما نصه: « ولما كان القرآن الكريم متواتراً حرفاً حرفاً. فهو جملة وتفصيلاً قطعي الثبوت، أما السنة ففيها الكثير المتواتر لفظاً أو معنى. وفيها أخبار آحاد بذل العلماء والنقاد جهوداً هائلة في ضبطها. لم يعرف لها نظير في تراث عظيم من العظماء.

ولا عجب. فما التفت قلوب حول بشر، كما التف المسلمون حول نبيهم، وما ظفر أحد باعزاز وحب، كما ظفر بذلك صاحب الرسالة الخاتمة. ولو استمعنا الى من يرى تجاوز السنة، لوجب أن ترتفع الثقة بتاريخ البشر كلهم، فان الروايات التي ثبت بها التاريخ أخف وزنا من الروايات التي ثبتت بها السنة المحمدية » أ.هـ.

هذا نص كلامه بالحرف الواحد. وفيه :

(أ) أنه سلم بصحة تواتر القرآن.

---

(١) ص ١٢ كشف موقف الغزالي.

(ب) قال : ان السنة فيها الكثير المتواتر لفظاً أو معنى.

(جـ) وقال : وفي السنة أخبار آحاد.

(د) وأنكر على من ينكر السنة كلها، بقوله : « ولو استمعنا الى من يرى تجاوز السنة، لوجب أن ترتفع الثقة بتاريخ البشر كلهم ».

فيا أيها الناس هل الشيخ محمد الغزالي ينكر السنة كلها ؟ وهل هو ينكر المتواتر ؟ ألم يقل أن فيها الكثير المتواتر لفظاً ومعنى ؟

ومن العبارات التي قالها الشيخ محمد الغزالي في التمسك بالسنة، سواء كانت آحاداً أو متواترة : هذه العبارة : « يقول الأستاذ الامام حسن البنا : القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الاسلام، ويفهم القرآن طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف[1]، ويرجع في فهم السنة الى رجال الحديث الثقات ».

فهو في هذه العبارة يثني على « حسن البنا » ويشيد بفضله. و « حسن البنا » كان :

(أ) أشعريا.

(ب) وصوفيا.

أي يؤمن بالحديث وكتب التصوف. ثم تحول الى مذهب السلف وترك مذهب الأشاعرة. ومذهب السلف والأشاعرة في العقائد والفقه مبنيان على القرآن وعلى أحاديث الآحاد. فثناء الشيخ الغزالي ـــ رضي الله عنه ـــ على الشيخ الامام « حسن البنا » رئيس جماعة « الاخوان المسلمين » يدل على ايمانه بالسنة كلها آحاداً أو متواترة مفسرة او موافقة

---

(١) يقصد الاستاذ الامام الشيخ حسن البنا ـــ طيب الله ثراه ـــ من قوله من غير تكلف ولا تعسف. اثبات المجاز في القرآن ولغة العرب.

أو منشأة. ثم رده لبعض احاديث الآحاد ورده لبعض أحاديث التواتر، هو كرد أبي حنيفة رضي الله عنه لأحاديث، وكرد بعض السلف لأحاديث، وكرد بعض الأشاعرة لأحاديث.

وفي كتاب « فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء » يستشهد الشيخ محمد الغزالي بأحاديث الآحاد في فضائل الأعمال فيقول : « اننا في عصر تظله حضارة مادية بادية اللهفة على اللذات العاجلة. وقد يقبل الشرفاء فيها أن يقوموا بتضحية ما لقاء أمر عظيم، بيد أنهم لا يرون ذلك الغاية التي يسعون اليها. أما محمد والجيل الذي استمع اليه فنسق آخر من الفكر العالي. واسمع الى هذا الخبر : رأى النبي عمر بن الخطاب وعليه ثوب بدا وكأنه جميل. فقال له : « أجديد هذا أم غسيل » فقال : بل غسيل. فقال له الرسول مداعباً : « ألبس جديداً وعش حميداً ومت شهيداً »[1].

وأيام كنت في « السودان » في جامعة أم درمان الاسلامية. كان أمامهم ومفتيهم الأستاذ الدكتور حسن الترابي يقول بمثل ما أقول : يقول : « السنة في مصطلحي : هي واقع الاسلام لعهد القرآن وحياة الرسول ﷺ فهي تلك الحياة التي نهجها أولئك المؤمنون الأوائل في محاولة عملية لتمثل مقالات الدين الحق وتحقق تكاليفه على صعيد الواقع العملي في اطار ظروف معينة في المكان والزمان » أ.هـ

أي أنه يرفض السنة المنشأة والسنة المعارضة للقرآن في المعنى.

وأجب أيها المؤلف عن السؤال الثاني وهو :

٢ ــ هل يحق لك أو لغيرك سب الشيخ محمد الغزالي أو من يماثله، لرفضه أحاديث هي من جملة الأحاديث كلها ؟

(١) ص ٢٦ فن الذكر والدعاء.

وأجيب أنا بهذا الكلام :

اذا جاز لك ولمن يشبهك أن يسب عالماً من علماء المسلمين لرفضه أحاديث من جملة الأحاديث كلها، لكان رؤساء مذهبك من الذين يقع السب فيهم سراً وعلانية. أنت سلفي المذهب. فأجب : ما هو موقف الامام المعظم أحمد بن حنبل من صحيح البخاري وغيره ؟ رفض منه أحاديث أم لا ؟ أنت سلفي المذهب ــ أي من أهل الحديث أي تعظم الأئمة الأربعة أبو حنيفة وابن حنبل والشافعي ومالك ــ وتجبر الذي يراك أن يقول فيك :

حتى رأينا الشافعي ومالكا وأبا حنيفة وابن حنبل حضرا.

هؤلاء الأئمة لماذا اختلفوا في مذاهبهم الفقهية ؟ ألم يأخذ بعضهم بأحاديث هي في البخاري ورفض غيرهم نفس الأحاديث التي هي في البخاري ؟ أجب ولا تَستَحِ.

هل رفض ابن حنبل أحاديث صحت عند غيره أم لم يرفض ؟ أجب. هل رفض أبو حنيفة أحاديث لأنها في نظره ضعيفة أم لا ؟ والأحاديث الضعيفة التي رفضها أبو حنيفة أخذ ببعضها غيره أم لا ؟

ولقد أجاب سيدي وسيدك بما يلي :

« وقد سمعت الى مغموصين انكروا السنة كلها، فما وجدت في سيرتهم أو منطقهم ما يستحق الاحترام، ولو ادعوا الاسلام وكانوا من الحكام. ولكن تراث السنة نفسه تعرض لمتاعب من مسلمين مخلصين لم يحسنوا تناوله، ولم يلتزموا الضوابط التي وضعها أئمة السنة الأولون فكانوا للأسف بلاء على السنة وفتانين عن الاسلام كله. ولو لزموا موقف الأئمة الأوائل، لكانوا أهدى سبيلاً.

هناك من يسوي بين الأخبار المتواترة وبين أخبار الآحاد في افادة

اليقين وهذا غلو مرفوض. وهناك من يرحب بأخبار الآحاد دون تطبيق للشروط العلمية المقررة عن ضرورة خلوها من الشذوذ والعلل والقوادح. وهناك من يقضي سحابة عمره في دراسة السنن. وصلته بالقرآن الكريم واهية. وبصره بهدايته كليل. ولذلك لا يحسن وضع الأحاديث في مواضعها العتيدة من كتاب الله، ولا وضع النسب بين الأركان والنوافل والوسائل والغايات.

ويتضح هذا المعنى قليلاً اذا عرفنا أن علماء المذهب الحنفي يرون أن لا فرض الا بنص قاطع، وأنه لا حرمة الا بنص قاطع، وأن أخبار الآحاد لا تفيد القطع، بل هي ــ كما يرى الجمهور ــ تفيد الظن العلمي أو العلم الظني.

ولنترك رأي الأحناف جانباً، لنشرح ما نريد عن طريق ضرب الأمثال :

يقول الله تعالى في جلالة كتابه : ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾[1] فهل وعى ذلك من قبل حديث الغرانيق[2]، وقال : ان تظاهر الروايات يجعل لها أصلاً ما. والقائل محدث كبير. وقد قبل فرية الغرانيق مدع للسلفية كبير وضعها في سيرة ألفها.

الحرث الانبات باجماع أُولي الألباب. فهل وعى ذلك من روى في شرح الآية ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾[3] أنه يجوز اتيان النساء في غير مكان الحرث[4] ؟

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٢.

(٢) اقرأ كتب التفسير في سورة الحج ومعناها : ان النبي مدح الأصنام.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٢٣.

(٤) روى ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾ : « قال الطحاوي : روى أصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن بن القاسم قال : ما أدركت أحداً اقتدى به في ديني، يشك أنه حلال. يعني وطء المرأة في دبرها. ثم قرأ ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾ ثم قال : فأي شيء أبين من هذا ؟ هذه حكاية الطحاوي. وقد روى الحاكم

قتال العدوان مرفوض بنص القرآن الكريم. فهل درى ذلك من روى، أو رأى جواز القتال دون دعوة الى الاسلام، وبالتالي جواز أخذ الناس على غرة ؟ » [انتهى بنصه من هموم داعية].

وما رأيك في هذه الاجابة ؟ تنكرها أم تسلم بها ؟

أما أنا فاسلم بها وأعتبر أنها كلام حسن جميل. وان كنت تنكر فما تقول في قصة الغرانيق المروية في كتب الصحاح ؟ ــ وهي تطعن في القرآن وفي النبوة ــ والمفسرون ذكروها في سورة الحج وتعجبوا من روايتها. وروى البخاري أن التوراة لم تحرف بتغيير اللفظ. فهل توافقه ؟ ان وافقته اسأت الى ابن تيمية[1] وابن القيم لقولهما هي محرفة بتغيير اللفظ وهما سلفيان مثلك. وان خالفته صرت كالشيخ الذي تسبه وتشتمه لرفضه بعض الأحاديث. وروى البخاري أن القرآن لم يكتب كله في عهد النبي ﷺ ولما أراد كتابته أبو بكر رضي الله عنه سقطت منه آية. وظلت ساقطة الى عهد عثمان. هل توافقه على هذه الرواية أم تخالفه ؟ وروى

ـــ والدارقطني والخطيب البغدادي عن الامام مالك من طرق اباحة ذلك، ولكن في الأسانيد ضعف شديد. وقد استقصاها شيخنا الحافظ أبو عبدالله الذهبي في جزء جمعه في ذلك. والله أعلم. وقال الطحاوي : حكى لنا محمد بن عبدالله بن عبد الحكم انه سمع الشافعي يقول : « ما صح عن النبي ﷺ في تحليله ولا تحريمه شيء. والقياس أنه حلال » انتهى بنصه. وهذا ومثله هو الذي أهم الداعية، ودفعه الى أن يسمي كتابه « هموم داعية ».

(١) يقول صاحب الدرة المضيئة : « قد أحدث ابن تيمية ما أحدث في اصول العقائد ونقض من دعائم الاسلام الأركان والمعاقد، بعد أن كان متستراً بتبعية الكتاب والسنة، مظهراً أنه داع الى الحق، هاد الى الجنة، فخرج عن الاتباع الى الابتداع، وشذ عن جماعة المسلمين بمخالفة الاجماع وقال بما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدسة، وبأن الافتقار الى الجزء ليس بمحال. وقال بحلول الحوادث في ذات الله تعالى، وأن القرآن محدث تكلم الله به بعد أن لم يكن، وأنه يتكلم ويسكت ويحدث في ذاته الارادات بحسب المخلوقات. وتعدى في ذلك الى استلزام قدم العالم بالقول بأنه لا أول للمخلوقات. فقال بحوادث لا أول لها ».

البخاري أن النبي لما مات، ما كأن يحفظ القرآن غير أربعة من العرب. وروى المحدثون أن في القرآن آيات منسوخة بآيات ليست هي موجودة في القرآن الذي نحن نقرؤه. توافق أم تخالف ؟

وهذه أمثلة أذكرها لاثبات الخلاف بين الأئمة الأربعة :

١ ــ حديث : « اذا قرأتم الحمد لله رب العالمين فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم. انها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني. وبسم الله الرحمن الرحيم أحد آياتها » استدل به الشافعي على أن البسملة آية من الفاتحة ومن كل سورة.

وقال المالكية : ان البسملة ليست آية من الفاتحة ولا من القرآن وانما هي للتبرك، واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها : « كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين ».

ومن هذا المثال يتبين أن الشافعي رفض قول عائشة وهو من رواية مسلم. ومالك رفض الحديث الذي استدل به الشافعي وهو من رواية الدارقطني عن أبي هريرة.

٢ ــ قراءة الفاتحة في الصلاة، قال ابن حنبل : انها شرط لصحة الصلاة لحديث : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » [رواه الستة ولم يروه مالك] وقال أبو حنيفة : تجزئ الصلاة بدون فاتحة الكتاب ولا تبطل الصلاة بغيرها واستدل بقوله تعالى : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر من القرآن** ﴾(١) وبما روي عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن رجلاً دخل المسجد فصلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام وقال : « أرجع فَصَلِّ فانك لم تصلِّ » ثم قال له عليه السلام : « اذا قمت الى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من

(١) سورة المزمل الآية ٢٠.

القرآن » فأبو حنيفة رفض حديث « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » مع أنه مروي في البخاري وغيره.

٣ ـــ وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام. ذهب الشافعي وابن حنبل الى وجوب قراءتها لقوله : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » وذهب أبو حنيفة الى منع القراءة خلف الامام مطلقاً لقوله تعالى : ﴿ **واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا** ﴾[1] ولحديث : « من كان له امام فقراءة الامام له قراءة » [أخرجه عبد بن حميد عن جابر].

* * *

ومؤلف كتاب « كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها ونقد بعض آرائه » شتم الشيخ محمد الغزالي وسبه لنقده مذهب السلف أيضاً. ذلك لأن من ينقد الأحاديث ينقد المذهب السلفي ويهده هداً، ومن ينقد المذهب السلفي، ينقد بعض الأحاديث ويبعدها عن الحجية في علم التوحيد. فالمذهب السلفي والأحاديث معاً لا غنى لأحدهما عن الآخر.

والذي يريد أن يعرف مذهب السلف، يجب عليه أولاً أن يتتبع قصة الحديث النبوي من أولها الى آخرها وعلماء السلف ما قدروا على نشر مذهبهم في ديار المسلمين في العصر الحديث لأنهم تمسكوا بمثل حمل العصا وتقصير الثياب ولأنهم نسوا أن يبينوا للناس : أنهم أهل الحديث المتتبعين له والمدونين له والمدافعين عنه. وكانوا اذا دخلوا قرية، يبدأون أول ما يبدأون بنقد التصوف ومحاربة أهله. وينسون أن يبينوا للناس أصل المذهب وتطوره.

وهم على حق في نقد التصوف. لأن الدين عند الله الاسلام. لكن تمسكهم بالآراء الضعيفة وغفلتهم عن بيان أنهم من أهل الحديث كانت سبباً في توقف سير المذهب في بلاد المسلمين.

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠٤.

والآن تذكر المؤلف ما نسيه أشياخه؛ فإنه لما طعن الشيخ محمد الغزالي ــ رضي الله عنه ــ في مذهب السلف، صرخ المؤلف وقال : نحن أهل الحديث فلماذا نستحق الطعن ؟ نعم أنتم أهل الحديث. ولكنه الحديث الضعيف الذي رواه الضعفاء والمتروكون.

وأنتم أيها السلفيون لو دعوتم اليهود الى الاسلام واستجابوا له، ثم شرحتم لهم صفات الله على مذهبكم، فانهم لن يدخلوا فيه لأن التوحيد والصفات عندهم في كتبهم شرحها لهم علماء بني اسرائيل على مذهب الأشاعرة والمعتزلة ــ في التأويل ــ. ولو دعاهم واحد منهم الى الاسلام وشرح لهم صفات الله على مذهبه، فانهم سيدخلون فيه. أما على مذهبكم فلا. اذ في التوراة « اسمع يا اسرائيل. الرب الهنا رب واحد » [تث ٦ : ٤] وفي التوراة : « لا مثل لله » [تث ٣٣ : ٢٦] ومفسرو التوراة يقولون في غضب الله ومكره ويده ورجله وما أشبه ذلك : ان الله عبر عن نفسه كأنه انسان ــ وما هو بانسان ــ ليقدر الانسان على فهم مراد الله منه. كانسان كبير السن، حكيم، اذا أراد أن يكلم طفلاً ويقنعه بأمر ما، فإنه ينزل الى مستوى الطفل ويكلمه على قدر عقله. واذ يفعل الحكيم هذا مع الطفل، فإنه لا يكون ناقص القدر، بل يكون كبير القدر. وهذا هو المسمى عند الأشاعرة والمعتزلة بالمشاكلة. والذي دفعهم الى هذا التأويل هو نص : « لا مثل لله ».

وأنتم أيها السلفيون. لو دعوتم النصارى الى الاسلام واستجابوا له، ثم شرحتم لهم صفات الله على مذهبكم. فانهم لن يدخلوا فيه. لأن مذهبهم في الله : أنه انقلب الى انسان ــ هكذا يقول الأرثوذكس ــ. وهذا هو التجسيم الذي يريدون منه الفرار. والتجسيم لازم على مذهبكم وأنتم لا تصرحون به للعوام. والكاثوليك يصرحون به أيضاً ويقولون : ان صفة الكلام لله قد تجسمت وصارت « مسيحا » وهذا يشبه قولكم.

فدعوتكم أهل الكتاب الى الاسلام على مذهبكم : فيها صعوبة. وهذا

هو السبب في أن خلفاء بني العباس، كانوا يوجهون المعتزلة لمناظرة اليهود والنصارى وهم في الصفات يؤولون مثل الأشاعرة. ولقد كان يسهل على المعتزلي دعوة اليهودي الى الاسلام بقوله : الجدال بيني وبينك في نبوة محمد فقط. وما كان يتعدى النقاش هذه النقطة. لأن المعتزلي كان يعرف أن العقائد ليست محل انكار. من قوله تعالى : ﴿ **ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك** ﴾(١) أما جداله مع النصراني فقد كان يتطلب جهداً جهيداً. اذ يبدأ في بيان المحكم والمتشابه في لفظ « الابن » وغيره، ثم يستدل له من التوراة على الوحدانية، ثم يذكر آيات من الانجيل تدل على تحريفه، ثم يثبت له نبوة محمد ﷺ. وليس هذا معه بالأمر السهل.

وأنتم ايها السلفيون لم تدرسوا كتب الفلسفة، ولا كتب الأديان المقارنة، ولا كتب المناظرات والجدل، مع أن شيوخكم كانوا على علم بها، وألفوا فيها، كابن تيمية الحراني وابن قيم الجوزية.

فتأخروا عن الدعوة، واتركوها لأهلها الفاهمين لها والقادرين عليها، وان أردتم ان تدعوا فاقبلوا قبل أن تدعوا مذهب القائلين بالتنزيه. ثم ﴿ **اركعوا مع الراكعين** ﴾(٢).

أتقدرون أن تقولوا لأهل الكتاب : ان اللغة العربية ليس فيها مجاز وهم يقرءون عن شعرائكم :

ولما قضينا من « منى » كل حاجة ... ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على دهم المهاري رحالنا ... ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطي الأباطح

كيف تسيل الأباطح مع أن السيل للماء ؟ أتقدرون أن تقولوا لغتنا شاذة

(١) سورة فصلت الآية ٤٣.
(٢) سورة البقرة الآية ٤٣.

عن سائر لغات العالم. اذ كل لغات العالم فيها مجاز، الا لغتنا الجميلة ؟ ولئن قلتم ذلك، لكانت لغتكم قاصرة عن حمل رسالة الله الى الأمم. ففي التوراة مجاز. ومثاله : « حمل تعباً وولد كذباً » وفي الانجيل مجاز، ومثاله : « يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي » فقد عبر عيسى عليه السلام عن علماء بني اسرائيل بأنهم ابناء الحيَّات. وهم لا يتناسلون منها على الحقيقة.

ثم كيف تشرحون للناس مثل قوله تعالى : ﴿ **أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى** ﴾(1) ؟ هل الأعمى كناية عن الجهل هنا، أم هو الفاقد للبصر ؟ ان قلتم كناية فهذا هو المجاز الذي تنكرونه في القرآن ولغة العرب. وان قلتم حقيقة. فكثيرون من فاقدي البصر يعلمون.

ومركز الدعوة السلفية في مصر فرع المركز الرئيسي في « الرياض » هو « جماعة أنصار السنة المحمدية » في ناحية قصر عابدين بالقاهرة ومجلتهم كانت تسمى بمجلة « الهدى النبوي » وكانت تركز على مسألة الاستواء على العرش، ونقد التصوف. وانضم اليهم كثيرون من ذوي الألباب في المدن والقرى كرها في المتصوفة فقط. وكان والدي — رحمة الله تعالى عليه — من الدعاة الى نقد التصوف الى ان مات، في سنة ١٩٥٧ م.

وفي عهد الرئيس المصري جمال عبد الناصر ضمت الحكومة جماعة أنصار السنة الى الجمعية الشرعية وهي جماعة على مذهب الأشاعرة، وان نقدت التصوف تنقده بأسلوب غير جارح. وفي سنة ١٩٧٣ م في أيام الرئيس المصري محمد أنور السادات، سعى الشيخ رشاد الشافعي لدى الحكومة في فصل أنصار السنة عن الجمعية الشرعية، وفصلها وغيَّر اسم

(١) سورة الرعد الآية ١٩.

المجلة الى مجلة التوحيد. وفي ذلك الوقت كنت معهم من المحاضرين والكتاب. وحضرت لسماع محاضرات كثيرة في مركز أنصار السنة من الشيخ محمد الغزالي ــ رضي الله عنه ــ وكان أكثرها يدور حول أسباب اختلاف الفقهاء. ودعوة السامعين الى نبذ التعصب ومحو الخلافات. وفي ذلك الوقت ألف الأستاذ « السيد صالح أبو بكر » ــ رحمة الله عليه ــ كتابه الشهير في نقد كتب الأحاديث وقد كان من علماء أنصار السنة في الاسكندرية. وعقدت الجماعة مجمعاً برئاسة الشيخ « رشاد الشافعي » وقررت فصله من الجماعة. وعلى أثر نشر القرار في مجلة « التوحيد » انفصل الدكتور السيد رزق الطويل، والشيخ محمود حسيب، والشيخ شاكر القمبشاوي وآخرون. وكون الجميع جماعة « دعوة الحق » وأعطاهم الشيخ « فيصل رشيد » ــ وهو أحد أقرباء الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله ــ اذنا باصدار مجلة « الهدى النبوي » وما تزال تصدر حتى اليوم في « بابل » بـ « الدقي » في مدينة « القاهرة » وكان هدف دعوة الحق المعلن هو : الأخذ بالقرآن وبالصحيح من الأحاديث. وأن تكون المجلة لمقالات متنوعة في الدفاع عن الاسلام وابراز محاسنه، ولا تكون حكراً على موضوع واحد كمجلة التوحيد. وقد كتبت فيها مقالات في أول صدورها.

وبعد قرار فصل الاستاذ « السيد صالح أبو بكر » ــ رحمة الله عليه ــ بأيام، عقدت الجمعية مجمعاً، وقررت فيه فصل الشيخ « رشاد الشافعي » واسناد الرئاسة الى الشيخ محمد علي عبد الرحيم ــ هذا ما أتذكره اليوم. والعلم لله تعالى ــ.

والهدف من ذكر هذا الذي قدمته : هو ان الشيخ محمد الغزالي ــ رضي الله عنه ــ بشهادتي وشهادة غيري، كان من معلمي السلفيين ومرشديهم، من قبل أن يحدد هذا الناقد أسنانه للسب واللعن فيه. وصار لسان حاله اليوم :

أعلمـــــه الرمايـــــة كل يوم فلما اشتد ساعـــده رمانـــي
وكـم علمته نظـــم القوافـــي فلمـــا قال قافيـــة هجانـــي

والشيخ محمد الغزالي ــ رضي الله عنه ــ لم يردَّ أخبار الآحاد كلها لا في أصول الدين ولا في فروع الدين. وانما رد من الأخبار أخباراً، وقبل من الأخبار أخباراً ــ مع أن درجة الآحاد واحدة ــ وقبوله البعض ورده البعض لا يدل على رده السنة كلها. فها هو في مجلة التوحيد وهي مجلة جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ــ فرع الدعوة السلفية في « مصر » عن المركز الرئيسي في « الرياض » ــ يقول في عدد جمادى سنة ١٣٩٦ هـ ما نصه :

« ان الله ــ بمنطق البداهة ــ غني وغيره فقير اليه، قادر وما عداه عاجز، عالم ومن خلقهم لا يدرون الا ما يقفهم عليه، الكمال كله في ذاته، والنقص كله في عالم مقهور لقدرته، خاضع لسلطانه، مرهون بمشيئته. وهذا هو معنى « الصمد » اسمع هذه الكلمات لرجل من تلامذة محمد ﷺ الذين تعلموا منه وحدانية الله والتسبيح بحمده، واللهج بمدحه، أخرج الطبراني عن أنس ــ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بأعرابي وهو يدعو في صلاته ويقول : « يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر. يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، ولا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضاً، ولا بحر ما في قعره ولا جبل ما في وعره. اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتيمه، وخير أيامي يوم ألقاك فيه ... » أسمعت هذه الكلمات الحية ؟ أنها تصف « الصمد » الذي ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾[1] ولا يستغني عنه أي شيء ». أ.هـ.

وحديث الشفاعة في الموقف العظيم وهو حديث آحاد. لم ينكر لفظه

(١) سورة الشورى الآية ١١.

الشيخ محمد الغزالي، ولم يرده. وإنما أوله. والتأويل ليس بانكار للنص، وإنما هو تفسير. ففي « قذائف الحق » وفي « من هنا نعلم » يقول: « الشفاعة العظمى — في رأيي — هي موقف يحاكم فيه التاريخ البشر كلهم، ليعترف أن انصرافه عن الاسلام كان مشاقة لله، وعداء لأحب أوليائه وأصدق دعاته »[1].

* * *

وأحاديث الآحاد التي ينكر بعضها الشيخ محمد الغزالي — رضي الله عنه — هي الأحاديث التي رواها واحد عن واحد، أو واحد عن جماعة عن واحد. وقد منع القرآن الكريم من شهادة الواحد في قوله تعالى: ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رجالكم** ﴾[2] وفي قوله: ﴿ **ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ﴾[3] فكيف يخالفون القرآن ويقبلون في اثبات عقائد شهادة واحد؟ مع علمهم بأن اليهود دسوا في الأحاديث الصحيحة أحاديث ضعيفة. كيف يقبلون رواية الواحد وهم يروون في كتبهم: أن الزنادقة وضعوا في الأحاديث ما ليس صحيح النسبة الى رسول الله ﷺ؟

قال ابن حبان: محمد بن عبد الرحمن البيلماني حدث عن أبيه نسخة شبيهة بمائتي حديث كلها موضوعة. وقال ابن حبان عن صدقة بن عبدالله السمين: يروي عن ابن المنكدر عن جابر نسخة موضوعة. وعبد العزيز ابن أبي رواد، روى عن نافع عن ابن عمر نسخة موضوعة[4].

---

(١) ص ١٧٥ قذائف الحق.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٢. (٣) سورة الحجرات الآية ٦.

(٤) ص ٨٨ دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه للدكتور محمد مصطفى الاعظمي.

وفي كتاب الجرح والتعديل للرازي ١ /١ : ٢٩٥ ابان بن أبي عياش. قال أبو عوانة: أتيت ابان بن أبي عياش بكتاب فيه حديث من حديثه، وفي اسفل الكتاب حديث رجل من أهل واسط. فقرأه عليّ أجمع.

وفي ٢ /٢ : ٦١ : عبد الله بن زياد بن سمعان. قال أبو مسهر: سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول: قدم عليهم ابن سمعان فأخرج اليهم كتبه، فزادوا فيها. فلما حدثهم بها، قالوا كذاب.

=

كيف يقبلون رواية الواحد، والأحاديث لم تدون في الكتب لا في حياة النبي ﷺ ولا في حياة الخلفاء الراشدين ؟ ويقولون : ان ابن سبأ اليهودي هو الذي فرق المسلمين الى سنيين وشيعة بالأحاديث الضعيفة التي اختلقها هو ومن اتبعه من اليهود السفهاء. وابن سبأ هذا يروون في كتبهم أنه هو الذي حرض على قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه. فاذا كان الكذب موجوداً في الكتب من اليهود في حياة الراشدين على النبي وصحابته، فما يؤمنكم أن خبر الواحد ليس من يهود مثل ابن سبأ ؟

ورواية الواحد أوجدت في الدين أموراً سيئة منها :

أولاً : التعارض في المعنى. والتعارض يحير الناس في معرفة الحق. والأمثلة على التعارض منها :

١ ــ عن أبي سعيد الخدري قال : استأذنا النبي ﷺ في الكتابة فأبى أن يأذن لنا [أخرجه الترمذي والدارمي وآخرون] وهو صريح في أن النبي ﷺ نهى عن تدوين أحاديثه.

٢ ــ عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « لا تكتبوا عني. ومن كتب عني غير القرآن فليمحه » [تقييد العلم ص ٢٩ ــ ٣٢].

٣ ــ عن أبي هريرة قال : بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً قد كتبوا حديثه.

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ما هذه الكتب التي بلغني أنكم قد كتبتم ؟ إنما أنا بشر. من كان عنده شيء فليأت بها.

= وفي الميزان ١ : ٥١٥ : قال أحمد بن حنبل : كان وكيع اذا أتى على حديث الحسن ابن عمارة، قال : أجز عليه. يعني : أضرب عليه.

وفي هدى الساري : ٢ : ٢٦٠ قال محمد بن حمدويه : سمعت البخاري يقول : احفظ مائة الف حديث صحيح، واحفظ مائتي الف حديث غير صحيح.

فجمعناها فأخرجت » [تقييد العلم ص ٣٤ ــ ٣٥].

٤ ــ وفي رواية علي بن سهل عن زيد بن أسلم قال ابو هريرة : فجمعناها في صعيد واحد فألقيناها في النار [تقييد العلم ص ٣٤].

٥ ــ دخل زيد بن ثابت على معاوية فسأله عن حديث، فأمر انساناً يكتبه، فقال له زيد : ان رسول الله ﷺ أمر أن لا نكتب شيئاً من حديثه. فمحاه [تقييد العلم ص ٣٥].

٦ ــ وعن الشعبي : أن مروان أجلس لزيد بن ثابت رجلاً وراء الستر، ثم دعاه فجلس يسأله ويكتبون، فنظر اليهم زيد. فقال : يا مروان عذرا، انما اقول برأيي [طبقات ابن سعد ٢ /٢ : ١١٧].

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا ــ رضي الله عنه ــ ما نصه : « ولو فرضنا أن بين أحاديث النهي عن الكتابة والاذن بها تعارضا يصح أن يكون به أحدهما ناسخاً للآخر، لكان لنا أن نستدل على كون النهي هو المتأخر. بأمرين :

أحدهما : استدلال من روي عنهم من الصحابة الامتناع عن الكتابة ومنعها بالنهي عنها وذلك بعد وفاة النبي ﷺ.

وثانيهما : عدم تدوين الصحابة للحديث ونشره. ولو دونوا ونشروا، لتواتر ما دونوه »[1] أ.هـ

ومما يقوي رأي السيد محمد رشيد رضا ــ رضي الله عنه ــ : أن البخاري لما شكك في زمان رجم النبي ﷺ لماعز والغامدية بأنه لا يدري أكان رجمه قبل نزول آية الجلد أم بعدها. رد عليه مثبتو الرجم بقولهم : ان الرجم حق لأن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ صرح به في خطبة الجمعة بعد موت النبي ﷺ. ووجه الاستدلال : أن المتأخر

(١) المنار ١٠ : ٧٦٨.

في الزمان وهو قول عمر رضي الله عنه صار ميزاناً لاثبات حكم مشكوك فيه في حياة النبي نفسه، وهذا يدل على أن السنة لم تكن مدونة في حياة الصحابة. والا ما كان عمر يضطر الى اثبات الرجم. واذا ثبت هذا ــ وهو ثابت ــ فعلى أقل تقدير لا تكون أحاديث الآحاد حجة.

ثانياً : أوجدت أحاديث الآحاد تفرقة واختلافاً في صفوف المسلمين. اذ هي التي فرقتهم الى سنيين وشيعة يضرب بعضهم رقاب بعض. وهي التي فرقت السنيين الى السلف والخلف. وكل طائفة تكذب الأخرى وتعاديها. والسلف أنفسهم بأحاديث الآحاد قتل بعضهم بعضاً. والمثال على ذلك :

أن السلف يقوون الأحاديث الواردة في شأن الدجال والمهدي المنتظر، مع أنها أحاديث آحاد، وقد تخيل لجماعة منهم في سنة ١٩٧٩ م أن واحداً منهم هو المهدي المنتظر، ولما قوي خيالهم، ذهبوا الى الكعبة المعظمة واعتزلوا الناس فيها ونادوا على الناس أن يبايعوا هذا الذي تخيلو أنه المهدي. وفي هذه الحادثة سفكت الدماء الزكية مجاناً بلا سبب.

فيا أيها السلفيون هذه نتائج أحاديث الآحاد في المجتمعات الاسلامية وقد أمرنا الله تعالى بأن نحتاط للدين، وبأن نكون أمة واحدة، وبأن نسمع وبأن نعقل. فابتعدوا عن أحاديث الآحاد.

* * *

وهذا الناقد قد عاب على الشيخ محمد الغزالي رفضه لأحاديث نبوية. أن يستدل بها مستدل في العقائد منها : حديث الاسراء والمعراج برواية شريك. وأحاديث الدجال.

وعيب المؤلف الناقد ليس في محله. وذلك لأن شراح الأحاديث أنفسهم قد اختلفوا في تفسيرها وفي حجيتها. فاذا أنا أخذت رأياً وتركت

رأياً. وما تركته أنا قد أخذه غيري وما أخذته أنا لم يعجب غيري. فأي عيب وأي لوم. وكل مسائل الدين فيها الأخذ والرد ؟ واذا أنا رددت حديثاً، قد أعجب به غيري. فمن من العلماء لم يرد ؟ كلهم قبلوا وردوا. وكلهم قد اختلفوا وانتقوا من مسائل الخلاف آراء.

وسيتجلى ذلك من كلامنا الآن في حديث شريك في الاسراء والمعراج. وعلماء السلف يقوونه، لأنه يوافق مذهبهم في التجسيم بلا كيف.

اذ المذهب السلفي يقول : إن الله تعالى بذاته في السماء على العرش. وليس هو في الأرض بذاته، بل بعلمه. وهذا ضد قوله تعالى : ﴿ **وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله وهو الحكيم العليم** ﴾[1] فتفريقهم بين الذات والعلم. لا يشهد له هذا القول الكريم.

والسلفيون يقولون : ان الله تعالى له يد ورجل ورأس. وعين وأذن. وإن الله تعالى يغضب ويفرح وينسى ويتذكر ويحب ويكره، ويمكر ويستحيي ويستهزئ، وأنه يسخط. وأنهم آسفوه، ويجيء ويمشي. ويكشف عن ساقه ويظهر ذاته للمؤمنين، فيرونه وليس بينهم وبينه حجاب، فاذا قلت لهم : ان الله يقول عن نفسه : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾[2] يقولون : له يد ولكن لا شبه لها، وله رجل ولكن لا شبه لها ويغضب غضباً لا شبه له، وينسى نسياناً لا شبه له. ويمكر مكراً لا شبه له. وهكذا.

والقرآن يبطل مذهبهم. فان فيه ﴿ **نسوا الله فنسيهم** ﴾[3] وفيه : ﴿ **لا يضل ربي ولا ينسى** ﴾[4] وفيه : ﴿ **عالم الغيب** ﴾[5] وفيه : ﴿ **فليعلمن**

---

(١) سورة الزخرف الآية ٨٤.
(٢) سورة الشورى الآية ١١.
(٣) سورة التوبة الآية ٦٧.
(٤) سورة طه الآية ٥٢.
(٥) سورة الأنعام الآية ٧٣ وغيرها كثير.

الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾[1] وفيه ﴿ أأمنتم من في السماء ﴾ ؟[2] وفيه ﴿ واسجد واقترب ﴾[3] فان أخذوا بظواهر الألفاظ ولم يؤولوا نسيان الله باهماله للمنافقين، كذبوا قوله الآخر وهو أنه « لا ينسى » وان أخذوا بظاهر النصين. أي أخذوا « نسيهم » على ظاهره، و « لا ينسى » على ظاهره. يكونون مسلمين بمعنيين متناقضين في الظاهر وكذلك في العلم، وكذلك في المكان.

ويرد عليهم الراسخون في العلم بقولهم : ان خالق العالم هو الله وحده، وليس كمثله شيء، وليس له مكان يشار اليه، لقوله : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾[4] وأنه عبر عن نفسه بأن له أعضاء كأعضاء الانسان، وبأن له صفات فعل كصفات الانسان، ليكلم الانسان على قدر عقله. أي أن القرآن تكلم عن الله بلسان بني آدم. أما هو عز وجل فليس انساناً وليس كمثله شيء.

والسلفيون يثبتون رؤية المؤمنين لله بأحاديث آحاد[5]. لا بنصوص

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٣.
(٢) سورة الملك الآية ١٦.
(٣) سورة العلق الآية ١٩.
(٤) سورة الحديد الآية ٤.
(٥) يقول المعتزلة : أن خبر الواحد لا يصح قبوله في اثبات العقائد الاسلامية. فها هو القاضي عبد الجبار بن أحمد في كتابه المغني يرد على السلف والأشاعرة واليشعة في اثباتهم رؤية المؤمنين لله بأحاديث آحاد، فيقول : « ان جميع ما رووه وذكروه هو أخبار آحاد. ولا يجوز قبول ذلك فيما طريقه العلم، لأن كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط ... وانما يعمل بأخبار الآحاد في فروع الدين، وما يصح أن يتبع العمل به غالب الظن. فأما ما عداه، فإن قبوله فيه لا يصح، ولذلك لا يرجع اليه في معرفة التوحيد والعدل وسائر اصول الدين، وذلك يبطل تعلقهم بهذه الأخبار حتى ولو كانت صحيحة السند، وسليمة من الطعن في الرواة، فكيف وقد طعن اهل العلم في رواتها، وذكروا من حالهم ما يمنع من الرجوع الى خبرهم » [ص ٢٢٥ ج ٤ المغني].

وقوله يعمل بأخبار الآحاد في فروع الدين هو قول متأخري المعتزلة.

فالمتقدمون يردون الأحاديث كلها وللنظام أدلة على ذلك ذكرها الامام فخر الدين الرازي في المحصول في أصول الفقه.

قرآنية محكمة. فالنصوص المحكمة في القرآن تنفي رؤية المؤمنين لله في الدنيا والآخرة. وفي القرآن نصوص متشابهة، يردها الراسخون في العلم الى محكمها هذا :

١ ـــ قوله تعالى : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾[1] هو نص محكم في نفي الرؤية.

٢ ـــ قوله تعالى : ﴿ **انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾[2] هو نص متشابه، يحتمل :

(أ) الحجب عن رؤية الذات.

(ب) والحجب عن الجنة. أي عن جنة ربهم يومئذ لمحجوبون.

والمتفق مع المحكم هو المعني الأول وهو الحجب عن الذات فتكون رؤية الله ممتنعة. ومما يقوي نفي الرؤية : قول الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿ **رب أرني أنظر اليك قال لن تراني** ﴾[3].

حديث شريك في الاسراء والمعراج :

وفي الأحاديث النبوية حديث يتفق مع القرآن في المعنى. وهو : أن صحابيا اسمه مسروق سأل عائشة رضي الله عنها : يا أماه هل رأى محمد ربه ؟ قالت : لقد قف شعري مما قلت : أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب. من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب. ثم قرأت : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾[4] فعائشة رضي الله عنها أنكرت رؤية محمد ﷺ لله في ليلة الاسراء والمعراج.

ويقول السلفيون : ان حديث الاسراء والمعراج برواية شريك لا يثبت الرؤية فقط، بل يثبت مجيء الله ومشيه ويده ورجله وكلامه من فم. وكل

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٣.
(٢) سورة المطففين الآية ١٥.
(٣) سورة الأعراف الآية ١٤٣.
(٤) سورة الأنعام الآية ١٠٣.

ذلك بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل. فانه لما فسر الشيخ محمد الغزالي السقا قوله تعالى : ﴿ **ثم دنا فتدلى** ﴾(١) وقوله تعالى : ﴿ **علمه شديد القوى** ﴾(٢) بدنو جبريل عليه السلام من محمد ﷺ وبتعليم جبريل لمحمد. رد عليه ناقده هذا بقوله : قولك ان جبريل هو الذي نزل بالقرآن من السماء الدنيا الى محمد ﷺ. فيه نظر « لأنه ينطوي على أن جبريل لم يسمع القرآن من الله، وينطوي على انكار علو الله على خلقه، وكونه في السماء على العرش استوى. وهذه أكبر وأدهى وأمر من الخطأ في رواية شريك بمراحل »(٣).

ورواية شريك هي : « سمعت أنس بن مالك يقول : ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام ... حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ... واستيقظ وهو في المسجد الحرام » ويقول ابن كثير في تفسيره معقباً عليها ما نصه : « هكذا ساقه البخاري في كتاب التوحيد، ورواه في صفة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن سعيد عن ابن وهب عن سليمان. قال : فزاد ونقص وقدم وأخر، وهو كما قال مسلم. فإن شريك بن عبدالله بن أبي نمر، اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه ــ كما سيأتي بيانه ان شاء الله في الأحاديث الأخرى ــ ومنهم من يجعل هذا مناماً، توطئة لما وقع بعد ذلك. والله أعلم. وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي : في حديث شريك زيادة تفرد بها، على مذهب من زعم أنه ﷺ رأى الله عز وجل يعني قوله : ﴿ **ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾(٤)

(١) سورة النجم الآية ٨.
(٢) سورة النجم الآية ٥.
(٣) ص ١٢٨ كشف موقف الغزالي.
(٤) سورة النجم الآيتان ٨ و ٩.

قال : وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصح، وهذا الذي قاله البيهقي ـــ رحمه الله ـــ في هذه المسألة هو الحق. فإن أبا ذر قال : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال : « نور أنى أراه » وفي رواية : « رأيت نوراً » أخرجه مسلم.

وقوله : ﴿ **ثم دنا فتدلى** ﴾ انما هو جبريل ـــ عليه السلام ـــ كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين، وعن ابن مسعود، وكذلك هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة. ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا » أ.هـ.

فيا أيها المؤلف الناقد للشيخ محمد الغزالي هذا هو حديث شريك وهذا هو نص كلام الامام ابن كثير فيه من تفسيره المسمى بتفسير القرآن العظيم. فلماذا تسب الشيخ محمد الغزالي وتشتمه، وهو لم يقرر الا ما قرره السابقون عليه من الائمة الأعلام ؟

لماذا ؟ ولماذا غفلت عن بدء حديث شريك ونهايته ؟ ورؤيا الأنبياء كاليقظة.

وهذا بدؤه : « وهو نائم في المسجد » وهذه هي نهايته : « واستيقظ وهو في المسجد الحرام » فافهم كما فهم معاوية والحسن ـــ رضي الله عنهما ـــ وافهم كما فهم من حكى عنهم ابن كثير وهو : « ومنهم من يجعل ذلك مناماً توطئة لما وقع بعد ذلك ».

* * *

وعند هذا الحد. ثم ردنا على تعارض النصوص وموهم تعارضها في رؤية النبي ﷺ في ليلة الاسراء. وقد ظهر من الرد : نفي الرؤية. وأن الشيخ محمد الغزالي على حق في نفيها.

وبعد هذا أرى من تمام الرد : ايراد حجج الفلاسفة المشائين على اثبات الوحدانية لخالق العالم، وعلى نفي الجسمية عنه. وأتبعه برأي علماء

بني اسرائيل في الوحدانية ونفي الجسمية. وغرضي من ذلك : أن أعلم المؤلف الناقد طرق اثبات الاله بالكلام الذي لم يدرسه. ليذهب الى أمم الأرض ــ ان ذهب ــ داعياً لهم الى الدين، بالمنطق الذي درسوه ووعوه، وبالاقناع الذي تعودوا به على فهم الحقائق.

الأدلة الفلسفية
على أن الله ليس بجسم

برهن « أرسطو » والفلاسفة المشاءون على صحة خمس وعشرين مقدمة. وهذه المقدمات يمكن أن نبرهن بها على أن خالق العالم واحد وليس بجسم. وهي باختصار هكذا : وقد شرحها الامام فخر الدين الرازي في كتابه شرح عيون الحكمة، وشرحها الامام التبريزي[1] والشرحان مطبوعان في مصر.

المقدمة الأولى : ان وجود شيء كبير. لا نهاية له : محال.

المقدمة الثانية : ان وجود أعظام ــ أي أشياء كبيرة ــ لا نهاية لعددها محال ــ وهي أن تكون موجودة معاً ــ

المقدمة الثالثة : ان وجود علل ومعلولات، لا نهاية لعددها محال. سواء كانت ذوات عظم أم لا. مثل أن يكون هذا العقل سببه عقل ثان. والثاني سببه ثالث. وهكذا.

المقدمة الرابعة : ان التغير يوجد في أربع مقولات. في مقولة الجوهر أي بكونه وفساده. وفي مقولة الكم. وهو النمو والاضمحلال وفي مقولة الكيف. وهو الاستحالة. وفي مقولة الأين. وهو حركة النقلة. والتغير في الاين يقال له : الحركة بخصوص.

---

(١) النصوص بالمعنى غالباً من دلالة الحائرين.

ومثال التغير في الجوهر : هو أن يصير الماء هواء وبالعكس. ومثال التغير في الكم : هو أن يصير مقدار الجسم أزيد مما كان أو أنقص مما كان. ومثال التغير في الكيف هو : الاصفرار والاحمرار. ويسمى استحالة. ومثال التغير في الأين هو حركة النقلة من مكان الى آخر. وهذه النقلة تعم كل متحرك.

المقدمة الخامسة : ان كل حركة، تغير، هي خروج من القوة الى الفعل.

المقدمة السادسة : ان الحركات. منها ما بالذات، ومنها ما بالعرض، ومنها ما بالقسر، ومنها ما بالجزء ـــ وهو نوع مما بالعرض ـــ أما التي بالذات فكانتقال جسم من موضع الى موضع.

وأما التي بالعرض فكما يقال في السواد الذي هو في الجسم، انه انتقل من موضعه الى موضع. وأما التي بالقسر فكحركة الحجر الى فوق بقاسر يقسرها على ذلك. وأما التي بالجزء فكحركة المسمار في السفينة، لأنه اذا تحركت السفينة نقول : انه قد تحرك المسمار أيضاً.

وهكذا كل مؤلف يتحرك بجملته. يقال : ان جزءه قد تحرك.

المقدمة السابعة : ان كل متغير منقسم، وكذلك كل متحرك منقسم. وهو جسم ضرورة. وكل ما لا ينقسم لا يتحرك. ولذلك لا يكون جسماً أصلاً.

المقدمة الثامنة : ان كل ما يتحرك بالعرض، فهو يسكن ضرورة، اذ ليس حركته بذاته. ولذلك لا يمكن أن يتحرك تلك الحركة العرضية دائماً.

المقدمة التاسعة : ان كل جسم يحرك جسماً، فإنما يحركه بأن يتحرك هو أيضاً في حال تحريكه.

المقدمة العاشرة : ان كل ما يقال انه في جسم، ينقسم الى قسمين : اما أن يكون قوامه بالجسم، كالأعراض، أو يكون قوام الجسم به، كالصورة الطبيعية. وكلاهما قوة في جسم.

المقدمة الحادية عشرة : ان بعض الأشياء التي قوامها بالجسم، قد تنقسم بانقسام الجسم. فتكون منقسمة بالعرض كالألوان وسائر القوى الشائعة في جميع الجسم. وكذلك بعض المقومات للجسم لا تنقسم بوجه كالتنفس والعقل.

المقدمة الثانية عشرة : ان كل قوة توجد شائعة في جسم. فهي متناهية، لكون ذلك الجسم متناهياً.

المقدمة الثالثة عشرة : انه لا يمكن أن يكون شيء من أنواع التغير متصلاً، الا حركة النقلة فقط، والدورية منها.

المقدمة الرابعة عشرة : ان حركة النقلة هي أقدم الحركات، وأولها بالطبع، لأن الكون والفساد تتقدمهما استحالة. والاستحالة يتقدمها قرب المحيل من المستحيل. ولا نمو ولا نقص، الا ويتقدمه كون وفساد.

المقدمة الخامسة عشرة : ان الزمان عرض تابع للحركة ولازم لها. ولا يوجد أحدهما دون الآخر. فلا توجد حركة الا في زمان، ولا يعقل زمان الا مع حركة. وكل ما لا توجد له حركة، فليس هو واقعاً تحت الزمان.

المقدمة السادسة عشرة : ان كل ما ليس بجسم، فلا يعقل فيه تعدد، الا بأن يكون قوة في جسم. فتعدد أشخاص تلك القوى، بتعدد موادها أو موضوعاتها. وكذلك الأمور المفارقة التي ليست بجسم ولا قوة في جسم، لا يعقل فيها تعدد أصلاً، الا بأن تكون عللاً ومعلولات.

المقدمة السابعة عشرة : ان كل متحرك فله محرك ضرورة. إما خارج عنه كالحجر تحركه اليد. أو يكون محركه فيه، كجسم الحيوان، فإنه مؤلف من محرك ومتحرك. ولذلك اذا مات وعدم منه المحرك ــ وهو

النفس ــ يبقى المتحرك ــ وهو الجسد، في الحين كما كان. الا أنه لا يتحرك تلك الحركة. ولما كان المحرك الموجود في المتحرك خفياً لا يظهر للحس، ظن بالحيوان أنه يتحرك دون محرك.

وكل متحرك يكون محركه فيه. فهو الذي يسمى المتحرك من تلقائه، ومعناه : أن القوة المحركة ــ لما يتحرك منه بالذات ــ موجودة في جملته.

المقدمة الثامنة عشرة : ان كل ما يخرج من القوة الى الفعل. فمخرجه غيره. وهو خارج عنه ضرورة. لأنه لو كان المخرج فيه ولم يكن هناك مانع، لما وجدا بالقوة وقتاً ما.. بل كان يكون بالفعل دائماً. فان كان مخرجه فيه، وكان له مانع، فارتفع. فلا شك : أن مزيل المانع هو الذي أخرج تلك القوة الى الفعل.

المقدمة التاسعة عشرة : ان كل ما لوجوده سبب، فهو ممكن الوجود باعتبار ذاته، لأنه ان حضرت أسبابه وجد، وان لم تحضر أو عدمت أو تغيرت نسبتها الموجبة لوجوده، لم يوجد.

المقدمة العشرون : ان كل واجب الوجود باعتبار ذاته، فلا سبب لوجوده بوجه، ولا على حال.

المقدمة الحادية والعشرون : ان كل مركب من معنيين، فان ذلك التركيب هو سبب وجوده على ما هو عليه. فليس هو واجب الوجود بذاته، لأن وجوده بوجود جزئيه وبتركيبهما.

المقدمة الثانية والعشرون : ان كل جسم فهو مركب من معنيين ضرورة، وتلحقه أعراض ضرورة. أما المعنيان المقومان له، فمادته وصورته، وأما الأعراض اللاحقة له، فالكم والشكل والوضع.

المقدمة الثالثة والعشرون : ان كل ما هو بالقوة، وله في ذاته إمكان ما، فقد يمكن في وقت ما، أن لا يوجد بالفعل.

المقدمة الرابعة والعشرون : ان كل ما هو بالقوة شيء ما، فهو ذو مادة ضرورة. لأن الامكان هو في المادة أبداً.

المادة الخامسة والعشرون : الجوهر يتركب من مادة وصورة. ويلزم من وجود الجوهر على صورته : محركاً هيأ المادة لقبول الصورة. ويلزم على الجوهر والمحرك النظر في ثلاثة اشياء هي الحركة، والمحرك والشيء المتحرك.

فقد قال أرسطو : « المادة لا تحرك ذاتها ». فلنبحث عن وجود المحرك الأول.

* * *

تلك هي المقدمات التي برهن على صحتها « أرسطو » والمشاءون.

وله مقدمة يعتمدها للتدليل على قدم العالم. قد ذكرها موسى بن ميمون في دلالة الحائرين. وقال : انها لا تؤكد قوله في قدم العالم.

والمقدمات تؤدي الى الوحدانية ونفي الجسمية عن الله تعالى على هذه الطرق :

الطريقة الأولى للفلاسفة

يلزم بحسب المقدمة الخامسة والعشرين : أن ثم محركاً هو الذي حرك مادة هذا الكائن الفاسد، حتى قبلته الصورة، واذا طلب ذلك المحرك القريب ما حركه، لزم ضرورة : أن يوجد محرك آخر. اما من غير نوعه أو من نوعه، لأن الحركة توجد في الأربع مقولات. وقد يقال عليها : الحركة بعموم ــ كما ذكرنا في المقدمة الرابعة ــ وهذا لا يمر الى لا نهاية ــ كما ذكرنا في المقدمة الثالثة ــ فوجدنا كل حركة تنتهي الى حركة الجسم الخامس. وعندها تقف. ومن تلك الحركة تتفرع واليها يتسلسل كل محرك ومهيّأ في العالم السفلي كله.

والفلك متحرك حركة نقلة. وهي أقدم الحركات. كما ذكر في المقدمة الرابعة عشرة. وكذلك كل حركة نقلة إنما تنتهي لحركة الفلك. كأنك قلت : ان هذا الحجر الذي تحرك : حركه العكاز، والعكاز حركه اليد، واليد حركتها الأوتار، والأوتار حركها العضل، والعضل حركه العصب، والعصب حركه الحر الغريزي. والحر الغريزي حركته الصورة التي فيه. وهي المحرك الأول ــ بلا شك ــ وذلك المحرك أوجب أن يحرك رأياً ــ مثلاً ــ وهو أن يوصل ذلك الحجر، بضرب العكاز له، الى « طاقة » كي يسدها، حتى لا تدخل له منها هذه الريح الهابة، ومحرك تلك الريح، ومولد هبوبها، هي حركة الفلك. وهكذا تجد كل سبب كون وفساد، ينتهي لحركة الفلك.

فلما انتهينا الى هذا الفلك المتحرك، لزم أن يكون له محرك بحسب ما قدم في المقدمة السابعة عشرة.

ولا يخلو أن يكون محركه فيه أو خارجاً عنه، وهذه قسمة ضرورية فان كان خارجاً عنه، فلا يخلو من أن يكون جسماً أو يكون غير جسم. ولا يقال فيه حينئذ : انه خارج عنه، بل يقال : مفارقاً له، لأن ما ليس بجسم فلا يقال فيه : انه خارج عن الجسم الا باتساع في القول. وان كان محركه فيه ــ أعني محرك الفلك ــ فلا يخلو أن يكون محركه قوة شائعة في جميع جسمه ومنقسمة بانقسامه، كالحرارة في النار، أو تكون قوة فيه غير منقسمة، كالنفس والعقل ــ كما تقدم في المقدمة العاشرة ــ فلا بد ضرورة. أن يكون محرك الفلك أحد هذه الأربعة. إما جسم آخر خارج عنه. أو مفارق. أو قوة شائعة فيه. أو قوة غير منقسمة.

أما الوجه الأول وهو أن يكون محرك الفلك جسماً آخر، خارجاً عنه فذلك محال. كما أصف :

لأنه اذ وهو جسم فهو يتحرك عندما يحرك ــ كما ذكر في المقدمة التاسعة ــ فاذ وهذا الجسم السادس أيضاً يتحرك عندما يحرك. فيلزم أن

يحركه جسم سابع. فذلك أيضاً يتحرك فيلزم وجود أجسام لا نهاية لعددها، وحينئذ يتحرك الفلك. وهذا محال ــ كما قدم في المقدمة الثانية ــ.

وأما الوجه الثالث، وهو أن يكون محرك الفلك قوة شائعة فيه. فذلك أيضاً محال كما أصف :

لأن الفلك جسم فهو متناه. ضرورة ــ كما قدم في المقدمة الأولى ــ فتكون متناهية ــ كما ذكر في المقدمة الثانية عشرة ــ فهي تنقسم بانقسامه ــ كما ذكر في المقدمة الحادية عشرة ــ فلا تحرك الى لا نهاية.

وأما الوجه الرابع. وهو أن يكون محرك الفلك قوة فيه غير منقسمة، كنفس الانسان في الانسان مثلاً. فإن هذا أيضاً محال أن يكون هذا المحرك وحده سبباً في الحركة الدائمة، وان كانت غير منقسمة. وبيان ذلك :

أنه ان كان هذا محركه الأول. فهذا المحرك هو متحرك بالعرض ــ كما ذكر في المقدمة السادسة ــ وأنا أزيد هنا بياناً :

وذلك أن الانسان مثلاً اذا حركته نفسه التي هي صورته، حتى طلع من البيت الى الغرفة فجسمه هو الذي تحرك بالذات، والنفس هي المحرك الأول بالذات، لكنها قد تحركت بالعرض. لأن بانتقال الجسم من البيت للغرفة، انتقلت النفس التي كانت في البيت وصارتْ في الغرفة فان سكن تحريك النفس، سكن الذي تحرك عنها ــ وهو الجسم ــ وبسكون الجسم ترتفع الحركة العرضية الحاصلة للنفس. وكل متحرك بالعرض، يسكن. ضرورة ــ كما ذكر في المقدمة الثامنة ــ واذا سكن، سكن المتحرك عنه. فيلزم أن يكون لذلك المحرك الأول سبب آخر. ضرورة. خارجاً عن الجملة المركبة من محرك ومتحرك، اذا حضر ذلك السبب

الذي هو ابتداء الحركة ــ حرك المحرك الأول الذي في تلك الجملة للمتحرك منها، وان لم يحضر، سكن.

ولهذا السبب لا تتحرك أجسام الحيوان دائماً، وانِ كان في كل واحد منها محرك أول لا ينقسم، لأن محركها ليس هو محركاً دائماً بالذات، بل الدواعي له للتحريك أمور خارجة عنه. أما طلب موالف أو هرب من مخالف، أو تخيل أو تصور، في من له تصور، وحينئذ تحرك. واذا حرك تحرك بالعرض. فلا بد أن يسكن ــ كما ذكرنا ــ فلو كان محرك الفلك فيه على هذا الوجه، لما أمكن أن يتحرك سرمداً. فان كانت هذه الحركة دائمة سرمدية ــ كما ذكر أرسطو ــ وذلك ممكن ــ كما ذكر في المقدمة الثالثة عشرة ــ فيلزم ضرورة بحسب هذا الرأي أن يكون السبب الأول لحركة الفلك على الوجه الثاني ــ أعني مفارقاً للفلك كما اقتضته القسمة ــ

فقد تبرهن أن محرك الفلك الأول ان كانت حركته سرمدية دائمة، يلزم أن يكون لا جسماً ولا قوة في جسم اصلاً حتى لا تكون لمحركه حركة، لا بالذات ولا بالعرض. فلذلك لا يقبل قسمة ولا تغيراً ــ كما ذكر في المقدمتين السابعة والخامسة ــ

وهذا هو الاله ــ جل اسمه ــ أعني : السبب الأول المحرك للفلك. ويستحيل كونه اثنين أو أكثر، لاستحالة تعدد الأمور المفارقة التي ليست بجسم، الا بأن يكون أحدها علة والآخر معلولاً ــ كما ذكر في المقدمة السادسة عشرة ــ

وقد تبين : أنه ليس بواقع تحت الزمان أيضاً، لامتناع الحركة في حقه ــ كما ذكر في المقدمة الخامسة عشرة ــ فقد ودى هذا النظر بالبرهان : الى ان الفلك محال أن يحرك ذاته حركة سرمدية، وأن السبب الأول في تحريكه ليس هو جسماً ولا قوة في جسم، وأنه واحد لا يتغير،

لأنه ليس وجوده مقترناً بزمان. وهذه هي الثلاثة مطالب التي برهن عليها فضلاء الفلاسفة.

الطريقة الثانية للفلاسفة

قدم « أرسطو » مقدمة، وهي « أنه اذا وجد شيء مركب من شيئين، ووجد أحد الشيئين على انفراده خارجاً عن ذلك الشيء المركب، لزم وجود الآخر ضرورة خارجاً أيضاً عن ذلك الشيء المركب، لأنه لو كان وجودهما يقتضي أن لا يوجدا الا معا، كالمادة والصورة الطبيعية، لما وجد أحدهما دون الآخر بوجه. فوجود أحدهما على انفراده، دليل على عدم التلازم، اذ سيوجد الآخر. ضرورة. مثاله : اذا وجد « السكنجبين » ووجد ايضاً العسل، لزم ضرورة وجود الخل وحده ».

وبعد تبيينه هذه المقدمة. قال : « انا نجد أشياء كثيرة مركبة من محرك ومتحرك. يعني : انها تحرك غيرها وتتحرك من غيرها حين ما تحرك. وذلك بين بالمتوسطات في التحريكات كلها، ونجد متحركاً لا يحرك أصلاً. وهو آخر متحرك. فيلزم ضرورة : أن يوجد محرك لا يتحرك أصلاً. وذلك هو المحرك الأول. ومن حيث لا تمكن فيه حركة، فهو لا منقسم ولا جسم ولا واقع تحت زمان.

الطريقة الثالثة للفلاسفة : وهي مأخوذة من كلام لـ « ارسطو » في غرض آخر

لا شك أن ثم أموراً موجودة. وهي هذه الموجودات المدركة حساً. ولا يخلو الأمر من ثلاثة أقسام ــ وهي قسمة ضرورية ــ أن تكون الموجودات كلها غير كائنة ولا فاسدة، أو تكون كلها كائنة فاسدة، أو يكون بعضها كائناً فاسداً وبعضها غير كائن ولا فاسد.

أما القسم الأول. فبيِّنٌ المحال، لأنا نشاهد موجودات كثيرة كائنة فاسدة. وأما القسم الثاني فهو أيضاً محال. وبيانه : انه ان كان كل

موجود واقعاً تحت الكون والفساد، فالموجودات كلها، كل واحد منها ممكن الفساد. والممكن في النوع لا بد ـــ ضرورة ـــ من وقوعه ـــ كما علمت ـــ فيلزم أنها تفسد ـــ أعني : الموجودات كلها ـــ واذا فسدت كلها، فمحال أن يوجد شيء. لأنه لم يبق من يوجد شيئاً. ولذلك يلزم أن لا يكون شيء موجوداً البتة. ونحن نشاهد أشياء موجودة ـــ وها نحن موجودون ـــ فيلزم ضرورة بهذا النظر : ان كان ثم موجودات كائنة فاسدة ـــ كما نشاهد ـــ ان يكون ثم موجود ما، لا كائن ولا فاسد. وهذا الموجود الغير كائن ولا فاسد، لا امكان فساد فيه أصلاً، بل هو واجب الوجود، لا ممكن الوجود.

وقال « أرسطو » أيضاً : انه لا يخلو كونه واجب الوجود، من أن يكون ذلك باعتبار ذاته أو باعتبار سببه، حتى يكون وجوده وعدمه ممكناً باعتبار ذاته، واجباً باعتبار سببه، فيكون سببه هو الواجب الوجود ـــ كما ذكر في المقدمة التاسعة عشرة ـــ.

فقد برهن : أنه لا بد ضرورة أن يكون ثم موجود واجب الوجود باعتبار ذاته.

ولولاه لما كان ثم موجود أصلاً. لا كائن فاسد، ولا ما ليس بكائن ولا فاسد. ان كان ثم شيء يوجد هكذا ـــ كما يقول أرسطو ـــ أعني : أن لا يكون كائناً ولا فاسداً، لكونه معلوماً بعلة واجبة الوجود. وهذا برهان لا شك فيه ولا مدافعة فيه ولا منازعة، الا لمن يجهل طريق البرهان.

ثم تقول : ان كان واجب الوجود باعتبار ذاته، يلزم ضرورة أن لا يكون لوجوده سبب ـــ كما ذكر في المقدمة العشرين ـــ ولا يكون فيه تكثير معان أصلاً ـــ كما ذكر في المقدمة الحادية والعشرين ـــ ولذلك يلزم أن لا يكون جسماً ولا قوة في جسم ـــ كما ذكر في المقدمة الثانية والعشرين ـــ.

فقد تبرهن بحسب هذا النظر : أن ثم موجوداً لازم الوجود باعتبار ذاته ضرورة. وهو الذي لا سبب لوجوده ولا تركيب فيه. فلذلك لا يكون جسماً ولا قوة في جسم. وهذا هو الاله ــ جل اسمه ــ

وكذلك يتبرهن بسهولة : ان وجوب الوجود باعتبار الذات، يستحيل أن يوجد لاثنين. لأن يكون نوع وجوب الوجود معنى زائداً على ذات كل واحد منهما، فلا يكون واحد منهما واجب الوجود بذاته فقط، بل واجباً بذلك المعنى ــ الذي هو نوع وجوب الوجود الذي وجد لهذا أو لغيره ــ وقد بين بوجوه عدة : أن الواجب الوجود، لا تصح فيه الثنوية بوجه. لا ند ولا ضد. وعلة ذلك كله : البساطة المحضة، والكمال المحض الذي لا يفضل عنه شيء خارجاً عن ذاته من نوعه، وعدم العلة والسبب من كل جهة، فلا مشاركة أصلاً.

الطريقة الرابعة للفلاسفة

معلوم : انا نرى دائماً أموراً تكون بالقوة، وتخرج الى الفعل. وكل ما يخرج من القوة الى الفعل، فله مخرج خارج عنه ــ كما ذكر في المقدمة الثامنة عشرة ــ وبين هو ايضاً : ان ذلك المخرج كان مخرجاً بالقوة، ثم صار مخرجاً بالفعل. وعلة كونه كان بالقوة : إما لمانع من نفسه أو لنسبة ما كانت مرتفعة بينه وبين ما أخرجه. فلما حصلت تلك النسبة، أخرج بالفعل. وكل واحد من هذين يقتضي مخرجاً أو مزيلاً عائقاً. ضرورة. وهكذا يلزم أن يقال في المخرج الثاني أو مزيل العائق. وهذا لا يمر الى لا نهاية. فلا بد من الانتهاء لمخرج من القوة الى الفعل يكون موجوداً أبداً على حالة واحدة، لا قوة فيه أصلاً. أعني : أنه لا يكون فيه في ذاته شيء بالقوة، لأنه ان كان في ذاته إمكان، فقد يعدم ــ كما ذكر في المقدمة الثالثة والعشرين ــ ومحال أن يكون ذا مادة، بل مفارقاً ــ كما ذكر في المقدمة الرابعة والعشرين ــ والمفارق الذي لا

امكان فيه أصلاً، بل هو موجود بذاته. هو الاله. وقد تبين : أنه لا جسم. فهو واحد ـــ كما ذكر في المقدمة السادسة عشرة ـــ وهذه كلها طرق برهانية على وجود اله واحد، لا جسم ولا قوة في جسم مع اعتقاد قدم العالم. ونحن لا نعتقده.

الطريقة الخامسة للفلاسفة على نفي التجسيم واثبات الوحدانية

أنه لو كان الهان، للزم ضرورة أن يكون لهما معنى واحد يشتركان فيه. وهو المعنى الذي به استحق كل واحد منهما أن يكون الها. ولهما معنى آخر. ضرورة. به وقع التباين وصارا اثنين. إما بأن يكون في كل واحد منهما معنى غير المعنى الذي في الآخر فيكون كل واحد منهما مركباً من معنيين، فلا واحد منهما سبباً أوّل ولازم الوجود باعتبار ذاته، بل واحد منهما ذو أسباب ـــ كما بيَّن في المقدمة التاسعة عشرة ـــ وان كان معنى التباين موجوداً في أحدهما. فذلك الذي فيه المعنيان، غير واجب الوجود بذاته.

الطريقة السادسة للفلاسفة على نفي التجسيم

كل جسم مركب ـــ كما ذكر في المقدمة الثانية والعشرين ـــ وكل مركب فلا بد له من فاعل. هو السبب لوجود صورته في مادته. وبين هو جدا : أن كل جسم قابل للانقسام. وله أبعاد. فهو محل للأعراض ـــ بلا شك ـــ فليس الجسم واحداً. لا من جهة انقسامه، ولا من جهة تركيبه. أعني كونه اثنين بالقول، لأن كل جسم انما هو جسم ما، من أجل معنى زائد فيه على كونه جسماً. فهو ذو معنيين. ضرورة.

الطريقة السابعة للفلاسفة وهي على أن واجب الوجود لا تركيب فيه بوجه من الوجوه، وانه واحد

قد صح بالبرهان : أن الموجود كله كشخص واحد مرتبط بعضه

ببعض، وأن قوى الفلك سارية في هذه المادة السفلية ومهيَّأة لها، فيستحيل مع هذا الذي قد صح : أن يكون الاله الواحد منفرداً بجزء من أجزاء هذا الموجود، والاله الثاني ينفرد بجزء آخر. اذ هذا مرتبط بهذا. فلم يبق في التقسيم الا أن يكون هذا يفعل وقتاً، وهذا يفعل وقتاً. أو أن يكونا جميعاً يفعلان معاً دائماً، حتى لا يتم فعل من الأفعال الا منهما جميعاً. أما كون هذا يفعل وقتاً، وهذا يفعل وقتاً، فهو محال من وجوه شتى، لأنه ان كان الزمان الذي يفعل فيه أحدهما ممكناً أن يفعل فيه الآخر، فما السبب الموجب لأن يفعل هذا أو يبطل هذا ؟ وان كان الزمان الذي يفعل فيه أحدهما يمتنع على الآخر أن يفعل فيه. فثم سبب آخر هو الذي أوجب امكان الفعل لهذا، وامتناعه على هذا. اذ والزمان كله لا اختلاف فيه والموضوع للعمل موضوع واحد منهما يخرج من القوة الى الفعل في زمان فعله ما يفعل. فيحتاج كل واحد منهما الى مخرج من القوة الى الفعل.

وأيضاً : يكون في ذات كل واحد منهما : امكان.

فاما أن يكونا جميعاً يفعلان دائماً كل ما في الوجود، حتى لا يفعل أحدهما دون الآخر. وهذا أيضاً محال ــ كما أصف ــ وذلك : أن كل جملة لا يتم فعل ما، الا بجميعها. فلا واحد منها فاعلاً، باعتبار ذاته، ولا واحد منها أيضاً سبباً أوّل لذلك الفعل، بل السبب الأول هو اجتماع الجملة.

وقد تبرهن : أن الواجب الوجود، يلزم ضرورة : أن لا يكون له سبب.

وأيضاً : ان اجتماع الجملة فعل ما. فهو مفتقر لسبب آخر ــ وهو جامع الجملة ــ فان كان الجامع لتلك الجملة التي لا يتم الفعل الا بها واحداً، فهو الاله ــ بلا شك ــ وان كان الجامع ايضاً لهذه الجملة جملة أخرى، لزم الجملة الثانية مثل ما لزم الجملة الأولى. فلا بد من

الانتهاء لواحد، هو السبب في وجود هذا الموجود الواحد، على أي وجه كان. إما على جهة احداثه بعد عدم، أو على جهة اللزوم.

التوحيد والتنزيه عند أهل الكتاب

هذا كلام الفلاسفة على أن خالق العالم واحد، وعلى أنه ليس بجسم. وأما أهل الكتاب. فإن النصارى الأرثوذكس يصرحون بأن الواحد انقلب الى « مسيح » أي صار جسماً. والكاثوليك يصرحون بأن الله ثالث ثلاثة. ثانيهم المسيح عيسى ابن مريم الذي تولد من الله بالطبيعة، وثالثهم الروح الذي انبثق من الله والمسيح. واليهود يصرحون بالتوحيد وبالتنزيه. فهم في العقيدة أحسن من النصارى بكثير.

ففي التوراة ــ على سبيل المثال ــ : « فحزن الرب أنه عمل الانسان. وتأسف في قلبه » [تك ٦ : ٦] ويقول الله عن نفسه : « اني ارفع الى السماء يدي وأقول : حي أنا-الى الأبد » [تث ٣٢ : ٤٠] وهذا وشبهه يدل على أن الله يحزن ويتأسف وله يد، يرفعها ويخفضها. وبل انه « تنسم الرب رائحة الرضا » [تك ٨ : ٢١].

وعلماء بني اسرائيل يقولون : نحن وأصحاب محمد في معرفة الله والايمان بالنبوة والوحي سواء. والخلاف بيننا وبينهم في أنهم لا يعملون بشريعة موسى، ونحن نعمل بها، وهم يعملون بشريعة محمد، ونحن لا نعمل بها.

وهذا قد أشار الله اليه في قوله تعالى :

﴿ **واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا** ﴾[1].

أي نعمل بشريعة موسى عليه السلام. وقد رد الله عليهم بانكم اذا كنتم

---

(١) سورة البقرة الآية ٩١.

ملتزمين بشريعة موسى، فلِمَ قتلتم الأنبياء الذين بعثتهم اليكم لاصلاحها ؟ اذن لستم ملتزمين بها، ولو كنتم ملتزمين بها حقاً. فان فيها نصوصاً عن مجيء محمد عليه السلام وها هو قد جاء فلماذا لم تؤمنوا به ؟ أنتم مشاغبون. يقول تعالى : ﴿ **واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله** ﴾ أي بالقرآن ﴿ **قالوا : نؤمن بما أنزل علينا** ﴾ أي نعمل بكتاب موسى وهو التوراة ﴿ **ويكفرون بما وراءه** ﴾ وهو القرآن ﴿ **قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين** ﴾ ؟[1]

ولا كلام لنا هنا مع علماء بني اسرائيل في الشريعة، بل في العقيدة.

أيها العلماء. أنتم تقولون إن الله هو الخالق للعالم وحده. فهل تعتقدون أنه جسم ؟ وهل تعتقدون أنه في السماء بذاته ؟ يقول علماء بني اسرائيل : ان الله ليس جسماً. ويستدلون على نفي الجسمية بالأدلة العقلية التي حكيناها عن الفلاسفة، وبالأدلة النقلية من التوراة. فيقولون : ان النص المحكم عندنا في التوراة على نفي الجسمية هو : « ليس مثل الله » [تث ٣٣ : ٢٦] وما ورد عن أسفه ويده قد ورد على طريق المتشابه. والمراد منه : أن التوراة تكلمت عن الله بلسان بني آدم. وقد بالغ « ابن كمونة » في كتابه « تنقيح الأبحاث » في نفي شبهة التجسيم عن الله. وقال ما معناه : ان الله ليس بجسم. وما ورد عندنا من تنسم الرب رائحة الرضا وفي بعض التراجم استنشق قتار القرابين وشبهه. فله شبيه عند المسلمين وهو في القرآن : ﴿ **فلما آسفونا انتقمنا منهم** ﴾[2] وفي الحديث : « ان الصدقة تكون في يد الرب قبل أن تكون في يد السائل » وفي القرآن : ﴿ **انما يتقبل الله من المتقين** ﴾[3] ويقول المسلمون : ان الجسمية ممتنعة عن الله بقوله : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾[4] ونقول بقولهم لأن في توراتنا : « ليس مثل الله » هذا معنى كلامه.

---

(١) سورة البقرة الآية ٩١.
(٢) سورة الزخرف الآية ٥٥.
(٣) سورة المائدة الآية ٢٧.
(٤) سورة الشورى الآية ١١.

وفي دلالة الحائرين يذكر المؤلف المقدمات الخمس والعشرين ويرتب عليها : ان الله ليس بجسم. ويقول عن حكماء بني اسرائيل : « انهم لم يخطر لهم التجسيم ببال، يوما قط، ولا كان عندهم أمر يوهم أو يلبس. ولذلك تجدهم في جميع التلمود والمدرشوت مستمرين على تلك الظواهر النبوية، لعلمهم : أن هذا شيء، أمن فيه الالتباس، ولا يخاف منه غلط بوجه، بل الكل على جهة التمثيل وارشاد الذهن لموجود. فلما استقر التمثيل، لأنه ــ تعالى ــ مثل بملك يأمر وينهى ويعاقب ويجازي أهل بلاده، وله خدام ومتصرفون ينفذون أوامره وفاعلون له ما يريد فعله، استمروا هم أيضاً ــ أعني الحكماء ــ على ذلك المثل في كل موضع ويتكلمون بحسب ما يلزم عن هذا التمثيل من الكلام، والجواب والتردد في الأمر وما نحا هذا النحو من أفعال الملوك. وهم في ذلك كله واطنون آمنون أن لا يلبس هذا ولا يشكل »[1].

فانظر الى هذا الرجل الذي يدفع الجسمية عن الله ــ وهو يهودي ــ ويرد شبه التجسيم. وانظر الى حال المسلم السلفي الذي يصر على الجسمية. ويدافع عن اثباتها. أيهما أحسن حالا ؟

الجسمية عند السلف

سافر « خالد » بتجارة الى « اليمن » وعاد بمال وفير، صرح بأنه له، لما رآه الناس رأي العين. وكان له صديقان أحدهما يسمى « نافع » وثانيهما يسمى « صالح » فدخلا عليه وسلما. ثم قال نافع : أقرضني مائة دينار لحاجة أهلي. وقال صالح : لقد فرحت اليوم بلقائك. فقد خرجت من بيتي وليس فيه كسرة خبز يسند عيالي بها قلوبهم. فقام خالد وأعطى نافع مائة، وأعطى صالح مائة. فقال بعض الحاضرين بعد انصرافهما : لماذا أعطيت صالح وهو لم يطلب ؟ فقال : بل طلب. ما معنى أن عياله

(١) دلالة الحائرين فصل [مو = ٤٦].

ليس عندهم كسرة خبز يسندون بها قلوبهم ؟ فضحك بعض الحاضرين وقال على سبيل الدعابة :

كان لرجل زوجة حسناء. وكان لا يأتيها كثيراً لحرصه على حياته. فاشتهته يوماً وتزينت له، فلم يفطن لمرادها. فعاودت الزينة والتثني والتكسر والدلال. ولما ضاق بها الحال. اشترت له حق « ششم » ـــ وهو مثل الدقيق يوضع في العين المريضة لتصح ـــ وقالت له : ضع من هذا في عينيك. فقال : ليستا مريضتين. وحكى لصديق له قولها. فضحك على غبائه. وأفهمه المراد. وهو أنها تشتهي الوقاع.

فهذان الرجلان اللذان احتاجا المال وأحدهما صرح وثانيهما لم يصرح. أيوجد من حالتيهما فرق بين التصريح والتلميح ؟ أما أنا فلا أعتقد فرقاً.

وهكذا من يقول هو جسم، ومن يقول : له يد لا نعلم كيفيتها ولا شبهها. فالاثنان معاً يشتركان في اثبات جسم، وينفرد أحدهما بنفي الكيفية عن الجسم. فإن من يقول : عندي قلم، ولكن ليس كقلمك. يثبت جسم القلم، وينفي هيئته، ولا ينفي جسم القلم بالكلية.

هذا على لازم المعنى. وأما على صريح اللفظ. فان ابن تيمية في التأسيس يقول : « والباري ـــ سبحانه وتعالى ـــ فوق العالم فوقية حقيقية، ليست فوقية الرتبة. كما أن التقدم على الشيء، قد يقال : انه بمجرد الرتبة، كما يكون بالمكان. مثل : تقدم العالم على الجاهل، وتقدم الامام على المأموم. فتقدم الله على العالم ليس بمجرد ذلك، بل هو قبلية حقيقية، وكذلك العلو على العالم قد يقال : انه يكون بمجرد الرتبة، كما يقال : العالم فوق الجاهل. وعلو الله على العالم ليس بمجرد ذلك، بل هو عال عليه علواً حقيقياً. وهو العلو المعروف والتقدم المعروف » أ.هـ.

فهل يشك عاقل : أن « ابن تيمية » يريد بذلك الفوقية الحسية والعلو الحسي ؟

وهذا هو « ابن قيم الجوزية » لا ينفي أن الله على العرش، وأنه وهو على العرش يضع رجليه على الكرسي، وأن محمداً ﷺ جالس بجواره على العرش. وهذا مشابه لهذا النص في انجيل مارقوس. وهو : « ثم ان الرب بعدما كلمهم ارتفع الى السماء، وجلس عن يمين الله » [مر ١٦ : ١٩].

قال في كتابه « بدائع الفوائد »[1].

حديث الشفاعة عن أحمد الى أحمد المصطفى مسنده
وجاء الحديث باقعاده على العرش أيضاً. فلا نجحده

ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين شارح العقيدة الواسطية لابن تيمية : « المجيء والاتيان من صفات الله الفعلية. وهما ثابتتان لله على الوجه اللائق به. ودليلهما : قوله تعالى : ﴿ **وجاء ربك والملك صفا صفا** ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ **هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة** ﴾[3] ولا يصح تفسيرهما بمجيء أو اتيان أمره، لأنه مخالف لظاهر اللفظ واجماع السلف، ولا دليل عليه[4].

ويقولِ هذا الشارح : ان مجيء الله صفة لله، وان اتيان الله صفة لله. فهو يفرق بين المجيء والاتيان. وقوله باطل. فان المجيء هو نفسه الاتيان. تقول : جئت اليك، وأتيت اليك. والمعنى واحد. ثم يقول الشارح : ان المجيء لا يفسر بمجيءِ الأمر، وان الاتيان لا يفسر بمجيء الأمر، بل يفسر بمجيء يليق بجلال الله من غير تشبيه ولا تكييف. أي أنه يثبت جسماً يتحرك بالمجيء والرجوع ولكن لا يصرح بالجسمية.

---

(١) ج ٤ ص ٤٠ بدائع الفوائد.

(٢) سورة الفجر الآية ٢٢.

(٣) سورة البقرة الآية ٢١٠.

(٤) شرح العقيدة الواسطية ص ٢٣ للشيخ محمد بن صالح بن العثيمين.

هذا هو مذهب السلف.

ويترتب على اثبات الجسمية : اثبات الرؤية. فالمعتزلة لما منعوا الجسمية، منعوا الرؤية. والذين يثبتون الرؤية يلزمهم اثبات الجسمية.

والشيخ محمد بن صالح العثيمين يقول : ان الله في السماء بذاته ومع ذلك يقرب من العبد حال الصلاة. كما أن الشمس في السماء، وتصل أشعتها على المخلوقين في الأرض.

يقول « الدليل على أن الله قبل وجه المصلي : قوله ﷺ : « اذا قام أحدكم في الصلاة، فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه » وهذه المقابلة ثابتة لله حقيقة على الوجه اللائق به. ولا تنافي علوه والجمع بينهما : هو أن الاجتماع بينهما ممكن في حق المخلوق، كما لو كانت الشمس عند طلوعها، فإنها قبل وجه من استقبل المشرق. وهي في السماء. فاذا جاز اجتماعهما في المخلوق، فالخالق أولى »[1].

هذا نص كلام الشيخ ابن عثيمين السلفي. ومن الممكن الزامه بأن قوله تعالى للمصلي : ﴿ **واسجد واقترب** ﴾[2] يدل ظاهره على القرب المكاني. لا يقول عاقل بأن المعنى الظاهري هو المراد. فان المصلي اذا سجد لا يقترب من جسم — هو جسم الله —.

وهذا يدل على أن الاقتراب هو اقتراب رحمته. وقبل وجهه معناه : ان الله ناظره ومحصي عليه أعماله.

والشيخ ابن عثيمين يغاير بين الكرسي وبين العرش. ويقول : « الكرسي موضع قدمي الرحمن. والكرسي غير العرش : لأن الكرسي موضع القدمين، والعرش هو الذي استوى عليه الله »[3] ومعنى كلامه : هو أن الله

(١) شرح العقيدة الواسطية ص ٤٤ طبعة مكتبة العلم بالقاهرة.

(٢) سورة العلق الآية ١٩.

(٣) ص ١٥ شرح العقيدة الواسطية.

يجلس على العرش ويضع قدميه على الكرسي. وهذا هو التجسيم. والمغايرة ايضاً غير سائغة. فان الجالس على العرش لا يضع رجليه على الكرسي، وايضاً : قد جاءت نصوص كثيرة على أن العرش هو الكرسي. ويقوي الشيخ ابن عثيمين رأيه في التجسيم بقوله : « القدم ثابت لله تعالى. وفسر أهل السنة الرجل والقدم بأنها حقيقة على الوجه اللائق بالله. وفسر أهل التأويل الرجل بالطائفة الذين يضعهم الله في النار، والقدم بالمقدمين الى النار. في الحديث : « لا تزال جهنم فيها وهي تقول : هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها رجله » ــ وفي رواية : « عليها قدمه » ــ فينزوي بعضها الى بعض وتقول : قط قط » ثم يقول ابن عثيمين عن المؤولين : « وأرد عليهم تفسيرهم بأنه مخالف لظاهر اللفظ »[1].

والذي أوحى الى ابن عثيمين بهذا الكلام ظواهر الأحاديث التي فيها :

قال الخلال في كتاب السنة عن قتادة بن النعمان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الله لما فرغ من خلقه استوى على عرشه، واستلقى ووضع احدى رجليه على الأخرى، وقال : انها لا تصلح لبشر » قال الحافظ الذهبي وغيره : اسناده على شرط البخاري ومسلم[2].

والى هنا ننهي الرد على الناقد في حديث الرؤية. وقد تبين منه : أن الناقد يثبت الرؤية تبعاً لمذهبه الذي يثبت الجسمية. وأن الشيخ محمد الغزالي قد نفى الرؤية في حديث شريك ليلة الاسراء.

وفي مقدمة كتابه يقول هذا المؤلف : ان الله تعالى أمر المسلمين في القرآن الكريم بأن يطيعوا النبي ﷺ في كل ما يأمر به. وفيما ينهي عنه في قوله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[3]

---

(١) ص ٤٢ شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية.

(٢) لاحظ : أن السلف هم أهل حديث، ولاحظ أنهم لا يؤولون.

(٣) سورة الحشر الآية ٧.

ومثل هذا القول وشبهه كثير « يعطى الرسول الكريم ﷺ منزلة عظيمة لا تسامى، وترفع توجيهاته الكريمة وسنته المطهرة مكانة عالية، فهي من حيث وجوب طاعته وتصديق أخباره بمنزلة القرآن الكريم »[1].

هذا نص كلامه الذي يسوي به بين دليل القرآن ودليل السنة.

والرد عليه : هو أن ﴿ **وما آتاكم الرسول** ﴾ قول عام وهذا القول العام، قد صار مخصوصاً بقوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم** ﴾.[2].

وبقوله تعالى : ﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه** ﴾[3].

وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أن الخاص مقدم على العام[4].

فلو أن الشيخ محمد الغزالي السقا ـــ رضي الله عنه ـــ اخذ من جملة الأحاديث كلها : الأحاديث المفسرة للقرآن فقط. فهل يكون رادا لقوله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾ ؟ وكيف يكون رادا لهذا القول الكريم والله قد وضح له أن ما أتى به الرسول هو :

١ ـــ القرآن.

٢ ـــ والسنة المفسرة ؟

والشيخ محمد الغزالي السقا رضي الله عنه لم يأخذ بالأحاديث

(١) ص ٦ الكشف.

(٢) سورة النحل الآية ٤٤.

(٣) سورة النحل الآية ٦٤.

(٤) قال الامام السلفي محمد الامين محمد المختار الجكني الشنقيطي في « دفع ايهام الاضطراب عن آي الكتاب » ص ١٥٣ « وجمهور العلماء على حمل العام على الخاص، والمطلق على المقيد، كما تقرر في الاصول ».

المفسرة فقط ـــ كما نأخذ نحن[1] ـــ بل أخذ بغير المفسر منها كما تأخذ ايها المؤلف.

لقد أخذ في كتابه السنة النبوية ص ٤٨ بحديث سبيعة الأسلمية المخرج في الصحيحين من غير وجه أنها توفي عنها زوجها سعد بن خولة وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته. وفي رواية : فوضعت حملها بعده بليال. فلما تعلت من نفاسها، تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك. فقال لها : ما لي أراك متجملة لعلك

(١) قال الامام الشاطبي في كتابه الموافقات : « السنة في معناها راجعة الى الكتاب فهي تفصيل مجمله وتوضيح مشكله وبسط مختصره. وذلك لأنها بيان له. وهو الذي دل عليه قوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا اليك الذكر لتبيّن للناس ما نزل اليهم** ﴾ فلا تجد في السنة أمراً، الا والقرآن دل على معناه دلالة اجمالية أو تفصيلية. وايضاً : ما دل على أن القرآن هو كلي الشريعة وينبوع لها. ولأن الله جعل القرآن تبياناً لكل شيء. فيلزم من ذلك : أن تكون السنة حاصلة فيه في الجملة، لأن الأمر والنهي أول ما في الكتاب. ومثله قوله تعالى : ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾. ونحن موافقوه في أن السنة للبيان وللتفسير. والفرق بيننا وبينه يتبين بهذا المثال وهو : أن قوله تعالى : ﴿ **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ فيه ضمنا تحريم الحمر الأهلية وسباع البهائم. والسنة اظهرت الخفي من القول وبينته وحرمته، لأن الحمر والسباع من الخبائث. هذا هو ما يهدف اليه الامام الشاطبي. وما نحن نهدف اليه هو : أن الخبائث كلمة عامة. وخصصها الله بقوله : ﴿ **قل لا أجد ما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فانه رجسٌ أو فسقاً أهل لغير الله به** ﴾ والخاص مقدم على العام، فيكون التحريم للمذكور في القرآن فقط، ويكون المسكوت عنه مباحاً لمن يستسيغ اكله. ومن لا يستسيغ اكله، لا يحرمه لا على نفسه ولا على غيره.

وحديث « حرم رسول الله كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور » ردته عائشة رضي الله عنها ولم يأخذ به كثيرون ومنهم فقهاء المالكية، واكتفوا بالمحرمات المذكورة في الآية. فلو كانت كلمة « الخبائث » تسير ضمنا الى تحريم كل ذي ناب وذي مخلب، لما رد هذا الحديث ائمة من أئمة المسلمين المعظمين. ثم أن الخبائث تختلف من قبيلة الى قبيلة، فما يستحسنه قوم قد يستقبحه آخرون. والنص هو الذي يضبط المراد حال الاختلاف. والا نفعل نكن محسنين للعقل ومقبحين للنص، الذي انزله الله ليكون تشريعاً ملزماً للجميع.

ترجين النكاح ؟ والله ما أنت بناكح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سبيعة : فلما قال لي ذلك، جمعت عليَّ ثيابي حين أمسيت، فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزويج ان بدا لي.

وهذا الحديث غير مفسر للقرآن. وقد أخذ به الشيخ محمد الغزالي، وخالف ابن عباس فيه. وذلك لأن ﴿ **أولات الأحمال أجلهن ان يضعن حملهن** ﴾ اذا كن مطلقات. أما المتوفى عنها فعدتها أربعة أشهر وعشرة أيام. فان توفي عنها زوجها وكانت حاملاً ووضعت حملها قبل الأربعة الأشهر وعشر، فإنها تنتظر الى تمام الأربعة الأشهر وعشر. وان توفي عنها وهي حامل ومرت الأربعة الأشهر وعشر عليها وما يزال في بطنها الحمل، فإنها تنتظر الى وضع الحمل، وكان ابن عباس يرى أن عليها أن تتربص بأبعد الأجلين : من الوضع أو أربعة أشهر وعشر، للجمع بين الآيتين. وهذا مأخذ جيد ومسلك قوي من « ابن عباس » كما يقول الامام ابن كثير ــ رحمه الله ــ.

ويصرح الشيخ محمد الغزالي بأن في الأحاديث أحاديث صحيحة. فقد قال في كتاب السنة النبوية : « ان ركاما من الأحاديث الضعيفة ملأ الآفاق الاسلامية، وركاماً مثله من الأحاديث التي صحت وسطا التحريف على معناها »[1].

فهو في هذا القول يعترف :

١ ــ بأحاديث ضعيفة.

٢ ــ وبأحاديث صح لفظها ولكن علماء العوام يحرفون معناها كما حرف علماء بني اسرائيل الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة.

---

(١) السنة النبوية ص ١١٩.

ومن هم علماء العوام ؟

هل هم الذين قال الشيخ محمد الغزالي عنهم في همومه :
يقولون :هذا عندنا غير جائز ومن أنتم، حتى يكون لكم عند ؟

* * *

وهذا الذي سب الشيخ محمد الغزالي ولعنه، يقول : ان أحاديث الصحاح هي كلام النبي نفسه. وتكذيب « الغزالي » لحديث منها هو تكذيب للنبي نفسه. فهو يسوي بين القرآن والأحاديث في الحجية، لاعتقاده أن الأحاديث المروية في الكتب، هي الكلام الذي خرج من فم النبي، وفم النبي هو الذي خرج منه القرآن. فيكون القرآن وتكون السنة من فم واحد فيكونان متساويين في الصدق. فيؤخذ بهما معاً في الاستدلال. انظر اليه يقول في ص ٩٢ : « قول الغزالي : فاذا وجدوا في ركام المرويات ما يتسق معه قبلوه. لا أدري كيف يسهل عليه مثل هذا التعبير ؟ انه لا يليق التفوه بمثل هذا الكلام في تقييم كلام انسان عادي، فكيف يوصف به كلام سيد الأنبياء ؟ ».

والمؤلف ليس على صواب في مساواته بين دليل القرآن ودليل السنة. للاضطراب في السنة من جهة السند ومن جهة المتن. وليس في القرآن من اضطراب. وهذا يدل على أن الله قد صان القرآن وحده. سواء بقيت السنة أو لم تبق.

على أن المتصوفة الذين هم خارجون عن الاسلام في نظر المؤلف، هم في الفقه أحسن حالاً منه، فإن « الشعراني » في كتابه « الميزان » لما نقل قول « أبي حنيفة » في زكاة الفطر وهو أنها سنة وليست بفرض. عقب على قوله بأن أبا حنيفة قد أحسن، لأنه لم يسو الثابت بالقرآن وحده، بالثابت بالسنة وحدها. ونعما فعل.

وكيف يسوي هذا المؤلف بين دليل القرآن ودليل السنة وقد روى

المحدثون في كتبهم المعنى وضده ؟ فالسنة ــ على هذا المعنى فيها كلام من الرواة، وليست كلها كلام النبي ﷺ.

* * *

وقال الذي سب الشيخ محمد الغزالي وشتمه : « ويؤسفني ان الشيخ محمد الغزالي قد حشر نفسه ــ في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها السنة وأهلها ــ في خصوم السنة ».

لقد بين أن عصرنا هذا هو ظرف عصيب للسنة وأهلها. ونسي أن عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه قد ضرب بالدرة من أراد جمع الحديث وتدوينه، وأن معاوية أمير المؤمنين رضي الله عنه قد اتهم كعب الأحبار بالكذب، وأن المأمون أمير المؤمنين رضي الله عنه قد منع المحدثين من التحديث وسجنهم وعذبهم وقتل منهم خلقاً كثيراً[(١)].

لقد نسي المؤلف أن الخوارج ــ وهم كانوا من الصحابة والتابعين ــ رفضوا السنة، كما رفضها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وأن المعتزلة ــ وهم كانوا من الصحابة والتابعين ــ رفضوا السنة في العقائد كما رفضها الخلفاء الراشدون والخوارج. يقول الملطي : « وهم سموا معتزلة وذلك عندما بايع الحسن بن علي، معاوية. وسلم الأمر اليه، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس. وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي. ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة »[(٢)] ومن قال إن رئيسهم هو واصل بن عطاء ــ رضي الله عنه ــ فواصل قد ولد في سنة ثمانين من الهجرة وتوفي سنة احدى وثلاثين ومائة وكان ممن يحضر مجلس الحسن البصري في زمان فتنة الأزارقة[(٣)] والحسن البصري

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٢) ص ٤١ التنبيه والرد ــ للمالطي. وفي رأي أنهم سموا معتزلة لاعتزالهم اهل الحديث.

(٣) الخطط ج ٢ ص ٣٥٤.

كان يقول : ان المسلم العاصي منافق وقوله شبيه بقول الخوارج والمعتزلة فان ﴿ **المنافقين في الدرك الأسفل من النار** ﴾[1].

ومن الذي نصر المعتزلة ؟

نصرهم خلفاء من بني أمية وخلفاء من بني العباس. أي نصرهم العرب الذين نزل القرآن بلغتهم. فقد كان يزيد بن الوليد بن عبد الملك ــ رضي الله عنه ــ على مذهبهم في القضاء والقدر[2] وكان مروان بن محمد رضي الله عنه ــ آخر خلفاء بني أمية ــ على مذهبهم في خلق القرآن وفي القضاء والقدر[3]. وعمرو بن عبيد ــ رضي الله عنه ــ كان من رؤساء المعتزلة وكان صديقاً لأبي جعفر المنصور ــ رضي الله عنه ــ وهارون الرشيد أمير المؤمنين ــ رضي الله عنه أكرم « ثمامة بن أشرس » و « يحيى بن المبارك » ــ وهما من رؤساء المعتزلة ــ ويحيى بن المبارك هو مؤدب « المأمون » ــ رضي الله عنه ــ وروي : أن محمد ابن مناذر ــ أحد النساك ــ هجا المعتزلة في زمن هارون الرشيد، فنفوه من البصرة الى الحجاز. وفي سنة ٢١٨ هـ أرادت طائفة المحدثين المسمين بالسلف اقصاء المعتزلة عن امامة الناس، فآذاهم أمير المؤمنين المأمون رضي الله عنه ايذاء شديداً وحمل الفقهاء منهم والعلماء على رأي المعتزلة، ومشى على سنته من بعده المعتصم والواثق رضي الله عنهما[4].

هذا هو الصدر الأول للاسلام. وفيه كان الخوارج والمعتزلة والخلفاء من العرب الخلص الفاهمين للدين حق الفهم. فهل كانت فيه سنة بأخبار آحاد ؟

---

(١) سورة النساء الآية ١٤٥.

(٢) تاريخ الامم والملوك ص ٤٦ ج ٩.

(٣) الصواعق المرسلة ص ٢٣٠ ــ ٢٣١ ج ١.

(٤) المذاهب الاسلامية ص ٢١٩ ــ ٢٢٠ ــ تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٤٨ ــ ٥٢.

ولقد كان الناس في الصدر الأول يعملون بالقرآن الكريم، وبما صح لديهم من السنة المفسرة. ومثال ذلك :

١ ـــ قوله تعالى : ﴿ **وأقيموا الصلاة** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **واتبعوه** ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ **لتبين للناس ما نزل اليهم** ﴾[3] فالنص عن الصلاة مجمل لا يبين هيئات الصلاة ولا عدد ركعاتها. فقام النبي ﷺ بالبيان. وجعل الظهر أربعاً والمغرب ثلاثاً وهكذا. وصلى أمام الناس. فاتبعوه الى هذا اليوم. فالقرآن والسنة المفسرة كان عليهما مدار العمل في الصدر الأول للاسلام.

٢ ـــ المرأة التي طلقت قبل الدخول بها، لا عدة عليها بنص القرآن. والمرأة التي مات زوجها ولم يدخل بها، فهل عليها عدة أم لا ؟

فقوله تعالى : ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً** ﴾[4] قد يفهم منه المدخول بها، وقد يفهم منه المدخول بها وغير المدخول بها. ولذلك لما سئل ابن مسعود عن رجل مات وترك زوجة لم يدخل بها. هل عليها العدة ؟ تردد مراراً ثم قال : أقول فيها برأيي. فان يك صواباً فمن الله، وان يك خطأ فمني ومن الشيطان. والله ورسوله بريئان منه : لها الصداق كاملاً. وفي لفظ : لها صداق مثلها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث. فقام معقل ابن يسار الأشجعي، فقال : سمعت رسول الله ﷺ قضى به في « بروع بنت واشق » ففرح عبدالله بذلك فرحاً شديداً.

فهذا الحديث يقبل ولا يرفض، لأنه حديث مفسر، لا منشئ.

---

(١) سورة البقرة الآية ٤٣ والآية ١١٠؛ النور ٥٦؛ الروم ٣١؛ والمزمل ٢٠.
(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٨.
(٣) سورة النحل الآية ٤٤.
(٤) سورة البقرة الآية ٢٣٤.

واذا كانت الآية القرآنية تدل على حكم. ووجد في الأحاديث :

(أ) حديث موافق للآية.

(ب) وحديث غير موافق.

ففي هذه الحالة يجب على الفقيه أن يأخذ بالحديث الموافق للآية، ويترك الحديث غير الموافق للآية وان كان صحيح السند.

ومثال ذلك :

١ ــ قوله تعالى : ﴿ **النفس بالنفس** ﴾[1] فانه يفيد ان الحر يقتل بالعبد والحديث الذي يوافقه هو : « من قتل عبده، قتلناه، .ومن جدع عبده جدعناه، ومن خصاه خصيناه » وهذا رأي الأحناف.

وأما الحنابلة والشافعية والمالكية فقالوا : ان القاتل يقتل اذا كان مساوياً للمقتول. ولا مساواة بين الحر والعبد، فلا يقتل به، وكذلك لا مساواة بين المسلم والكافر فلا يقتل به. وأخذوا بحديث « لا يقتل مسلم بكافر ».

ففي هذه المسألة حديثان. أحدهما موافق والآخر غير موافق. والأخذ بالموافق مع القرآن يفيد التقوية. وعليه يتوجب ترك غير الموافق وهو قد رواه البخاري عن علي ــ كرم الله وجهه ــ يقول الشيخ محمد علي السايس في تفسير آيات الأحكام : « والعقل يميل الى تأييد قول أبي حنيفة في هذه المسألة، لأن هذا التنويع والتقسيم الذي جعله الشافعية والمالكية بمثابة بيان المساواة المعتبرة، قد أخرجوا منه طرداً وعكساً الأنثى بالرجل، فذهبوا الى أن الرجل يقتل بالأنثى، والأنثى تقتل بالرجل. وذهبوا الى أن الحر لا يقتل بالعبد ولكنهم أجازوا قتل العبد بالحر. فهذا كله يضعف مسلكهم في الآية.. أما مسلك أبي حنيفة فيها، فليس فيه هذا

(١) سورة المائدة الآية ٤٥.

الضعف. وحينئذ يكون العبد مساوياً للحر، ويكون المسلم مساوياً للذمي في الحرمة، محقون الدم على التأبيد »[1].

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾[2]

ورد حديث يدل على أن العمرة واجبة كالحج وهو « دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة » [رواه مسلم] وهذا هو رأي الشافعية والحنابلة. وورد حديث يدل على أن العمرة سنة. وهو « الحج جهاد والعمرة تطوع » [رواه ابن ماجة] وهذا هو رأي الحنفية والمالكية.

وقد ثبتت فرضية الحج من قوله تعالى : **﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾**[3] وقوله تعالى : **﴿ وأذن في الناس بالحج ﴾**[4] ولم تذكر العمرة في الفرضية. فدل عدم الذكر على انها سنة. فلو ذهب انسان لأداء الحج المفروض، فعليه الاتمام، واذا ذهب لأداء العمرة المسنونة فعليه الاتمام. فالآية تفيد الاتمام لمن يفعل ولا تفيد الفرضية. وعلى الفقيه أن يأخذ بالحديث الموافق للآية، ويترك المخالف مع أن راويه هو مسلم بن الحجاج.

* * *

ومؤلف كتاب « فقه السنة » خالف طريقتنا هذه. مع أنها كانت ميسورة لديه حال التأليف فقد كان بين يديه « أحكام القرآن » للجصاص وشبهه، ينقل منهم، والحصاص ــ رضي الله عنه ــ يذكر المسألة، ويذكر فيها آراء الأئمة. مع الدليل من الكتاب والسنة. ولو أنه ذكر

(١) ص ٥١ ج ١ تفسير آيام الأحكام.
(٢) سورة البقرة الآية ١٩٦.
(٣) سورة آل عمران الآية ٩٧.
(٤) سورة الحج الآية ٢٧.

المسألة، ثم ذكر الدليل القرآني عليها، ثم اختار من الأحاديث النوع الذي يتفق مع مفهوم دليل القرآن، أو يفسره لكان قد أتى بما يريده الله من عباده. ومنع التشويش على آيات التشريع.

واني أتمنى أن ينشط الدعاة الى دين الله في الدعوة اليه بالقرآن وبما يفسره من السنة، بما يوافقه منها، وذلك ليمنعوا الحيرة في الأعمال، والشغب بين المسلمين.

* * *

أما منكرو السنة في العصر الحديث. فهذه هي حججهم. أنقلها من كتاب « دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه » للدكتور محمد مصطفى الأعظمي المطبوع سنة ١٣٩٦ هـ يقول تحت عنوان : « السنة ومنكروها حديثاً » ما نصه :

السنة ومنكروها حديثاً

لا يحدثنا التاريخ عن أفراد أو جماعات تنتسب الى الاسلام دعت الى نبذ السنة النبوية بعد القرن الثاني، وأما الذين نادوا بها في القرن الثاني فقد أصبحوا في ذمة التاريخ واستمر الوضع هكذا بعد ذلك أحد عشر قرنا على وجه التقريب. وتغير الزمن وزالت دولة المسلمين، وجاء عهد الاستعمار والاستعباد وبدأ المستعمرون بنشر أفكارهم الخبيثة للقضاء على مقومات الاسلام.

وفي هذه الظروف وجد بالعراق من دعى الى نبذ السنة[1].

أما في مصر فترجع هذه الفتنة الى عهد محمد عبده ــ ان كان ما يذكره أبو رية ويستنتجه صحيحاً ــ

(١) المودودي، سنت كي آئيني حيثيت ١٦.

قال أبو رية : « قال الأستاذ الامام محمد عبده رضي الله عنه : ان المسلمين ليس لهم في هذا العصر غير القرآن، وان الاسلام الصحيح هو ما كان عليه الصدر الأول قبل ظهور الفتن ».

« وقال رحمه الله تعالى : لا يمكن لهذه الأمة أن تقوم ما دامت هذه الكتب فيها (يعني الكتب التي تدرس في الأزهر وأمثالها، كما ذكره بالهامش) ولن تقوم الا بالروح التي كانت في القرن الأول، وهو (القرآن) وكل ما عداه فهو حجاب قائم بينه وبين العلم والعمل »[1].

ثم مشى على هذا المنهج الدكتور توفيق صدقي، حيث كتب مقالتين في مجلة المنار بعنوان « الاسلام هو القرآن وحده »[2] واستدل بالآيات القرآنية لعدم الحاجة الى السنة النبوية حسب زعمه.

وقال رشيد رضا في تعليقه على مقالة الدكتور توفيق صدقي : « بقي في الموضوع بحث آخر هو محل للنظر، وهو هل الأحاديث ويسمونها بسنن الأقوال دين وشريعة عامة، وان لم تكن سنناً متبعة بالعمل بلا نزاع ولا خلاف لا سيما في الصدر الأول. ان قلنا نعم فأكبر شبهة ترد علينا نهي النبي ﷺ عن كتابة شيء عنه غير القرآن وعدم كتابة الصحابة للحديث، وعدم عناية علمائهم وأئمتهم كالخلفاء بالتحديث. بل نقل عنهم الرغبة عنه، كما قلنا للدكتور صدقي في مذاكراته قبل أن يكتب شيئاً في الموضوع »[3].

وأيد السيد رشيد رضا الدكتور توفيق صدقي في كتاباته الى حد كبير، اذ قسم الأحاديث النبوية قسمين، المتواتر وغير المتواتر، وكان رشيد رضا

(١) أضواء على السنة ٤٠٥ ــ ٤٠٦.

(٢) مجلة المنار السنة التاسعة العدد ٧، ١٢ ــ واعلم أن الدكتور السيد رزق الطويل كتب في جريدة الأخبار المصرية، مقالا تحت عنوان القرآن وكفى. وقد رد عليه الشيخ نجيب المطيعي في مجلة الأزهر. وذلك قبل انفصاله عن أنصار السنة.

(٣) مجلة المنار ٩ : ٩٢٩ ــ ٩٣٠.

يرى أن ما نقل الينا بالتواتر، كعدد ركعات الصلاة، والصوم وما شاكل ذلك، فهذا يجب قبوله، ويسميه الدين العام، وأما ما نقل الينا بغير هذه الصفة فهو دين خاص، لسنا ملزمين بالأخذ به. ويذكر رشيد رضا بعد أن أورد الآثار الواردة في الامتناع عن الكتابة قائلاً : « كل هذا الذي أورده ابن عبد البر وأمثاله مما رواه غيره كإحراق أبي بكر لما كتبه، وعدم وصول شيء من صحف الصحابة الى التابعين وكون التابعين لم يدونوا الحديث لنشره ـــ الا بأمر الأمراء ـــ يؤيد ما ورد من أنهم كانوا يكتبون الشيء لأجل حفظه ثم يمحونه. واذا أضفت الى هذا ما ورد في عدم رغبة كبار الصحابة في التحديث بل في رغبتهم عنه، بل في نهيهم عنه، قوي عندك ترجيح كونهم لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث. (كلها) دينا عاماً دائماً كالقرآن[1] ويبدو أنه رجع عن موقفه في آخر عمره، كما يذكر لنا الأستاذ مصطفى السباعي رحمه الله[2].

ثم أصدر أحمد أمين كتابه فجر الاسلام سنة ١٩٢٩ م، وكتب فيه فصلاً عن السنة النبوية وخلط الحق بالباطل وبقي على آرائه حتى مات[3].

ثم نشر اسماعيل أدهم رسالة في سنة ١٣٥٣ هـ عن تاريخ السنة، وقال : الأحاديث الموجودة حتى في الصحيحين « ليست ثابتة الأصول والدعائم، بل هي مشكوك فيها ويغلب عليها صفة الوضع »[4].

وعندما قامت ضجة حول كتابه، نشر مقالته في مجلة الفتح قائلاً : ان ما قاله وافق عليه جماعة من كبار الأدباء والعلماء وذكر منهم الأستاذ

---

(١) مجلة المنار، المجلد العاشر ٥١١.

(٢) السنة ومكانتها ٤٢.

(٣) انظر مقدمة احمد أمين الطبعة الثانية اذ قال فيه : « ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب نحو أول سنة ١٩٢٩ م ». وفي يدي الآن الطبعة العاشرة المطبوعة في سنة ١٩٦٩ م والخلط موجود.

(٤) السنة ومكانتها ٢١٣.

احمد أمين بكتاب أرسله اليه. ولم يكذبه أحمد أمين بل كتب في بعض المجلات ما يفيد تألمه مما حصل لصاحبه، واعتبر ذلك محاربة لحرية الرأي وحجر عثرة في سبيل البحوث العلمية[1].

بعد هؤلاء تسلم اللواء أبو رية، ونشر نتيجة « بحثه » في كتابه « أضواء على السنة المحمدية ».

وفي الواقع أنه ما جاء بفكرة جديدة ولا باستدلال جديد، بل خلط ما قال كل من اسماعيل أدهم وتوفيق صدقي ورشيد رضا، وهو لا يبعد في نتيجته عما ذهب اليه السيد رشيد رضا، بل يقلده مع دعوى الاجتهاد، وهو يفسر كلمة السنة قائلاً :

« ولم تكن السنة يومئذ [يعني في عصر النبي ﷺ] تعرف الا بالسنة العلمية »[2].

أما مفهوم السنة العلمية عنده فهو السنن العملية المتواترة كما جاء في كتابه اضواء : « وسنن الرسول المتواترة ـــ وهي السنن العملية ـــ وما أجمع عليه مسلمو الصدر الأول. وكان معلوماً عندهم بالضرورة. كل ذلك لا يسع احد جحده أو رفضه بتأويل ولا اجتهاد. ككون الصلاة المعروفة خمساً، وكون الفجر ركعتين والمغرب ثلاثاً والبواقي أربعاً أربعاً، وكون كل ركعة تشتمل على قيام وقراءة قرآن فيه، وركوع وسجودين الخ ما هو معروف بالعمل من عهد الرسول (ﷺ) الى اليوم، هذه هي سنة الرسول ﷺ، وأما اطلاقها على ما يشمل الأحاديث فاصطلاح حادث »[3].

أما بالنسبة لأحاديث الآحاد فيقول : « ومن صح عنده شيء منها رواية

(١) السنة ومكانتها ٢١٤.

(٢) اضواء ٤٠٤.

(٣) اضواء ٤٠٦ ـــ ٤٠٧.

ودلالة عمل به، ولا تجعل تشريعاً عاماً تلزمه الأمة الزاماً، تقليداً لمن أخذ به »[1].

القارة الهندية

لقد استعمر الانجليز الهند بكاملها في القرن الماضي وعندما حاول المسلمون استخلاصها من أيدي المستعمرين، أعلنوا الجهاد لهذا الغرض، ولو أنهم أخفقوا في محاربتهم للانجليز، الا أن المستعمرين قد تنبهوا لخطورة روح الجهاد بالسيف ولذلك أوجدوا طبقة من « علماء المسلمين » الذين أنكروا الجهاد بالسيف، وذلك بالطعن في أحاديث الجهاد، وكان جراغ علي والمتنبئ الكذاب مزراء غلام أحد القادياني من قادة هذه المدرسة.

كما انتجت الروح الانهزامية رجالاً مثل السيد أحمد خان وعبدالله الجكر الوي وأحمد الدين الأمر تسري وآخرين، وأخيراً جاء غلام أحمد برويز الذي أبدى نشاطاً ملحوظاً[2] فأسس جمعية باسم « اهل القرآن »، كما أصدر مجلة شهرية ونشر عدة كتب في هذا الصدد. وغلام أحمد برويز يقلد توفيق صدقي تقليداً تاماً مع دعوى الاجتهاد والانفراد لأنه ينكر انكاراً تاماً أن يكون للأحاديث أية قيمة تشريعية، فلا يرفض أخبار الآحاد فحسب، بل يرفض ما نقل الينا بالتواتر مثل الصلوات الخمس وعدد ركعاتها وهيآتها وما شاكل ذلك، ويقول : ان القرآن لم يأمرنا الا باقامة الصلاة، أما كيفية اداء الصلاة فأمر متروك لرئيس الدولة يعينه بمشورة مستشاريه حسب الزمان والمكان[3]. وهذا ما قاله توفيق صدقي في مقاله : الاسلام هو القرآن وحده، لكنه تراجع عنه فيما بعد ذلك.

---

(١) اضواء ٤٠٧.

(٢) المودودي : سنت كي آئيني حيثيث ١٦.

(٣) سنرى تفصيل كلامهم بعد قليل.

خلاصة القول

لقد أنكر قلة قليلة من الناس حجية السنة النبوية وقيمتها التشريعية في القرن الثاني، وكان منشأ ذلك الجهل.

كما وجدت فئة أخرى انكرت غير المتواتر منها. وقضى على هذه الفتنة بعد القرن الثاني، ثم قامت من جديد ــ ولعلها بتأثير من الاستعمار الغربي ــ فأنكر بعض الناس أحاديث الجهاد فقط، بينما أنكر البعض الآخر الأحاديث النبوية جملة وتفصيلاً متواترها ومشهورها وآحادها.

وعلى كل، فالاتجاهات الحديثة في رفض السنة لا تخرج عن اتجاهات القرن الثاني، واستدلالاتهم لا تضيف شيئاً على استدلالات أسلافهم.

وما أشبه الليلة بالبارحة.

حجج منكري السنة قديماً وحديثاً

رأينا فيما سبق أن إنكار حجية السنة كانت له سابقة في الماضي عند من جهل مقامها أو رأى الحجية في نوع منها دون غيره، وأن تلك الطوائف قد انقرضت في الغالب حتى نبتت نابتة جديدة غذاها الاستعمار بتأييده المادي والمعنوى في محاولة للقضاء على الاسلام وذلك بهدم ركن عظيم منه وهو السنة النبوية.

ويظهر هذا الهدف واضحاً في الجماعة التي ادعت الأخذ بالقرآن فقط « جماعة أهل القرآن » لأنها اذا سلخت القرآن من السنة النبوية استطاعت أن تعبث به كما تشاء.

* * *

وفي هذه الحقب المختلفة التي ظهرت فيها هذه الفرق نجد أن لها

حججاً تستند اليها وبعض هذه الحجج تشكل عاملاً مشتركاً بينها الى جانب حجج اخرى ادعاها البعض منها وسأورد بعض هذه الحجج « القوية » لمناقشتها.

الحجة الأولى

قالوا : يجب أن يكون الدين قطعياً وفي حالة الأخذ بالسنة لا يبقى كذلك. والآيات التالية تدل على قطعية القرآن وتنفي عنه الظن والريب.

قال الله تعالى : ﴿ **الٓمٓ * ذلك الكتاب لا ريب فيه** ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ **والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق** ﴾[2].

وقالوا : إنكم تزعمون أن الحديث إما متواتر أو آحاد، والمتواتر لا يتجاوز بضعة أحاديث، أما البقية فكلها من الآحاد، وهي ظنية حسب قولكم.

فاذا كان الدين هو مجموع ما في الكتاب والسنة، كان بهذا الاعتبار ظنياً اذ مجموع القطعي والظني ظني. والقرآن الكريم يندد بمن يتبع الظن، قال الله تعالى منددا بمتبعي الظن :

﴿ **وما يتبع أكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئاً ان الله عليم بما يفعلون** ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ **ان تتبعون إلا الظن وان انتم إلا تخرصون** ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ **وان الظن لا يغني من الحق شيئاً** ﴾[5].

---

(1) سورة البقرة الآيتان ١ ــ ٢.
(2) سورة فاطر الآية ٣١.
(3) سورة يونس الآية ٣٦.
(4) سورة الأنعام الآية ١٤٨.
(5) سورة النجم الآية ٢٨.

وقال تعالى : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾[1].

فالقرآن يندد بمن يهجر اليقين ويسير وراء الظن. وبما أن الأحاديث ظنية لذلك لا يمكن الاعتماد عليها. ويبقى الدين هو القرآن وحده.

وقد استدل بهذه الحجة وبالآيات الكريمة ــ كلها أو بعضها ــ كل من الطائفة التي ردت الأخبار كلها قديماً[2] وتوفيق صدقي[3] وأهل القرآن في العصر الحديث[4].

الحجة الثانية

لا يؤخذ بشيء ما في شريعة الله غير القرآن.

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾[5].

واذا قلنا إن القرآن في حاجة الى بيان، كان ذلك تكذيباً صريحاً للقرآن وتكذيباً لمنزل القرآن الذي قد نفى عنه أن يكون فيه تقصير أو تفريط في أمر من الأمور، ولذا فلا يمكن أن يستعان بشيء آخر في شريعة الله من سنة أو حديث.

واستدل بهذه الآية الدكتور توفيق صدقي[6] وأبو ريه[7].

الحجة الثالثة

ان القرآن لا يحتاج الى بيان بل هو تبيان لكل شيء.

---

(١) سورة الاسراء الآية ٣٦.

(٢) الأم ٧ : ٢٥٠.

(٣) المنار ٩ : ٩١٢ ــ ٩١٣.

(٤) مقام حديث ٤ ــ ٦.

(٥) سورة الانعام الآية ٣٨.

(٦) سورة مجلة المنار ٩ : ٥١٦.

(٧) اضواء على السنة ٤٠٤.

قال الله تعالى : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء** ﴾[١].

وقال تعالى : ﴿ **هو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً** ﴾[٢].

واستدل بهذه الآية عدد من أولئك المنكرين قديماً وحديثاً على حجية السنة الزاعمين أن القرآن في غنى عنها، لأن فيه تبيان كل شيء، ومنهم ممن رد الأخبار كلها[٣] وتوفيق صدقي[٤] وأبو رية[٥].

بعض دلائل أخرى أدعيت لتقوية الحجج السابقة

قال منكرو السنة : لما كانت ارادة الله جل وعلا قد اقتضت أن يكون القرآن وحده مصدراً للتشريع الاسلامي تكفل بحفظه الى يوم القيامة فقال : ﴿ **إنّا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** ﴾[٦] ولذلك اهتم الرسول ﷺ بكتابة القرآن. وعندما كان ينزل عليه الوحي كان يدعو من يكتب سواء أكان في السفر أم في الحضر.

بينما كان الأمر في السنة على عكس ذلك. فقد منع رسول الله ﷺ كتابة أحاديثه. بل ذهب الى أكثر من هذا، فأحرق ما كتبوه من الأحاديث. كما أحرق أبو بكر مجموعته. وأرسل عمر بن الخطاب الى الآفاق يطلب منهم أن يحرقوا ما كتبوه، ولقد حبس عمر بعض الصحابة وضرب بعضهم على التحديث. فاذا كانت الأحاديث النبوية جزءاً ضرورياً من الدين لما عمل النبي ﷺ والخلفاء الراشدون كل هذا. ولقد احتج

---

(١) سورة النحل الآية ٨٩.

(٢) سورة الأنعام الآية ١١٤.

(٣) انظر الأم ٧ : ٢٥٠.

(٤) انظر مجلة المنار ٩ : ٩٠٧.

(٥) اضواء على السنة ٤٠٤.

(٦) سورة الحجر الآية ٩.

بهذه الحجج كلها أو ببعضها كل من رشيد رضا[1]، وتوفيق صدقي[2] وأبي رية[3] ومنكري السنة بباكستان[4].

واضاف أهل القرآن الى ما سبق قائلين : لا يمكن القول بأن السنة وحي غير متلو اذ لو كانت كذلك لحفظت كما حفظ كلام الله سبحانه وتعالى. قال تعالى : ﴿ **انا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون** ﴾[5].

وهذه فكرة يهودية تسربت الى المسلمين. ولا يعرف القرآن الا الوحي من نوع واحد[6].

وقال غلام أحمد برويز رئيس جمعية « أهل القرآن » : اذا ما نظرنا الى المجموعات الحديثية المتداولة بين أيدينا، حتى التي في البخاري، نجد جانباً من هذه الأحاديث تشين الرسل والأنبياء والاسلام[7].

اتفاق وافتراق

لقد اتفق أكثر من منكري السنة على الأخذ بالادلة التي ذكرناها وبالحجج التي بيناها والاتجاه الذي وضحناه. من ترك الاحتجاج بالسنة النبوية. لكن منكري السنة قديماً وحديثاً. ما عدا « أهل القرآن »[8] كانوا يأخذون بالسنة العملية المتواترة، كالصلاة وهيئاتها وركعاتها والزكاة

---

(١) انظر اضواء ٤٦ ــ ٥٠.
(٢) مجلة المنار ٩ : ٩١١ ــ ٩١٣.
(٣) انظر اضواء على السنة ٤٦ ــ ٥٠.
(٤) مقام حديث ٦ ــ ١٨.
(٥) سورة الحجر الآية ٩.
(٦) مقام حديث ٤٩.
(٧) مقام حديث ٣١٣ ــ ٣٢٧.
(٨) وكان منهم الدكتور توفيق صدقي، لكنه رجع اخيراً عن آرائه واصبح مذهبه كمذهب رشيد رضا انظر المنار ١٠ : ١٤٠.

والحج وما شاكل ذلك من الأمور التي تناقلها المسلمون جيل بعد جيلاً نقلاً عملياً. ولكن ذهب « أهل القرآن » الى أبعد من ذلك فأنكروا حتى هذا الجزء المتواتر العملي من الاسلام.

وقالوا : لم يبين لنا القرآن الأمور الجزئية الا قليلاً، وقد تطرق في اغلب الأحيان للكليات. فمثلاً أمر الله سبحانه وتعالى باقامة الصلاة، ولم يبين لنا مقدارها. فان كان الله سبحانه وتعالى يريد أن نصلي كما يصلون لذكره في آية واحدة مثلاً، صلوا الظهر والعصر والعشاء أربعاً والفجر ركعتين والمغرب ثلاثاً. ولا يمكن القول بأن مثل هذا التفصيل يزيد في حجم القرآن. لأن القرآن الكريم كرر الأمر باقامة الصلاة مرات عديدة، فكان يمكن الاكتفاء بذكر اقامة الصلاة مرة أو مرتين ثم نذكر التفصيلات لاقامة الصلاة بدلاً عن التكرار. وكذلك الزكاة وهلم جرا[1].

وقالوا : والخطأ الأساسي الذي وقع فيه المسلمون من بعد الخلافة الراشدة حتى الآن أنهم لم يفهموا الاسلام وروحه. اذ الاسلام نظام اجتماعي مبني على الشورى. فالقرآن يأمرنا بالأمور الكلية ويترك تفصيلها لمجلس الشورى للمسلمين الذي يقرر طريقة الصلاة ونسبة الزكاة حسب الزمان والمكان. وهذا ما فهمه أبو بكر وعمر والخلفاء الراشدون. فكانوا يستشيرون الصحابة، وحيث شعروا بالحاجة الى الاضافة أضافوها، وان لم يجدوا ضرورة للتغيير أبقوها[2] ولو كانت سنة النبي ﷺ شيئاً دائماً لاعطانا الرسول ﷺ شيئاً مكتوباً جاهزاً.

وليس معنى ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾[3] أطيعوا سنة الرسول بعد وفاته لأن سنته لا تحمل في طياتها عنصر الديمومة والبقاء. بل معنى

---

(١) انظر مقام حديث ٦٥ ــ ٦٦، والمنار المجلد التاسع : ٥١٧.

(٢) مقام حديث ٦٧ ــ ٦٨، انظر ايضاً المنار ٩ : ٩٠٩.

(٣) سورة النساء الآية ٥٩.

« اطيعوا الرسول » أطيعوا النظام الذي أرشد اليه القرآن والذي كان يمثله الرسول في حياته[1]. والذي يعني اقامة الخلافة على منهاج النبوة.

وبما أن هذا النظام قد استمر الى عهد الخلفاء الراشدين ثم بعد مجيء الأمويين على مسرح السياسة اختلف الوضع، وأصبح هناك حد فاصل بين الدين والسياسة، ولم يفهم الناس معنى طاعة الرسول، فاتجهوا الى الأحاديث لأن الأحكام في القرآن قليلة وضرورات الحياة أكثر فأكثر، وكان من واجبات الخلافة على منهاج النبوة أن تسد ضرورات المجتمع في القضايا المتجددة لكن عدم وجود الدولة بهذا المفهوم دفع الناس الى الأخذ بالحديث وعند عدم كفاية المجموعة الحديثية ازداد الوضع أكثر فأكثر[2].

ومن هنا يتضح جلياً أن « أهل القرآن » قد فاقوا جميع منكري السنة في هذا الميدان، ووصلوا الى نقطة لم يتخيلها المنكرون من قبل » [انتهى بنصه].

وقد كتبته لأبين به : ان هذا الوقت ليس هو الوقت العصيب للسنَّة، بل سبقته أوقات، وستأتي أوقات أشد عصبية منه، اذا لم تلغ السنَّة المنشأة.

* * *

شيعة أهل البيت

وهذا الذي سب « مصلح الدين » وشتمه، يحكم على الشيعة الأمامية الأثني عشرية في ايران بأنهم كفار وليسوا بمسلمين، ويسخر من الشيخ « الغزالي » لعدم تصريحه بكفرهم، مثل « ابن تيمية » الذي جعل المسلمين أحزاباً وشيعاً. فيقول :

---

(١) مقام حديث ٦٥.

(٢) مقام حديث ٦٨ ــ ٧٠.

« ويتوج الغزالي ولاءه للروافض ـــ أي الشيعة ـــ بمبايعة « الخميني » ويؤكد هذه البيعة بقوله : « ان وحدة المسلمين لن تتحقق ما لم يجتمع المسلمون وراء الامام الخميني »[1] انه يجب أن تسلط الأضواء على هذا النوع من الكتّاب الذين يلاحقون الدعاة الى السنة المحمدية، والى منهج السلف الصالح بالدعايات الظالمة والاتهامات الغاشمة. وفي الوقت نفسه يتعاطفون ويتبادلون الحب الخالص والولاء الصادق لمن يكيدون للأمة الاسلامية ويتلمظون لابتلاعها ويلعنون دينها ويكفرون أسلافها. وعلى رأسهم الصديقون والشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ ومن سار على نهجهم من هذه الأمة »[2] أ.هـ.

لقد عاب في الشيعة هذا الذي سب وشتم في إمام المسلمين محمد الغزالي رضي الله عنه. فلماذا عابهم، وعاب على من والاهم وانتصر لهم ؟

مع أن الأستاذ الامام محمد الغزالي ـــ رضي الله عنه ـــ يقصد من اجتماع المسلمين وراء الامام الخميني : هو الحماس للدين ومقاومة أعدائه وطرد أعوانهم من بلادهم ولا يقصد نصرة مذهبهم فانه صرح بأنه على مذهب أهل السنة وأنه يحب الصحابة كلهم.

ولماذا يعيب السلفي الناقد شيعة ايران ؟

لأنه يحكم عليهم بالكفر ويصرح به، ويحكم على من يتولاهم بالكفر ولكنه يستحي تقية من النطق بكلمة الكفر. وأخذ حكمه على من يتولاهم من فهمه لقوله تعالى : ﴿ **لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم** ﴾[3] وفهمه لنفسه.

أما حكمه على الشيعة بالكفر، فليس معه من دليل عليه. واني لأسأله

---

(١) الخميني دماء وتخريب ـــ نقلا عن المؤلف.

(٢) ص ١٩ ـــ ٢٠ كشف موقف الغزالي. (٣) سورة الممتحنة الآية ١٣.

عن الدليل الذي حكم بموجبه على الشيعة بالكفر. ما هو ؟ واذا لم يكن معه من دليل على تكفيرهم، فلماذا يفرق بين المسلمين بلا دليل ؟ انهم هم نصف المسلمين في العالم، وقد يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، فكيف يخرجهم من المسلمين بلا دليل ؟ وانهم يشهدون أن خالق العالم هو الله وحده، ويشهدون أن محمداً عبده ورسوله، ويؤمنون بالقرآن الكريم كله، ويحفظونه في صدورهم غيباً، ويلتزمون بكل ما جاء في القرآن ويعملون به. وقوم هذا حالهم، كيف يكفرهم.

هات الدليل على أنهم كفار.

وهذا المؤلف يحكم على الشيعة بالكفر بأخبار آحاد هي كاذبة. وهي : أن القرآن الذي معهم يختلف عن القرآن الذي مع المسلمين السنيين. وهذا هو دليله.

والرد عليه : هو أن القرآن الذي مع الشيعة، هو نفسه القرآن الذي مع المسلمين السنيين بلا زيادة ولا نقصان. ويشهد لذلك : المصاحف التي مع الشيعة في جميع أنحاء العالم. وتفاسير الشيعة للقرآن.

فالنص في تفاسيرهم هو نفسه النص في تفاسير المسلمين السنيين. والنص في مصاحفهم هو نفسه النص في مصاحف أهل السنة.

ويعتقد هذا المؤلف : أن الأحاديث النبوية التي هي عند الشيعة تختلف عن التي هي عندنا نحن السنيين ـــ واعتقاده صحيح ـــ لأن عندهم كتاب « الكافي » « للامام الكليني » يماثل « البخاري » عند أهل السنة. ورواة أحاديثهم هم أهل البيت. والاختلاف في صحة الأحاديث النبوية لا يكفر أحداً. ولا انكارها كلها يكفر. اذ المسلمون من عهد النبي ﷺ الى عهد عمر بن عبد العزيز ـــ كما في الكتب ـــ لم يكتبوا الأحاديث في كتب مثلما كتبوا القرآن، والأحاديث فيها ما يدل على ان اليهود والزنادقة قد وضعوا فيها كلاماً لم يقله النبي ﷺ. والخوارج والمعتزلة وهم من

الصحابة والتابعين بل هم الذين نقلوا القرآن ونقلوا شعائر الدين قبل اقرار مذهب السلف في ديار المسلمين. هؤلاء الخوارج والمعتزلة لم يأخذوا بالأحاديث في العقائد، وخلفاء من المسلمين الأمويين والعباسيين كانوا على رأي المعتزلة. بل إن المأمون ــ رضي الله عنه وأرضاه ــ قتل من المحدثين خلقاً كثيراً، لكذبهم على رسول الله ﷺ.

ويعتقد هذا المؤلف : ان في كتاب « الكافي » اسرائيليات وخرافات وروايات تدل على أن القرآن محرف.

والرد عليه : صحيح أن في كتاب « الكافي » اسرائيليات وخرافات وروايات تدل على أن القرآن محرف. وأنا قد قرأته وعلمت ذلك منه. لكن يجب أن نفرق بين أمرين. أولهما : الكتب. وثانيهما : حياة الناس. فما في الكتب هو كلام. وأكثر الناس عوام أميون لا يعرفون ما في الكتب. والذي يعرف ما في الكتب هم العلماء. والعلماء يدرسون. واذا صاروا من الراسخين في العلم واستغنوا عن الأجر من الحكام والناس فانهم يجهرون بالحق من القول، واذا لم يستغنوا وهم من الراسخين، فقد ينكرون الباطل ولكن لا يصرحون به. لضرورات تلجؤهم الى الانكار ولكن لا يشرحون بهد صدراً.

وأنت أيها السني. عندك في كتب الأحاديث اسرائيليات وخرافات وروايات تدل على أن القرآن محرف. أتنكر هذا ؟ أما أنا فلا أنكر.

ويجب على ألا أكتم من العلم ما أعرف، لقوله تعالى :

﴿ ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلِّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم * أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴾[1] ؟

---

(١) سورة البقرة الآيتان ١٧٤ و ١٧٥.

وهذه أمثلة من كتب أهل السنة في الحديث وفي التصوف :

المثال الأول

في تفسير قوله تعالى : **﴿ واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق ﴾**[1] الآية.

ذكر أهل الحديث روايات معنعنة تطعن في النبي ﷺ. ومن الذين رووا: ١ ــ ابن أبي حاتم. ٢ ــ وابن جرير. ٣ ــ والامام أحمد. ٤ ــ والبخاري. فهل كانوا متعمدين اساءته ﷺ أم أنهم رووا والعهدة على الراوي ؟ لقد قال ابن كثير في تفسيره ــ وهو محدث تقي ورجل رشيد ــ ما نصه : « ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثاراً عن بعض السلف ــ رضي الله عنه ــ أحببنا أن نضرب عنها صفحاً، لعدم صحتها فلا نوردها. وقد روى الامام أحمد ههنا ايضاً حديثاً من رواية حماد بن زيد، عن ثابت عن أنس ــ رضي الله عنه ــ فيه غرابة، تركنا سياقه أيضاً. وقد روى البخاري أيضاً بعضه مختصراً ... ».

فابن كثير ــ رضي الله عنه ــ وهو من أهل الحديث، عاب على المحدثين مروياتهم في الطعن في رسول الله عليه السلام ولم يذكر أقوالهم لتفاهتهم من جهة، ولئلا تضعف ثقة الناس في الرسول من جهة أخرى. اذ هو القدوة الصالحة للناس أجمعين.

المثال الثاني

أهل التصوف وهم جمهور المسلمين في العالم. اذ المسلمون في العالم. إما سنة وإما شيعة ــ والشيعة من أهل التصوف ــ وأهل السنة إما معتزلة وإما اشاعرة، وإما ماتريدية وإما سلف. وإما على مذهب الخوارج.

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٧.

والسلف لا يزيد عددهم في العالم أجمع على أكثر تقدير على مليون شخص.

وفي كتب المتصوفة خرافات وأساطير واسرائيليات، عند أهل السنة وعند الشيعة. فهل نكفر مسلمي العالم ؟ هل نكفر الملايين من المسلمين ؟

اننا اذا كفرنا الشيعة وكفرنا السنيين الأشاعرة، وغير الأشاعرة من الماتريدية والخوارج والمعتزلة، فكم يبقى على الاسلام من جملة المسلمين ؟

إنه لا يبقى الا السلفي السائر على مذهب أحمد بن حنبل في العقائد ــ وهو مذهب العوام ــ وعلى مذاهب الأئمة الأربعة في الفقه. وقد قال المؤلف الناقد عن أصولهم في الحديث : انهم لا يشترطون لصحة الحديث خلوه من الشذوذ والعلة. أي أنهم على رأيه هو قد استنبطوا الفقه من كلام الناس، ووصايا الناس.

وناقدو مذهب السلف يقولون عنهم : انهم لا يعرفون محكم القرآن ولا متشابهه. ويمنعون المجاز في القرآن، وفي لغة العرب، ويجسمون الله ولا يصرحون لطلاب العلم بأنه جسم، ويقولون هو في السماء بذاته، وليس في الأرض بذاته ويقولون : ان صفات الله زائدة على ذاته، ويقولون : ان الله ينزل نزولاً حسياً يليق بجلاله كل ليلة الى سماء الدنيا. ويروون في كتبهم المعنى وضده. ويدافعون عن الأحاديث الضعيفة المنسوبة الى رسول الله ﷺ وهي قد رويت وكتبت من بعده بزمان طويل، نسي فيه الرواة شيئاً، وازادوا وانقصوا، وصدقوا وكذبوا.

فيا ايها المؤلف. هذا هو حال المسلمين. من منهم تكفره ؟ ومن منهم لا تكفره ؟ قل : ان المتصوفة جهلاء. قل : انهم يجب أن يعلموا. لكن لا تقل إنهم كفار. قل : ان الشيعة قد غشهم أهل الأهواء والبدع ــ كما

قد غشوك ــ قل : انهم غير محقين في ايمانهم بالتصوف. لكن لا تقل انهم كفار. جمع أيها المؤلف ولا تفرق. جمع وعلم. علم على القرآن والسنة المفسرة، تفلح. جادل بالتي هي أحسن، ولا تسب المصلحين.

* * *

وسأذكر نصين من كتب المتصوفة، ليعلم منهما أن التصوف ليس من الاسلام.

النص الأول

قال الشعراني في الطبقات الكبرى، عن ابراهيم الدسوقي الكائن مقامه وضريحه في مدينة « دسوق » في الديار المصرية. ما نصه : « وكان رضي الله عنه يتكلم بالعجمي والسرياني والعبراني والزنجي وسائر لغات الطيور والوحش وكتب رضي الله عنه الى بعض مريديه بعد السلام وانني احب الولد وباطني خلي من الحقد والحسد ولا بباطني شظا ولا حريق لظى ولا جوى من مضى ولا مضض غضا ولا نكص نصا ولا سقط نظا ولا ثطب غظا ولا عطل حظا ولا شنب سرى ولا سلب سبا ولا عتب فجا ولا سمداد صدا، ولا بدع رضا ولا شطف جوا ولا حتف حرا ولا خمش خيش ولا حفص عفص ولا خفض خنس ولا حولد كنس ولا عنس كنس ولا عسعس خدس ولا جيقل خندس ولا سطاريس ولا عيطافيس ولا هطا مرش ولا سطا مريش ولا شوش أريش ولا ركاش قوش ولا سملادنوس ولا كتبا مطلول الروش ولا بوس عكمسوس ولا انفداد أفاد ولا قمداد انكاد ولا بهداد ولا شهداد ولا بد من العيون وما لنا فعل الا في الخير والنوال » انتهى.

النص الثاني

قال الشعراني في الطبقات الكبرى عن الصوفية. ما نصه :

ومنهم سيدي ابراهيم بن عصيفير ـــ رضي الله عنه ـــ آمين.

كان خطه الذي يمشي فيه من باب الشعرية الى قنطرة الموسكي الى جامع الغمري. وكان كثير الكشف. وله وقائع مشهورة. وكان أصله من البحر الصغير، وظهرت له الكرامات وهو صغير، منها أنه كان ينام في الغيط ويأتي البلد وهو راكب الذئب أو الضبع. ومنها أنه كان يمشي على الماء لا يحتاج الى مركب وكان بوله كاللبن الحليب أبيض. وكان يغلب عليه الحال، فيخاصم ذباب وجهه. وكان يتشوش من قول المؤذن : الله أكبر. فيرجمه ويقول : عليك يا كلب. نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبروا علينا ؟ وما ضبطت عليه قط كشفاً أخرم فيه، وليلة أحرقت منارة المدرسة التي هي مسكننا بين السورين، أخذ من انسان نصفين، وأعطاهما للسقاء وقال : كب هذه الراوية على هذا الحريق فصبه على الأرض تجاه المدرسة. فقال الناس للسقاء : اللهم ان هذا مجذوب ما عليه حرج تصب الماء على الأرض خسارة ؟ فطلع الوقاد تلك الليلة فأوقد المنارة ورشق الجنيب في حائطها وكانت خشباً ونزل ونسيه فاحترقت تلك الليلة، ووقعت الثلاثة أدوار، كأن انسانا نزعها وكانت خشبا وحملها ووضعها على الأرض ممدودة في الشارع لم تصب أحداً من الجيران.

وكان رضي الله عنه يقول : جاءكم ابن عثمان جاءكم ابن عثمان. فكان غزاة الغوري يسخرون به وكان رضي الله عنه كثير الشطح، وكان أكثر نومه في الكنيسة، ويقول : النصارى لا يسرقون النعال في الكنيسة بخلاف المسلمين.

وكان رضي الله عنه يقول انا ما عندي من يصوم حقيقة الا من لا يأكل اللحم الضاني أيام الصوم، كالنصارى، واما المسلمون الذين يأكلون اللحم الضاني والدجاج أيام الصوم، فصومهم عندي باطل.

وكان رضي الله عنه يقول لخادمه : أوصيك أن لا تفعل الخير في هذا الزمان، فينقلب عليك بالشر، وجرب أنت نفسك.

ولما سافر الأمير جانم الى الروم شاوره فقال : تروح وتجيء سالماً. ففارقه وراح للشيخ محيسن، فقال له ان رحت شنقوك وان قعدت قطعوا رقبتك. فرجع الى الشيخ ابن عصيفير فقال : تروح وتجيء سالماً. وكان الأمر كذلك فراح تلك السفرة وجاء سالماً، ثم ضرب عنقه بعد ذلك. فصدق الشيخان.

ولما سافر ابن موسى المحتسب الى بلاد العصاة، أرسل الى عياله بقمقم ماء ورد، وقال صبوه على كفنه وهو على المغتسل، فجاء الخبر بأنهم قتلوه وأتوا به في سحلية، فصبوه عليه. كما قال الشيخ.

وكان شخص يؤذيه في الحارة فدعا عليه ببلاء لا يخرج من بدنه الى أن يموت، فتورمت رجلاه وانتفختا، وخرج منهما الصديد وترك الصلاة حتى الجمعة والجماعة، وصار لا يستنجي قط. فاذا غسلوا ثوبه وجدوا فيه العذرة كثوب الأطفال.

وقال له شخص مرة : ادع لي يا سيدي. فقال : الله يبليك بالعمى في حارة اليهود فعمي كما قال في حارتهم. وقال له شخص ومعه بنية حاملها : ادع لبنيتي هذه. فقال : الله يعدمك حسها، فماتت بعد يومين. وكان يفرش تحته في مخزنه التبن ليلاً ونهاراً. وقبل ذلك كان يفرش زبل الخيل. وكان اذا مرت عليه جنازة وأهلها يبكون، يمشي أمامها معهم، ويقول : زلابية هريسة، زلابية هريسة، وأحواله غريبة. وكان يحبني وكنت في بركته وتحت نظره الى أن مات سنة اثنتين واربعين وتسعمائة، ودفن بزاويته بخط بين السورين تجاه زاوية الشيخ أبي الحمائل رضي الله عنه » أ.هـ.

* * *

هذه أمثلة أيها المؤلف من كتبنا نحن أهل السنة، شبيهة بالكلام الذي بموجبه تكفر الشيعة الامامية. ففي كتبهم :

١ ــ روي : أنه لما ولد الامام الثاني عشر، رأى له علي بن هاشم

نوراً ساطعاً قد ظهر منه وبلغ افق السماء، ورأيت طيوراً بيضاً تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثم تطير. فأخبرنا أبا محمد بذلك، فضحك ثم قال : تلك ملائكة السماء نزلت للتبرك بهذا المولود. وهي أنصاره اذا خرج[1].

٢ ــ ذكر الكليني عن جعفر أنه قال : « لا يموت الامام حتى يعلم من يكون بعده، فيوصي اليه »[2].

٣ ــ « ان الامام مؤيد بروح القدس، وبينه وبين الله عز وجل عمود من نور، يرى فيه أعمال العباد، وكلما احتاج اليه لدلالة اطلع عليه »[3].

٤ ــ جاءت امرأة الى علي بن الحسين، الملقب بزين العابدين. وقد بلغت من الكبر عتيا، فقالت : أتيت علي بن الحسين ــ عليهما السلام ــ وقد بلغ بي الكبر، الى أن أرعشت، وأنا أعد يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة، فرأيته راكعاً وساجداً، أو مشغولاً بالعبادة، فيئست من الدلالة فأومأ الي بالسبابة، فعاد الي شبابي[4].

٥ ــ عن محمد بن مسلم أنه قال : دخلت على ابي عبدالله عليه السلام وعِنده أبو حنيفة. فقلت له : جعلت فداك. رأيت رؤياً عجيبة. فقال لي : يا ابن مسلم. هاتها. فإن العالم بها جالس، وأومأ الى أبي حنيفة. قال : فقلت : رأيت كأني دخلت داري واذا أهلي قد خرجت علي، فكسرت جوزاً كثيراً، ونثرته علي. فتعجبت من هذه الرؤيا. فقال أبو حنيفة : أنت رجل تخاصم وتجادل لئاماً في مواريث أهلك، فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها ان شاء الله. فقال أبو عبدالله عليه السلام : أصبت والله يا أبا حنيفة.

---

(١) روضة الواعظين ض ٢٦٠.
(٢) الكافي ج ١ ص ٢٧٧.
(٣) الخصال للقمي ص ٥٢٧ ــ ٥٢٨.
(٤) الكافي ج ١ ٣٤٧.

قال : ثم خرج أبو حنيفة من عنده فقلت : جعلت فداك. اني كرهت تعبير هذا الناصب. فقال : يا ابن مسلم. لا يسوءك الله فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا، ولا تعبيرنا تعبيرهم، وليس التعبير كما عبره. قال : فقلت له : جعلت فداك، فقولك : أصبت. وتحلف عليه وهو مخطئ ؟ قال : نعم، حلفت عليه أنه أصاب الخطأ[1].

٦ ــ روى ابن بابويه القمي عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي ــ عليهم السلام ــ أن جبريل هبط على رسول الله ﷺ فقال : يا محمد. ان الله جل جلاله يقول : لو لم أخلق عليا ــ عليه السلام ــ لما كان لفاطمة ابنتك كفؤ على وجه الأرض. آدم فمن دونه »[2].

هذا مما في كتبهم وهو شبيه بما في كتبنا. فماذا ترى ؟ هل بذلك نكفر المسلمين جميعاً. سنيين وشيعة ؟

* * *

ولقد كان في « ايران » فساد بسبب ولاء حكامها للامريكان فقام رجال الدين بمحوه، ومكنوا للدين في « ايران » فعملوا بالشريعة وعلموها للناس. فهل ذلك عيب ؟ لماذا لم تنصرهم اذ قاموا ليحقوا الحق ويزهقوا الباطل ؟ أما عندك في الأحاديث : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله » ؟ أما عندك في القرآن : ﴿ **انما المؤمنون إخوة** ﴾[3] ؟ أما عندك في القرآن : ﴿ **وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** ﴾[4] ؟

واذا أنت لم تنصرهم ــ واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية ــ فلماذا

---

(١) الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٩٢.
(٢) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٢٥.
(٣) سورة الحجرات الآية ١٠.
(٤) سورة المؤمنون الآية ٥٢.

تعيب على من ينصرهم ؟ لماذا تعيب على الشيخ محمد الغزالي ـــ نضر الله وجهه ـــ إن نصر زميله في احقاق الحق وازهاق الباطل ؟ أما قرأت قول الله تعالى : ﴿ واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلك اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾[1] ؟

لقد جاهد الامام الخميني ـــ رحمه الله ـــ في سبيل الله وصار إماما للمسلمين شيعة أهل البيت. وجاهد الامام محمد الغزالي ـــ رضي الله عنه ـــ وصار إماما للمسلمين السنيين. وهو من مصر التي فيها المركز الرئيسي لأهل السنة الأشاعرة وسعى الى صاحبه، وسعى صاحبه اليه، ليقولا للمسلمين : اتحدوا فان عدوكم يحبّ لكم الفرقة لكي يقضي عليكم. يا مسلمي العالم اتحدوا في مواجهة اليهود. يا مسلمي العالم اتحدوا في مواجهة النصارى. يا مسلمي العالم اتحدوا في مواجهة الشيوعيين والكافرين والذين أشركوا.

أتعيب على امام المسلمين السنيين أن يذكر المسلمين جميعاً في انحاء العالم بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تَفرَّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم علىٰ شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها كذلك يبيِّنُ الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾[2] ؟

(١) سورة آل عمران الآية ٨١.

(٢) سورة آل عمران الآيات ١٠٢ ـــ ١٠٥.

وقال هذا المؤلف الذي سب الشيخ محمد الغزالي وشتمه : « في هذه المرحلة ودولة الرفض تخطط وتبذل كل ما عندها من طاقات وامكانات لابتلاع العالم الاسلامي »[1].

وأني أسألك بالله الذي فلق البحر لموسى عن ابتلاعهم للعالم الاسلامي. كيف يبتلعونه ؟ هل هم اذا فتحوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ؟ وهل اذا حكموا على قرية من قرى المسلمين يهدمون مساجدهم، ويعطلون شعائر دينهم ؟ انهم حكموا مصر قرونا من الزمان. فبنوا فيها المساجد، وأنشأوا فيها المدارس، ووقروا كتاب الله، وحكموا بالحق وبالعدل، وما أجبروا صاحب مذهب محترم على أن يترك مذهبه الى مذهبهم، ولا أشعريا ولا معتزليا. وإنما أجبروا الناس على حياة النسك والعبادة. وهم اليوم في « ايران » يحققون المؤاخاة والمساواة بين السني والشيعي، ويتركون للمسلم الحرية الكاملة في أن يعتقد ما يراه صوابا في حدود ما أنزل الله على رسوله.

قل لي أيها المؤلف : أتعتقد أن الشيعي اذا حل في مكان من الأمكنة يفتح بيوت الدعارة، وحانات الخمر للفساق من الناس ؟ أتعتقد أنهم يبيحون الزنا واللواط ؟ أتعتقد أنهم يحللون الربا ويحرمون البيع ؟ أتعتقد أنهم يطففون المكيال والميزان ويبخسون الناس أشياءهم ؟ ـــ أتعتقد أنهم يبيحون الأموال والنساء ؟ أما أنا فلا أعتقد. وأحسبك كذلك لا تعتقد فيهم أن يفعلوا شراً[2]. وانما تعتقد أنهم سيجبرون الناس على اعتناق مذهبهم. ولو فرض أن اعتقادك صحيح ـــ وما هو بصحيح ـــ فاعتناق المسلم للمذهب الشيعي خير له من أن يعتنق المذهب العلماني أو الاشتراكي أو الشيوعي أو الرأسمالي، وخير له من أن يهجر الدين بالكلية.

---

(١) ص ١٩ كشف موقف الغزالي.

(٢) رحلة خسرو نامه. وفيها أنه رأى الشيعة في مصر يحكمون بالحق والعدل .

ويقول هذا الذي يسب الشيخ محمد الغزالي إمام المسلمين ــ رضي الله عنه ــ : ان القرامطة كانوا من الشيعة، وقد افسدوا في « مكة » في زمن من الأزمان. وان الباطنية فرقة من الشيعة ولهم في الدين تفسيرات. وهذا يدل على أن الشيعة خطرون على الاسلام والمسلمين.

والشيعي يقدر أن يرد عليك بقوله : انه كان فينا من يفسد ولا يصلح وفيكم من كان كذلك. فالأعراب ــ وهم سنيون ــ كانوا يقعدون في طريق الحجاج ليقطعوا عليهم الطريق وليأخذوا منهم أموالهم بقسوة لا يعرف التاريخ لها مثيلاً. فهل فِعْلُ الأعراب دليل على أن السنيين خطرون على الاسلام والمسلمين ؟ بل غار العرب بعضهم على بعض من قبل الاسلام ومن بعده. فهل هذا يؤخذ دليلاً على أن الاسلام غير صحيح، لعدم انتفاع العرب به ؟ بل قد والى العرب ونصروا نصارى الانكليز والامريكان وغيرهم، وكفوا عن اليهود أيديهم، لضرورة دعتهم في هذا الزمان، الى ذلك، فهل يكونون بالموالاة وبالنصرة وبالكف، خارجين عن الدين ؟

ويقدر الشيعي أن يقول ايضاً : وفي السنيين فرق شاذة، وفي السنيين كتَّاب شواذ ومعلمون شواذ ومرشدون مأجورون، ودعاة مرتزقة، ووعاظ لمصلحة السلاطين، وفي السنيين علمانيون واشتراكيون وملحدون لا ملة لهم، فهل هذا يعد عيباً في السنيين الملتزمين بالدين ؟

ويقدر السني أن يقول والحالة هذه : لأن يحكمني شيعي على مذهب أهل البيت، خير من أن يحكمني ملحد أو علماني أو اشتراكي أو شيوعي يتظاهر بالاسلام.

أهل الاعتزال

وهذا الذي سب الشيخ محمد الغزالي وشتمه. يقول : ان المعتزلة كفار وأن منهجهم يؤخر الأمة وأنه لا يصح للشيخ محمد الغزالي أن

يختار منهجهم، ولا أن يستدل بكلام واحد منهم في أمور الدين. وعاب عليه أنه وافق « النظَّام » وهو رئيس من رؤساء المعتزلة في انكار معجزة انشقاق القمر انشقاقاً حسياً.

يقول الشيخ محمد الغزالي السقا رضي الله عنه : « ولا يصدنك عن دين الله خبر راو من الرواة، حفظ أم نسي. واعلم : أن من مفكري المسلمين ومفسري دينهم من اعتبر الانشقاق من أشراط الساعة. وأن من المتكلمين من توقف في أخبار الآحاد. كما قال « ابراهيم النظَّام » : « ان القمر لا ينشق لابن مسعود وحده » وابن مسعود هو الذي روى عنه الحديث المذكور »[1].

ويعقب عليه هذا الذي سبه وشتمه بقوله : « ونريد أن نعرف « ابراهيم النظَّام » الذي احتج به « الغزالي » وتابعه في تكذيب الصحابي الجليل الكبير. عبدالله بن مسعود ... والقارئ الفطن يدرك بعض المنابع التي ينهل منها « الغزالي » سموم حربه على الحديث وأهله. وكفاه خذلانا : أن يكون أسلافه في محاربة السنة وأهلها، هذه الأصناف من مثل « النظَّام » والمنجمين والفلاسفة وغيرهم من أعداء الله وأعداء دينه ورسله. فهؤلاء هم الذين يسميهم : مفكري المسلمين ومفسري دينهم »[2] أ.هـ.

ثم يستدل على كفر النظَّام بكلام للذهبي وابن حجر، وهما من أهل الحديث. والذهبي يوالي أهل التجسيم.

الرد عليه

لو قال واحد من منكري الأحاديث : ان « ابن مسعود » كاذب. فهو لا يعني « ابن مسعود » لأن « ابن مسعود » لم يقل. وانما يعني الرواة

(١) ص ٦٦ الطريق من هنا.
(٢) ص ٣٨ كشف موقف الغزالي.

الذين كذبوا على « ابن مسعود » وكذلك القول في سائر الصحابة ـــ رضوان الله عليهم أجمعين ـــ وكذلك القول في النبي ﷺ ـــ فلو قلنا : ان الحديث مكذوب. فليس المعنى أن النبي هو الذي كذب. بل المعنى أن الرواة هم الذين كذبوا. ذلك لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى ﴿ **ان هو الا وحي يوحى** ﴾[1].

و « النظام » ـــ رضي الله عنه ـــ ذكر أحاديث من كتب المحدثين، تدل على أن النبي ﷺ نهاهم عن الكتابة، وأنهم خالفوه ورووا المعنى وضده، ورووا عن الصحابة أنهم كذب بعضهم بعضاً. ومجموع الأحاديث التي استدل بها على رد الأحاديث أن يؤخذ بها في العقائد ذكرها مؤلف كتاب « المحصول » وهو مؤلف « أساس التقديس » وليس هو وحده الذي فعل فان « الجوزقي » صنع مثل صنعه، في « الانتصار لأهل الحديث » ونقل من كلامه شيئاً مؤلف « القضاء والقدر » وهو الامام فخر الدين الرازي ـــ رضي الله عنه ـــ مؤلف « المحصول » « وأساس التقديس ».

والنظام رضي الله عنه أنكر انشقاق القمر انشقاقاً حسياً لرسول الله ﷺ وحجته أنا أصوغها بالنيابة عنه هكذا.

معجزة انشقاق القمر

١ ـــ النص المحكم في القرآن يمنع المعجزات الحسية للنبي عليه السلام، مثل نبع الماء من بين أصابه عليه السلام وانشقاق القمر وغيرهما. فقد طلب الكفار من النبي عليه السلام معجزات حسية كمعجزة موسى وعيسى وغيرهما من النبيِّين. فرد الله عليهم بأن القرآن الكريم يكفي في اثبات نبوة محمد عليه السلام. ومنع عنه المعجزات الحسية. فقد قال

---

(١) سورة النجم الآية ٤.

تعالى : ﴿ **وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين * أَوَلَمْ يكفهم أَنَّا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون** ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ **وما منعنا ان نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون** ﴾[2] هذا هو النص المحكم. وهو يمنع المعجزات الحسية.

٢ ــ والنص المتشابه هو : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾[3] فانه يحتمل معنيين.

(أ) الانشقاق الحسي.

(ب) والكناية عن ظهور أمر الاسلام وانتشاره.

اذ كما يبدد القمر ظلام الليل، كذلك يبدد نور القرآن ظلام الكفر. وفي رد المتشابه الى المحكم، يكون المعنى الثاني هو المراد، لأن المحكم ينفي المعجزات الحسية.

فان قلت : ان الممنوع من المعجزات الحسية هو النوع الذي اقترحته قريش خاصة. وهو قلب جبل الصفا ذهبا وغيره، ليؤمنوا به بأن محمدا رسول الله. فان قوله تعالى : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات** ﴾[4] يفيد العموم في المنع، ويمنع المقترح وغير المقترح.

والآن. ما دليلك أيها المؤلف على الانشقاق الحسي للقمر[5] ؟ أنت سني سلفي. ومن السنيين السلفيين من أنكر الانشقاق الحسي للقمر. وأَوَّلَ « انشق » على معنى سينشق يوم القيامة ومنهم من قال : انه كناية عن

(١) سورة العنكبوت الآيتان ٥٠ ــ ٥١.
(٢) سورة الاسراء الآية ٥٩.
(٣) سورة القمر الآية ١.
(٤) سورة الإسراء الآية ٥٩.
(٥) دليله من البخاري ومسلم بروايات آحاد.

وضوح الدين للمسلم والكافر، فهب أن « النظام » والشيخ محمد الغزالي ــ رضي الله عنهما ــ علّى رأي السنيين السلفيين القائلين بأنه سينشق. فلماذا تعيب عليهما ؟

في تفسير القرطبي رضي الله عنه : « وقال قوم : لم يقع انشقاق القمر بعد. وهو منتظر، أي اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر، وأن الساعة اذا قامت، انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره. وكذا قال القشيري. وذكر الماوردي : أن هذا قول الجمهور وقال : لأنه اذا انشق ما بقي أحد الا رآه، لأنه آية والناس في الآيات سواء. وقال الحسن : اقتربت الساعة. فاذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية. وقيل : ﴿ **وانشق القمر** ﴾ أي وضح الأمر وظهر. والعرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح. قال :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم   فاني الى حي سواكم لأميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر   وشدت لطيات مطايا وأرحل

وقيل : انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعها في أثنائها، كما يسمى الصبح فلقاً، لانفلاق الظلمة عنه. وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه، كما قال النابغة :

فلما أدبروا ولهم دوي   دعانا عند شق الصبح داع

[انتهى كلام القرطبي بنصه].

* * *

وهذا المؤلف وشيعته يكفرون[1] المعتزلة لقولهم بأن القرآن محدث وليس بقديم.

---

(١) أعلم : أن ابن تيمية لا يكفر من يقول : ان القرآن مخلوق.

يقول : « وأما التكفير. فالصواب : أنه من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق، فأخطأ : لم يكفر. بل يغفر له خطؤه، ومن تبين له ما جاء به الرسول، فشاق الرسول من =

وهذا هو قول المعتزلة في القرآن

يقولون ــ رضي الله عنهم ــ : ان الله قادر على الكلام. وهو اذا أراد أن يتكلم في أي وقت تكلم. فهو في الأزل قال للسموات والأرض : ﴿ **ائتيا طوعا أو كرها** ﴾[1] وقال لابراهيم عليه السلام كلاما في صحف، وقال لموسى عليه السلام من بعده، وقال لداود عليه السلام، وقال لعيسى عليه السلام، ثم قال لمحمد عليه السلام. واذ محمد من بعدهم، وقرآنه هو من كلام الله.

واذ محمد مخلوق محدث. فان القرآن النازل عليه يكون مخلوقاً محدثاً.

ثم يستدلون بآيات من القرآن على أنه مخلوق محدث. منها :

١ ــ ﴿ **الله خالق كل شيء** ﴾[2] والقرآن شيء، فيكون مخلوقاً.

= بعد ما تبين له الهدى، واتبع غير سبيل المؤمنين : فهو كافر. ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب. ثم قد يكون فاسقاً، وقد تكون له حسنات، ترجح على سيئاته. فالتكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص. فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال، يكون كافراً، بل ولا فاسقاً بل ولا عاصياً، ولا سيما في مثل « مسألة القرآن » وقد غلط فيها خلق من أئمة الطوائف، المعروفين عند الناس بالعلم والدين، وغالبهم يقصد وجها من الحق فيتبعه، ويعزب عنه وجه آخر لا يحققه، فيبقى عارفاً ببعض الحق، جاهلاً ببعضه، بل منكراً له.

ومن ههنا نشأ نزاعهم. فالذين قالوا انه مخلوق : رأوا ان الكلام لا يكون الا بقدرة المتكلم ومشيئته، وأن كلاماً لازماً لذات المتكلم لا يعقل، فإنه ان جعل معنى واحداً، كان مكابرة للعقل، وكذلك ان جعل اصواتاً ازلية. ثم ظنوا ان ما كان بقدرة الرب ومشيئته لا يكون الا منفصلاً عنه. وما انفصل عنه فهو مخلوق. ولهذا انكروا أن يجيء أو يأتي أو ينزل ... الخ » [ص ١٨٠ المجلد الثاني عشر من الفتاوى].

(١) سورة فصلت الآية ١١.

(٢) سورة الرعد الآية ١٦؛ الزمر ٦٢.

٢ ــ ﴿ **انا جعلناه قرآنا عربيا** ﴾[١] والجعل يدل على أن الله فعله. والفعل يكون مخلوقاً لا قديماً.

٣ ــ ﴿ **نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين** ﴾[٢] وهذا يوجب الحدوث للنداء. لأنه جعل الشجرة ابتداء غايته.

٤ ــ ﴿ **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون** ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ **وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين** ﴾[٤].

فالذكر موصوف في الآيتين بأنه محدث. والذكر هو القرآن، فيكون القرآن محدثا. والدليل على أن الذكر هو القرآن : قولة تعالى : ﴿ **ان هو الا ذكر وقرآن مبين** ﴾[٥] ــ ﴿ **وهذا ذكر مبارك أنزلناه** ﴾[٦].

٥ ــ لو كان الله تعالى متكلماً لذاته، لكان يجب أن يكون قائلاً فيما لم يزل : ﴿ **إنّا أرسلنا نوحا الى قومه** ﴾[٧] وان لم يكن قد أرسل.

٦ ــ جاء لفظ الانزال في القرآن بمعنى الخلق. والقرآن أنزله الله فيكون مخلوقاً. والمخلوق محدث. أما أنه بمعنى الخلق ففي قوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا الحديد** ﴾[٨] أي خلقنا. لأن الحديد يخرج من باطن الأرض

---

(١) سورة الزخرف الآية ٣.
(٢) سورة القصص الآية ٣٠.
(٣) سورة الأنبياء الآية ٢.
(٤) سورة الشعراء الآية ٥.
(٥) سورة يّس الآية ٦٩.
(٦) سورة الأنبياء الآية ٥٠.
(٧) سورة نوح الآية ١.
(٨) سورة الحديد الآية ٢٥.

ولا ينزل مثل المطر من السماء. وفي قوله تعالى : ﴿ **وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج** ﴾(١) أي خلقنا. لأن أولاد الأنعام لا تسقط من السماء كالمطر. وأما أن الله أنزل القرآن. ففي قوله تعالى : ﴿ **إنّا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾(٢) وكما دل لفظ الإنزال في الحديث والأنعام على الخلق، كذلك يدل لفظ الانزال في شأن القرآن على الخلق.

هذا هو قول المعتزلة في القرآن. فما هو قولك ؟ أنت تقول : ان صفة الكلام قديمة. وزائدة على ذات الله. فيكون القرآن ــ وهو كلام الله ــ على قولك : غير الله. لأن الزائد على الشيء هو غير الشيء ــ والزائد على الشيء قد يحتمل الجسمية والشكل واللون ــ. فانت تثبت اثنين قديمين أحدهما منفصل عن الآخر. اذ لا معنى للزيادة الا هذا. وهم يثبتون واحداً قادراً على كل شيء. واذا أراد أمراً يقول له كن فيكون. وفعل « نقول » في قوله تعالى : ﴿ **نقول له كن فيكون** ﴾(٣) يدل على التجدد والحدوث. أي هو دائم الخلق والأمر.

وان أنت استدللت بقوله : « أنزله بعلمه » على أن العلم غير الذات، ففي القرآن أن الانزال من الذات لا من العلم. وهو قوله : ﴿ **أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض** ﴾(٤) فالعلم هو الذات، فالصفات في الموصوف.

ومن أجل قولكم هذا في القرآن وفي الرؤية وفي غيرهما، أيها السلفيون، جمعكم أمير المؤمنين « المأمون » ــ رضي الله عنه ــ ووبخكم وأهانكم وأساء اليكم وسجن بعضكم وقتل بعضكم. وهو عربي أصيل فاهم للقرآن الذي نزل بلغته ولغة قومه.

---

(١) سورة الزمر الآية ٦.

(٢) سورة القدر الآية ١.

(٣) سورة النحل الآية ٤٠.

(٤) سورة الفرقان الآية ٦.

ثم أنتم تقولون : ان المأمون أهاننا لعدم موافقتنا على رأيه في خلق القرآن. وها هي نصوص القرآن تدل على خلقه. ولستم بأعلم من المأمون أمير المؤمنين ــ طيب الله ثراه وأكثر في المسلمين من أمثاله لكم ــ ولستم بأعقل منه للغة العرب، ولستم بأحسن منه فهما لكتاب الله تعالى. ثم انه كان ولي أمر المؤمنين. وولي الأمر تجب طاعته فلماذا تخالفونه ؟ ومن هو ولي أمر المؤمنين من بعده الذي لما حكم، نسخ حكم « المأمون » بحكمه ؟ ان أمره ما يزال قائماً ويشهد لصحته القرآن نفسه. فلماذا تحللتم من أمره ؟ ولماذا تعدون المعتزلة من أهل البدع والأهواء ؟

محنة المحدثين مع الخليفة المأمون

وأنتم تقولون : ان محنة المحدثين مع « المأمون » كانت للقول في القرآن بأنه قديم أو محدث. والحق : أن المحنة كانت لمنع الحديث أن يستدل به مستدل على شيء في أصول الدين وفروعه. ذلك لأن المحدثين قد رووا عن الله ما لا يليق بجلاله. مثل الأحاديث التي فيها أن الله يكشف عن ساقه في يوم القيامة. مخالفين ابن عباس في قوله : ان قوله تعالى : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾[1] هو كناية عن الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة ــ كما في تفسير ابن كثير ــ ورواياتهم عن القرآن روايات تدل على أن ألفاظاً قد سقطت منه، ونسخهم آيات من القرآن بأحاديث آحاد. بل وإبطال العمل بآيات هي فيه، بحجة أنها منسوخة.

لقد وضعتم في دين الله ما يبطل شريعته، وينسخ دينه، ويشوش على تعاليمه. وهذا هو الدافع لأمير المؤمنين المأمون ــ أكثر الله من أمثاله ــ لأن يمنع الأحاديث الضعيفة من أن يستدل بها مستدل على شيء في العقائد والفقه، كما منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ.

* * *

(١) سورة القلم الآية ٤٢.

وهذا المؤلف وشيعته يقبلون خبر الآحاد على ظاهره ويحتجون به ويناضلون عنه بكلام عريض. وقتل المأمون رضي الله عنه للمحدثين ومنعهم من كتابته والتصريح به في المساجد، قد نقل الى المسلمين عن طريق المحدثين كالطبري في تازيخه والسيوطي في تاريخ الخلفاء. فلنفترض جدلاً أن المأمون واحد، وان الخبر قد نقل برواية الآحاد. لكن المأمون كان أميراً للمؤمنين جميعاً سنيين وشيعة، وقلوب المسلمين معه، وهم يدينون له بالولاء، وله يسمعون ويطيعون. فالمسلمون جميعاً كانوا يقولون بما قال المأمون الا نفرا من المحدثين ــ كما قالوا ــ ومع ذلك فلنفترض أن خبر خلق القرآن مروي بالآحاد وأن المأمون مخطئ ــ وما هو بمخطئ ــ فهل تجوزون اجتماع أمة محمد ــ في العصر الذهبي للاسلام ــ على الخطأ، وانتم تروون في كتبكم : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » ؟

واذا قلتم بأن « المأمون » واحد. فقولكم مردود. باجماع خلفاء من بني أمية وبني العباس على رأي « المأمون » وهم خلفاء من العرب الخلص، لا من الأعاجم.

ولماذا ترفضون كلام « المأمون » وهو غيور على الاسلام وتقبلون كلام المدلسين المعاصرين له في مشكلة خلق القرآن. أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً ؟ المعروف ولاؤه، ونسبه، أم المشكوك في ولائه ونسبه ؟ أليس أن « ابن حنبل » و « يحيى بن معين » قد قلدهما القصاص الكذابون في مسجد الرصافة ؟ فما الذي يمنع من وجود مشاغبين في الدين منتحلين أسماء الأئمة الأعلام في ذلك الوقت ؟

* * *

وهذا بيان بخلفاء بني العباس الأوائل الذين نصروا المعتزلة، كما نصرهم أمويون من قبلهم :

أبو العباس السفاح :

١٣٢ ــ ١٣٦ هـ = ٧٥٠ ــ ٧٥٤ م

أبو جعفر المنصور :

١٣٦ ــ ١٥٨ ــ هـ = ٧٥٤ ــ ٧٧٥ م

المهدي :

١٦٩ ــ ١٧٠ هـ = ٧٨٥ ــ ٧٨٦ م

هارون الرشيد :

١٧٠ ــ ١٩٣ هـ = ٨٧٦ ــ ٨٠٩ م

الأمين :

١٩٣ ــ ١٩٨ هـ = ٨٠٨ ــ ٨١٣ م

المأمون :

١٩٨ ــ ٢١٨ هـ = ٨١٣ ــ ٨٣٣ م

المعتصم :

٢١٨ ــ ٢٢٧ هـ = ٨٣٣ ــ ٨٤٢ م

الواثق :

٢٢٧ ــ ٢٣٢ هـ = ٧٤٢ ــ ٨٤٧ م

وبموت الواثق انتهى العصر الذهبي للدولة العباسية كما يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن.

* * *

وهذا نص مناظرة مع « الواثق بالله » رضي الله عنه ومحدث لغا في تعاليم القرآن بقوله بجواز رؤية الله وأن القرآن قديم :

يقول الطبري في تاريخه :

ناظر الخليفة الواثق في سنة ٢٣٠ هـ أحمد بن نصر في مسألة خلق القرآن، فقال له :

« يا أحمد ما تقول في القرآن ؟ قال كلام الله. قال : أمخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله. قال : فما تقول في ربك أتراه يوم القيامة ؟ قال : يا أمير المؤمنين جاءت الآثار عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر، لا تضامون في رؤيته » فنحن على الخبر.

فقال الواثق لمن حوله : ما تقولون فيه ؟ فقال القاضي عبد الرحمن بن اسحق : هو حلال الدم. وقال غيره : اسقني دمه يا أمير المؤمنين. ووافقه الحاضرون. الا ابن أبي دؤاد قاضي القضاة، فانه قال : يا أمير المؤمنين كافر يستتاب، لعل به عاهة أو تغير عقل. فقال الواثق : اذا رأيتموني قد قمت اليه، فلا يقومن أحد معي، فاني احتسب خطاي اليه.

ودعا بالصمصامة، سيف عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ذلك الفارس العربي الذي ذاع صيت سيفه. وكان قد أهدي الى الخليفة الهادي العباسي وورثه خلفاؤه، وضربه على عنقه ورأسه، وضربه أحد خاصته فقطع عنقه وجز رأسه.

وحمل الى بغداد وصلب في الجانب الغربي أياما وفي الشرقي أخرى، ووضع في أذنه رقعة فيها :

هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر بن مالك. ممن قتله الله تعالى على يدي عبد الله مروان، الامام الواثق بالله أمير المؤمنين، بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن ونفي التشبيه وعرض عليه التوبة. ومكنه من الرجوع الى الحق، فأبى الا المعاندة والتصريح. والحمد لله الذي عجل به الى ناره وأليم عقابه »[1] أ.هـ.

---

(١) الطبري ج ١٢ ص ١٧ — ١٨.

التعليق

أتقبلون خبر الواحد فيما نقلته عن المأمون في أن القرآن محدث ؟ أم لا ؟ وان لم تقبلوا فقد صار الخبر متواتراً بانضمام من بعده اليه، وبأنه كان على رأي من سبقه ومن أتى بعده من الخلفاء ــ الذين هم من العرب الخلص ــ.

* * *

الخوارج

أما الخوارج الذين هم كفار في نظر المؤلف. والشيخ محمد الغزالي رضي الله عنه في نظر المؤلف على شاكلتهم. فانهم جماعة من اصحاب رسول الله ﷺ كجماعة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وجماعة علي بن أبيَ طالب رضي الله عنه، وهؤلاء الجماعات الثلاث بعد قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه. سب بعضهم بعضا وقتل بعضهم بعضاً.

ولأن أخبار المؤرخين تكون دائماً على سبيل الظن كأخبار الآحاد. فانه يكفينا منها هذا القدر. وهو أنهم تقاتلوا، ونفوض الأمر في أحوالهم الى علام الغيوب. ولكن ننظر في ما أثر عنهم من آراء في الدين، قالوها تفسيراً لآية، أو رداً لشبهة. فإن كان ما قالوه موافقاً للقرآن، فموافقته لا تمنع من الأخذ به، وان كان ما قالوه مخالفاً للقرآن، فمخالفته تجبرنا على عدم الأخذ به.

مذهب الخوارج

وهذا الذي سب الشيخ محمد الغزالي وشتمه ــ هو وجماعته ــ يقولون : ان الخوارج مارقون عن الدين. وذلك لقولهم : ان المسلم الناطق بالشهادتين، ويرتكب كبيرة من الكبائر، ولا يتوب منها هو كافر وخارج عن جماعة المؤمنين، وعلى المسلمين أن يعاملوه معاملة الكافر.

ويقول : ماذا يريد « الغزالي » من السلفيين ؟ هل يختار لهم منهج الرافضة أو مذهب الخوارج أو المعتزلة أو الالتزام بمناهج الصوفية ؟[1] ذلك قوله.

مع أن أهل الحديث يوافقون الخوارج على أهم مبدأ لهم. وهو التكفير بالذنب. وفي الأحاديث أحاديث توافقهم على نبذ الاحتجاج بالسنة ومن مبادئهم :

١ ــ اجتمعوا على أن من لا يعتقد معتقدهم يكفر ويباح دمه وماله وأهله.

٢ ــ وزاد « نجدة » على معتقد الخوارج : أن من لم يخرج ويحارب المسلمين الذين لم يروا رأيهم، فهو كافر، ولو كان معتقداً لاعتقادهم.

٣ ــ ابطلوا رجم المحصن.

٤ ــ قطعوا يد السارق من الابط.

٥ ــ أوجبوا الصلاة على الحائض في حال حيضها.

٦ ــ كفروا من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ان كان قادراً، وان لم يكن قادراً، فقد ارتكب كبيرة ــ اذا لم ينصح[2] ــ وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر.

٧ ــ كفوا عن أموال أهل الذمة وعن التعرض لهم مطلقاً اذا دفعوا الجزية.

---

(١) ص ١٤ كشف موقف الغزالي.

(٢) قال الله تعالى : ﴿ **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله** ﴾. سورة التوبة الآية ٩١.

٨ ــ الصلاة المفروضة صلاتان، صلاة بالغداة وصلاة بالعشيّ. مع صلاة الجمعة.

٩ ــ امام المسلمين ليس بلازم أن يكون من قريش.

١٠ ــ وقالت الأخنسية منهم : لا يلحق الميت بعد موته شر أو خير.

١١ ــ وقالت الثعلبية منهم : ان الله لم يقض ولم يقدر.

تلك مبادئ من مبادئهم ومنها يتبين : (أ) أن المخالفة في العقائد ــ لها حكم عندهم (ب) وأن المخالفة في الأحكام الشرعية لها عندهم حكم آخر. ولو كانت المخالفة في العقائد كالمخالفة في الأحكام الشرعية لكانت العقوبة عندهم هي القتل في كل مخالفة. وما كانوا يمنعون الرجم الذي هو قتل. مع أن الزنا ذنب ــ والذنب مخالفة ــ وما كانوا يوجبون قطع يد السارق من الابط.

(أ) أما تكفيرهم بالذنب في العقائد. فهو مثل من أنكر آية من القرآن أو تأول آية بتأويل سيِّئ غير سائغ.

(ب) وأما تكفيرهم بالذنب في التشريعات. فمن سرق عندهم فهو كافر، لأنه لا يسرق السارق وهو مؤمن. ولكن لا يقام عليه حد الردة بالسرقة. أي لا يقتل وتقطع يده بل تقطع يده فقط وهكذا. ومن ارتد عندهم لا يقتل. لأن الله جعل عقاب المرتد عقاباً أخروياً، الا في حالة عدم المسالمة، أو في حالة التخلص من الحدود. وبيان ذلك : أن المرتد اذا أقفل عليه بيته للنظر والتأمل ولم يؤذ المسلمين ولم يشككهم في الاسلام، فانه يكون مسالماً والمسالم لا يقتل. ولكن اذا سرق. فحكم عليه القاضي بقطع يده. وأراد التخلص من القطع بقوله : أنت تقطع يدي لأني مسلم. وان كنت غير مسلم فانك لا تحكم بقطع اليد. ها أنا مرتد عن الاسلام. فارتداده الآن ليس عن نظر وتأمل، بل هو للهروب من حد هو أقل من القتل. والخوارج في هذه الحالة يوجبون قتله عملاً بقوله

تعالى : ﴿ **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض** ﴾[1].

واذا قطعت يد السارق المسلم فانه يعامل معاملة المسلم عندهم ــ لأن العقوبة المنصوص عليها قد أخذها ــ ولا يصلّى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين. ومن هذا الذي قدمته يتبين أن الخوارج يكفرون بالذنب. ويقتلون المسلم بالذنب العقائدي اذا لم يكن مسالماً، ولا يقتلون المسلم بالذنب في حالة التعدي على الشريعة بالسرقة أو الزنا أو القذف ويكتفون باقامة الحدود. وبعد موته يعامل معاملة الكافر.

١ ــ فلننظر الآن في معتقدات أهل السنة في أهم مبدأ لهم، وهو التكفير بالذنب.

في تفسير ابن كثير في قوله تعالى : ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً** ﴾[2] يقول ابن كثير :

ان قوله تعالى : ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم** ﴾ هي آخر ما نزل في بابها. ولم ينسخها ناسخ. وذكر عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم** ﴾ فقال ما نسخها شيء وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشارة حدثنا ابن عون حدثنا شعبة عن سعيد بن جبير قال : قال عبد الرحمن بن أبزي : سئل ابن عباس عن قوله : ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً** ﴾ الآية قال : لم ينسخها شيء وقال في هذه الآية ﴿ **والذين لا يدعون مع الله الها آخر** ﴾[3] الى آخرها. قال : نزلت في أهل الشرك. وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٣.

(٢) سورة النساء الآية ٩٣.

(٣) سورة الفرقان الآية ٦٨.

منصور حدثني سعيد بن جبير أو حدثني الحكم عن سعيد بن جبير قال : سألت ابن عباس عن قوله : ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم** ﴾ قال : ان الرجل اذا عرف الاسلام وشرائع الاسلام ثم قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ولا توبة له فذكرت ذلك لمجاهد، فقال الا من ندم.

حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا : حدثنا جرير عن يحيى الجابري عن سالم بن أبي الجعد قال : كنا عند ابن عباس بعد ما كف بصره فأتاه رجل فناداه : يا عبد الله بن عباس ما ترى في رجل قتل مؤمناً متعمداً ؟ فقال جزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً. قال : أفرأيت ان تاب وعمل صالحاً ثم اهتدى ؟ قال ابن عباس : ثكلته أمه وأنى له التوبة والهدى ؟ والذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم يقول :. « ثكلته أمه قاتل مؤمن متعمداً جاء يوم أخذه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه من قبل عرش الرحمن، يلزم قاتله بشماله وبيده الأخرى رأسه، يقول يا رب سل هذا فيم قتلني » ؟ وأيم الذي نفس عبد الله بيده لقد أنزلت هذه الآية فما نسختها من آية، حتى قبض نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم وما نزل بعدها من برهان ..

وممن ذهب الى أنه لا توبة له من السلف : زيد بن ثابت وأبو هريرة وعبدالله بن عمر، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد بن عمير، والحسن، وقتادة والضحاك بن مزاحم ...

والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها : ان القاتل له توبة فيما بينه وبين الله عز وجل، فإن تاب وأناب، وخشع وخضع، وعمل عملاً صالحاً بدل الله سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته. قال الله تعالى : ﴿ **والذين لا يدعون مع الله الها آخر** ﴾ ـــ الى قوله ﴿ **الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً** ﴾[1] الآية. وهذا خبر لا يجوز نسخه وحمله على المشركين، وحمل هذه الاية على المؤمنين

(١) سورة الفرقان الآية ٧٠.

خلاف الظاهر، ويحتاج حمله الى دليل والله أعلم. وقال تعالى : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾[1] الآية، وهذا عام في جميع الذنوب من كفر وشرك، وشك ونفاق وقتل وفسق وغير ذلك كل من تاب أي من ذلك تاب الله عليه، قال الله تعالى : ﴿ **ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[2] فهذه الآية عامة في جميع الذنوب ما عدا الشرك وهي مذكورة في هذه السورة الكريمة بعد هذه الآية وقبلها لتقوية الرجاء. [انتهى بنصه من تفسير ابن كثير السلفي المحدث].

ومنه يتبين أن بعض السلف على رأي الخوارج في التكفير بالذنب، فلماذا يجعلهم هذا المؤلف مارقين عن الدين ؟

٢ ــ ولننظر في دلائل السلف على أصول الدين وفروعه. وانهم يعتمدون على الأحاديث مصدراً من مصادر التشريع، ويعيبون على الخوارج أنهم يكتفون بالقرآن وحده. وفي كتب أهل الحديث ما يوافق قولهم.

(أ) ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال : « ان الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم : سمعت رجلاً أعرف وجهه، ولا أدري ما اسمه. يحدث » وهذه الرواية من مسلم تدل على أن الشياطين قد كذبت على المحدثين، لتحير الناس في عبادة الله تعالى. وهي لم تقدر على الكذب على الله تعالى وذلك لقوله تعالى : ﴿ **وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * انهم عن السمع لمعزولون** ﴾[3].

(ب) روى الترمذي عن الحارث الأعور، قال : مررت في المسجد،

(١) سورة الزمر الآية ٥٣.

(٢) سورة النساء الآية ٤٨.

(٣) سورة الشعراء الآيات ٢١٠ ــ ٢١٢.

فاذا الناس يخوضون في الأحاديث. فدخلت على « علي » — رضي الله عنه — فأخبرته. فقال : أَوَقَدْ فعلوها ؟ قلت : نعم. قال : أما اني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أما انها ستكون فتنة » قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله. فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله. وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعته، حتى قالوا : ﴿ **إنّا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي الى الرشد فآمنا به** ﴾[1] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم » أ.هـ

أهل التصوف

والمؤلف يحارب التصوف ويقول : انه ليس من الدين. وهو على حق في حربه وفي قوله. ولكن رؤساءه وافقوا المتصوفة على اثباتهم بقاء الأرواح من بعد الموت، ووافقوهم على التوسل، والتبرك بآثار للصالحين، وقالوا بقولهم في جلوس النبي ﷺ بجوار الله على العرش، وأنه كان مخلوقاً قبل خلق العالم. ومن يثبت هذا كله كيف يقدر على محاربة التصوف[2] ؟ فابن القيم الجوزية في كتابه « الروح » اثبت تزاور الموتى في القبور، وأن للأرواح اتصالات بالأحياء، وأنها تنفع وتضر.

وابن تيمية يقول : ان التوسل بالنبي حسن وجائز[3] لحديث الأعرابي

(١) سورة الجن الآيتان ١ و ٢.

(٢) اعلم : أن القول بفناء الأرواح من بعد الموت الى يوم البعث، هو الذي يلغي التصوف ويقضي عليه قضاء مبرما.

(٣) الفتاوى ج ١ ص ١٠٥ وج ٣ ص ٢٧٦٧.

الذي قال : أصبت في بصري فادع الله لي. وأحمد بن حنبل ــ في احدى الروايتين عنه ــ قد جوز القسم به، فلذلك جوز التوسل به[1]. وسئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن التوسل بالصالحين وبالنبي. فقال : انها مسألة من مسائل الفقه « ولا ننكر على من فعله ولا انكار في مسائل الاجتهاد »[2].

وقد أثبت ابن تيمية ان النبي حي في قبره، ويرد السلام على من يسلم عليه، على عكس ابن قيم الجوزية الذي يثبت جلوسه مع الله على العرش، لحديث صح في ذلك عنده، فقد صحح ابن تيمية حديث سعيد بن المسيب وهو أنه ما كان يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبر النبي ﷺ[3].

وقال ابن تيمية كما قال ابن القيم : « ان ما يذكر من الكرامات وخوارق العادات التي توجد عند قبور الأنبياء والصالحين، مثل نزول الأنوار والملائكة عندها وتوقي الشياطين والبهائم لها واندفاع النار عنها وعمن جاورها وشفاعة بعضهم في جيرانهم من الموتى، واستحباب الاندفان عند بعضهم وحصول الأنس والسكينة عندها ونزول العذاب بمن استهان بها. فجنس هذا حق »[4].

ثم ناقض نفسه في كتاب النبوات. وقال : ان ظهور الولي الميت للمريد من القبر، ليس هو الولي، وانما هو شيطان تمثل بصورته وأوهمه أنه هو الولي ليصرف الناس عن عبادة الله الى عبادة الأشخاص.

وغرضي مما قلته عن الخوارج والمتصوفة : هو أن أثبت أن لهما

---

(١) الفتاوى ج ١ ص ١٤٠.

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجموعة المؤلفات القسم الثالث ص ٦٨ نشرة جامعة الامام محمد بن سعود.

(٣) سنن الدرامي ج ١ ص ٤٤.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٧٤.

شبهة، وأن التماس الأعذار للناس من أسباب اتحادهم وتعاونهم. والله يقول : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾[1].

* * *

رفض حكم القرآن في اختلاف الأحاديث عند مؤلف « كشف موقف الغزالي »

مؤلف كتاب الكشف ينقل عن الشيخ محمد الغزالي ــ رضي الله عنه ــ قوله :

« نجد صنفاً آخر يدعي التفويض والسلفية، ويتبع الأخبار التافهة ذات الأسانيد المظلمة ويستقي منها العقائد، ويجري وراء نص هنا ونص هناك، فيطوي المسافة بينهما، ليخرج آخر الأمر بضرب من التجسيم، لا يعرفه المسلمون من سلف أو خلف. ولا يغرنك العناوين والأسماء، فإن بعضهم زعم : أن ابن خزيمة وابن الامام أحمد ممن حطبوا في هذا الحبل، وكونوا بما صنفوا فرقة من الرعاع أحدثت بعض الشغب في بغداد، ثم انتهى امرها »[2] أ.هـ.

ويرد عليه السلفي الناقد بقوله : « فقد ظهر للقارئ : ما هو الشذوذ، وما هي العلة، وما هو الحديث المعل، وما هي الأسباب والطرق التي يعرف ويكتشف بها العلل، وليس من بينها مخالفة الأحاديث الصحيحة للقرآن، لأن أئمة الحديث لا يحكمون للحديث بالصحة، الا بعد أن يجتاز هذه المراحل التي تنقطع دونها أعناق غيرهم من العلماء، ثم لا

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

(٢) ص ١١٨ مشكلات في طريق الحياة الاسلامية.

يقطعونها. فكيف بـ « الغزالي » وأمثاله، من الغرباء على الحديث وعلومه »[1] أ.هـ.

ويقول السلفي الناقد : « وحاشا الصحابة والتابعين أن يضعوا منهجاً لرد الأحاديث الصحيحة. وعائشة لم تضع منهجاً لرد الأحاديث الصحيحة. بل هو تصرف فردي، اتضح خطؤه، ولهذا لم يتابعها الفقهاء ولا المحدثون ... الخ »[2].

المناقشة

ظهر من كلام السلفي : أن مخالفة الأحاديث الصحيحة ــ في نظره ــ للقرآن، لا تدخل تحت الشذوذ والعلة. وظهر من كلامه : أن الصحابة والتابعين لم يضعوا منهجاً لرد الأحاديث الصحيحة ــ الى القرآن ــ وظهر من كلامه : أن عائشة لم تضع منهجاً لرد الأحاديث الصحيحة ــ الى القرآن ــ وانها تصرفت في الأحاديث من تلقاء نفسها، واتضح خطؤها. وأن الفقهاء والمحدثين لم يتابعوها.

فيا أيها المسلمون. هل يصح هذا من السلفي في دين الله ؟ واذا كان الصحابة ــ ومنهم عائشة ــ والتابعون لم يضعوا منهجاً لرد الأحاديث الى القرآن فهذا يعني أن الأحاديث دخيلة على دين الاسلام من بعد عصر التابعين. والسلفي والشيخ الغزالي لا يقران بأن الأحاديث دخيلة. وعليه فان السلفي إما مغرض، وإما مخادع.

واذا لم يكن القرآن هو « الميزان » فعلى الاسلام السلام. هذا هو الامام الشعراني في باب زكاة الفطر، يقول انها ليست فرضاً كفرض زكاة المال وغيره، ثم يذكر رأي الأحناف فيها، ويثني عليه في أنهم لم يسووا

(١) ص ١٠٧ كشف موقف الغزالي.
(٢) ص ٨٧ كشف موقف الغزالي.

بين الثابت بالقرآن .وهو الزكاة العامة والثابت بالسنة وهو صدقة الفطر.
فيقول : « ونعم ذلك الاصطلاح من الامام أبي حنيفة. فان نفس رسول الله ﷺ يمدحه على ذلك من جهة رفع رتبة الحق ـــ تعالى ـــ على عبده »[1].

ولماذا يتطاول السلفي الناقد على عائشة أم المؤمنين ؟ أما كفاه تطاوله على من تطاول عليهم من خيار الناس ؟

يقول الأستاذ الامام محمد الغزالي ما نصه :

« وقد وضع علماء السنة خمسة شروط، لقبول الأحاديث النبوية. ثلاثة منها في السند، واثنان في المتن.

١ ـــ فلا بد في السند من راو واع، يضبط ما يسمع، ويحكيه بعدئذ، طبق الأصل[2].

٢ ـــ ومع هذا الوعي الذكي، لا بد من خلق متين، وضمير يتقي الله ويرفض أي تحريف.

٣ ـــ وهاتان الصفتان يجب أن يطردا في سلسلة الرواة، فاذا اختلفتا في راو أو اضطربت احداهما، فان الحديث يسقط عن درجة الصحة.

وننظر بعد السند المقبول الى المتن الذي جاء به. أي الى نص الحديث نفسه.

٤ ـــ فيجب أن لا يكون شاذاً.

٥ ـــ وأن لا تكون به علة قادحة.

---

(١) الميزان ج ٢ ص ١٢.
(٢) هذا مستحيل بالتجربة والمشاهدة. فان أحدنا اذا سمع كلاما لا يقدر أن يعيده بلفظه، وانما يقدر أن يعيده بمعناه.

والشذوذ : أن يخالف الراوي الثقة من هو أوثق منه. والعلة القادحة : عيب يبصره المحققون في الحديث، فيردونه به »[1] أ.هـ.

هذا كلام الأستاذ الامام بنصه. وأما كلام السلفي الناقد فهذا هو :

١ ــ « ان الغزالي لا يفهم من الشذوذ والعلة ما يفهم علماء الحديث والفقهاء وعلماء الأصول، ويغلب على الظن من تصرفاته : أنه لا يعرف ذلك ولا يتصوره ولا يستطيع تطبيقه على منهج علماء الحديث والفقهاء »[2].

التعليق

هذه وقاحة في غير موضعها.

٢ ــ « إن الفقهاء والأصوليين لا يشترطون لصحة الحديث نفي الشذوذ والعلة »[3].

التعليق

يريد أن يقول : ان سلاسل الرواة ــ وهي عن فلان عن فلان عن فلان مثلاً ــ هي الحكم على صحة الحديث أما نص الحديث نفسه فهو يقبل اذا كانت السلسلة صحيحة بغض النظر عن كون النص موافقاً للقرآن أو مخالفاً.

أيها السلفي الناقد من قال بهذا ؟ اذا ان النص سقيم المعنى والرواة موثقون من رواة مثلهم، يكون الحديث صحيحاً في نظرك ؟. أو اذا كان نص الحديث معارضاً بنص حديث آخر، وهما معاً من راو واحد، يكون

(١) ص ١٨ ــ ١٩ السنة النبوية.
(٢) ص ١٠٦ كشف موقف الغزالي.
(٣) ص ١٠٦ كشف موقف الغزالي.

الحديثان صحيحين في نظرك ؟ من قال بهذا ؟ أنت مخطئ.

١ ــ فقد روى الامام أحمد بسنده عن عائشة أن النبي نفى عذاب القبر، وروى البخاري بسنده عن عائشة أن النبي أثبت عذاب القبر. فالسند أيها السلفي الى واحدة ــ وهي الأصل ــ والمعنى مختلف. فكيف نرجح أحد المعنيين بدون الرجوع الى القرآن ؟

(أ) قال الامام أحمد : حدثنا هاشم ــ هو ابن القسم أو النضر ــ حدثنا اسحق بن سعيد ــ هو عمرو بن سعيد بن العاص ــ حدثنا سعيد يعني أباه ــ عن عائشة رضي الله عنها : أن يهودية كانت تخدمها. فلا تصنع عائشة رضي الله عنها اليها شيئاً من المعروف الا قالت لها اليهودية : وقاك الله عذاب القبر. قالت عائشة رضي الله عنها : فدخل رسول الله ﷺ علي. فقلت : يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟ قال ﷺ : « لا. من زعم ذلك ؟ » قالت : هذه اليهودية. لا أصنع اليها شيئاً من المعروف الا قالت : وقاك الله عذاب القبر. قال ﷺ : « كذبت يهود. وهم على الله أكذب. لا عذاب دون يوم القيامة ».

(ب) وفي صحيح البخاري من حديث شعبة عن أشعث عن ابن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها. فقالت : نعوذ بالله من عذاب القبر. فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال ﷺ : « نعم عذاب القبر حق ».

أيها السلفي الناقد. هذان حديثان سندهما عائشة رضي الله عنها، وهما متعارضان في المعنى. فبأيهما نأخذ ؟ وما دليلك على أن أحدهما أولى بالأخذ من الآخر ؟ هل غير القرآن حكما ؟

٢ ــ ان عائشة وابن عمر رضي الله عنهما ــ وهما من الصحابة المحدثين في نظر أهل الحديث ــ اعتمدا القرآن في الترجيح. فانه لما

قال ابن عمر : « ان الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » وقال ابن عباس لما سمعه : « قد كان عمر يقول بعض ذلك » قالت عائشة رضي الله عنها : « رحم الله عمر. والله ما حدث رسول الله ﷺ : ان الله يعذب المؤمن ببكاء أحد، ولكن قال : « ان الله يزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه » وقالت : « حسبكم القرآن : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾[1] قال ابن أبي مليكة : « فوالله ما قال ابن عمر شيئاً »[2].

فقول عائشة « حسبكم القرآن » وسكوت ابن عمر على قولها « حسبكم القرآن » يدل على أن أهل الحديث قد اعتمدوا القرآن في الترجيح.

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن أبي مليكة قال : سئلت عائشة عن متعة النساء فقالت : بيني وبينكم كتاب الله. وقرأت هذه الآية : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون * الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم. فانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك** ﴾[3].

انظر الى قولها في محل النزاع : « بيني وبينكم كتاب الله ».

وأخرج مسلم عن مسروق قال : قلت لعائشة : يا أماه. هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت. من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب. ثم قرأت : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين »[4] فقد استدلت بالقرآن.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٤؛ فاطر ١٨؛ الإسراء ١٥؛ الزمر ٧.

(٢) رواه البخاري ٣ /١٢٧ ومسلم ٩٢٨ والنسائي ٤ /١٨ ــ ١٩ انظر جامع الأصول ج ١١ ص ٩١ ــ ٩٣.

(٣) المستدرك ٢ /٣٩٣ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والآيات من سورة المؤمنون ٥ ــ ٧.

(٤) رواه مسلم ١٧٧ والترمذي ٣٠٧٠ انظر جامع الأصول ج ١٠ ص ٥٦١ ــ ٥٦٣. والآية من سورة الأنعام رقم ١٠٣.

وأخرج الطيالسي في مسنده عن مكحول قال : قيل لعائشة : ان أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « الشؤم في ثلاثة : في الدار والمرأة والفرس » فقالت : لم يحفظ أبو هريرة.

انه دخل ورسول الله ﷺ يقول : « قاتل الله اليهود. يقولون : الشؤم في ثلاثة : في الدار والمرأة والفرس » فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله[1].

وأخرج أحمد عن أبي حسان : أن رجلين دخلا على عائشة فقالا : ان أبا هريرة يحدث : أن نبي الله ﷺ كان يقول : « انما الطيرة في المرأة والدابة والدار » فقالت : والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول. ولكن كان نبي الله ﷺ يقول : « كان أهل الجاهلية يقولون : الطيرة في المرأة والدار والدابة » ثم قرأت عائشة : ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها** ﴾[2] الآية.

التعليق :

(أ) حديث الشؤم ... الخ. فيه « مكحول » وهو لم يسمع من عائشة.

(ب) وفي حديث أبي هريرة يقول ابن حجر الحافظ في فتح الباري ج ٦ ص ٤٦ : روى أحمد وابن خزيمة والحاكم ... وذكر الحديث. ثم قال : ولا معنى لانكار ذلك على أبي هريرة مع موافقة من ذكرنا من الصحابة له في ذلك. وأنكر ابن الجوزي في المشكل على عائشة هذا الرد. وقال : الخبر رواه جماعة ثقات فلا يعتمد على ردها. انظر : مسند أحمد. في روايتين قريبتين من الحديث ٦ /١٥٠ ــ ٢٤٠.

---

(١) مسند ابي داود الطيالسي ١٥٣٧ وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ج ٦ ص ٤٦ : ومكحول لم يسمع من عائشة فهو منقطع.

(٢) سورة الحديد الآية ٢٢.

وبعد ذلك للناقد المؤلف نقول : هذا هو حال السند الذي ثبت به صحة الحديث أو ضعفه.

* * *

ثم يمهد المؤلف الناقد لتعريف الحديث الشاذ في المتن، والمعلل في المتن بقوله : « ان الفقهاء والأصوليين لا يشترطون لصحة الحديث نفي الشذوذ والعلة »[1] والرد عليه :

مَنْ مِنَ الفقهاء والأصوليين لم يشترط لصحة الحديث نفي الشذوذ والعلة ؟ وأنت تقول : « كلام الغزالي واضح في التفريق بين منهج الفقهاء الأربعة وبين منهج المحدثين. والذي يعرفه الفقهاء والمحدثون : أن أصول المحدثين هي عينها أصول الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد »[2] هذا هو نص كلامك.

واذا كان الفقهاء لا يشترطون، والمحدثون هم الفقهاء، فانهم يكونون ـــ على رأيك ـــ قد رووا الباطل، واستنبطوا منه أحكام الفقه. فالشافعي محدث وله مسند، وله مذهب فقهي عليه. ومثله أحمد ومالك فأنت أيها الناقد تهد أحكام الفقه بقولك : ان أدلته غير موثقة من جهة النص. لأن الفقيه لا يستنبط الحكم من النص الا اذا كان موثقاً. واذا وثقه غيره. وهو نفسه من أهل الحديث. فانه يكون عارفاً بقوته أو ضعفه. فهم يشترطون لصحة الحديث نفي الشذوذ والعلة. وان كانوا لا يصرحون غالباً ـــ كما تدعي ـــ فهو لما اشتهر عنهم من العلم بسند الحديث ومتنه.

وبعد التمهيد يقول : « فللشاذ تعريفات أحسنها تعريف الامام الشافعي رحمه الله قال : « ليس الشاذ من الحديث : أن يروي الثقة ما لا يروي غيره. انما الشاذ : أن يروي الثقة حديثاً يخالف ما روى الناس ».

---

(١) ص ١٠٦ كشف موقف الغزالي.

(٢) ص ٨٧ كشف موقف الغزالي.

هذا هو قول الشافعي رضي الله عنه وهو أحسن التعريفات في نظر المؤلف. أي أن للشاذ تعريفات أخرى غير تعريف الشافعي له. وقد انتقى منها هو هذا التعريف. وأنا أيضاً سأرتضيه. وقد فهمت منه غير ما فهم. وهو أن الثقة لا يروي ما يخالف ما روى الناس. وهل يروي الناس ما يخالف القرآن في المعنى ؟ وقد صرح الشافعي نفسه بأن الناس لا يرون ما يخالف القرآن في المعنى.

ثم يقول : « فالحديث المعل، هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدح في صحته، مع أن ظاهره السلامة منها، ويتطرق ذلك الى الاسناد الذي رجاله ثقات. الجامع شروط الصحة من حيث الظاهر، ويستعان على ادراكها بتفرد الراوي، وبمخالفة غيره له، مع قرائن تنضم الى ذلك تنبه العارف بهذا الشأن، على ارسال في الموصول، أو وقف في المرفوع، أو دخول حديث في حديث، أو وهم واهم » هذا هو قول الناقد.

ونقول : مخالفة غيره له. كيف تفسرها ؟ والقرائن كيف تعرفها ؟ بالمعنى الظاهر من النص أو بكلام الرواة أو بالسند المتصل ؟ أجب. وعلى أي اجابة تكون. فالقرآن غير مستبعد من الحكم. وأي كلام تقوله بغير القرآن مشكوك فيه. بدليل[1] :

١ ــ أن الملاحدة وضعوا الأباطيل ونسبوها الى الرسول عليه الصلاة والسلام تنفيراً للعقلاء منه، كما يروى ذلك عن عبد الكريم بن أبي العوجاء.

٢ ــ ما قيل : ان الامامية يسندون الى الرسول ﷺ كل ما صح عندهم عن بعض أئمتهم. قالوا : لأن جعفر بن محمد قال : حدثني أبي وحدثني جدي، وحدثني أبي وجدي : حديث رسول الله ﷺ. فلا حرج عليكم اذا سمعتم مني حديثاً، أن تقولوا : قال رسول الله ﷺ.

---

(١) المحصول في اصول الفقه لشيخ الاسلام فخر الدين الرازي.

٣ ـــ روي أن من الرواة من جوز الكذب المؤدي الى صلاح الأمة. فان من مذهب الكرامية : أنه اذا صح المذهب، جاز وضع الأخبار فيه.

٤ ـــ وضع بعض الرواة في ابتداء دولة بني العباس أخباراً في النص على إمامة « العباس » وولده.

٥ ـــ ومما قاله الخوارج في رد الأحاديث كلها :

ان الله تعالى ذكر أنواع المعاصي من الكفر والقتل والسرقة. فلما ذكر الزنا، استقصى الكلام فيه، فإنه تعالى نهى عنه فقال : ﴿ **ولا تقربوا الزنا** ﴾[١] ثم أوعد عليه بالنار، ثم ذكر الجلد وخصه باحضار المؤمنين وبالنهي عن رحمتهم بالزناة بقوله : ﴿ **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله** ﴾[٢] ثم جعل على من رمى مسلماً بالزنا ثمانين جلدة وقال : ﴿ **ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون** ﴾[٣] ثم خص الزنا بشهود أربعة، ثم ذكر آيات هي صريحة في نفي الرجم منها ﴿ **الزانية والزاني فاجلدوا** ﴾[٤] وهذا صريح في وجوب الجلد على كل الزناة، وصريح في نفي الرجم. ومنها : ﴿ **فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب** ﴾[٥] والرجم لا نصف له.

ومع ذلك روى المحدثون : أن الرجم حق، مع أنه يخالف القرآن في ايجابه الجلد لعموم الزناة. ومع قول الرسول ﷺ الذي رووه. وهو أنه خرج يوماً على أصحابه وهم يكتبون أحاديث من أحاديثه فقال : « ما هذه الكتب ؟ أكتابا مع كتاب الله تعالى ؟ يوشك أن يقبض الله ـــ تعالى ـــ بكتابه. فلا يدع في قلب ولا رق منه شيئاً، الا أذهبه ».

---

(١) سورة الإسراء الآية ٣٢.
(٢) سورة النور الآية ٢.
(٣) سورة النور الآية ٤.
(٤) سورة النور الآية ٢.
(٥) سورة النساء الآية ٢٥.

تلك دلائل ذكرناها من كتاب المحصول. وذلك لرد قول الناقد، وهو أن الحديث المعلل لا يعرض على القرآن لمعرفة علته.

مع ما ذكرناه وهو :

(أ) أن القصاص ابتدعوا « أسانيد صحيحة »[1].

(ب) وأن عبد العزيز بن أبي رواد، روى عن نافع عن ابن عمر : نسخة موضوعة[2].

فالسلسلة الذهبية للحديث وهي أعلى سلسلة في السند قد عمل الضعفاء والمتروكون مثلها، والأسانيد الصحيحة، قد عملوا مثلها. ثم يأتي هذا الذي ينقد ويقول : لا. ليس حسبكم كتاب الله.

* * *

ويقول هذا الذي هو ينقد الشيخ محمد الغزالي : « اعلم : أن هذا المسلك الذي يسلكه « الغزالي » في التعامل مع الأحاديث الصحيحة وتعليله لها بأنها تخالف القرآن، لا يسلكه العلماء الا في التعامل مع الأحاديث الموضوعة المكذوبة على رسول الله ﷺ فاذا راجعت كتب مصطلح الحديث، تجد في نوع الموضوع طرقاً عديدة لكشفه وفضحه :

١ ـ منها ما يصرح بتكذيب راويه جمع كثير، يمتنع في العادة تواطؤهم على الكذب أو تقليد بعضهم بعضاً.

٢ ـ ومنها : أن يكون مناقضاً لكتاب الله أو السنة. المتواترة أو الاجماع العقلي »[3].

---

(١) مقدمة تفسير القرطبي.

(٢) ص ٨٨ دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه للدكتور محمد مصطفى الاعظمي.

(٣) النكت لابن حجر على مقدمة ابن الصلاح ٢ /٨٤٦.

ونقول له :

أيها الناقد. الحديث الموضوع. كيف تعرف أنه موضوع ؟ بالسند أم بالمتن أم بكليهما معاً ؟ ولا بد في المعرفة من القرآن ــ كما بينا ــ وما كنت تدري.

ومؤلف كتاب الكشف في قوله : « ان الفقهاء والأصوليين لا يشترطون لصحة الحديث : نفي الشذوذ والعامة » إما جاهل بعلوم السنة، وإما مشاغب. وذلك لأن غير المغرضين من علماء الحديث يهدفون من التحري في الاسناد الى توثيق نص المتن. ليطمئن قلب المفتي الى استنباط الحكم منه. واذا اطمأن قلب المفتي الى صحة النص، فليس عليه بعد الاطمئنان أن يصرح باطمئنان قلبه أو لا يصرح. لأن استنباطه من النص هو دليل على اعترافه بصحته، وان لم يظهر الاعتراف بلسانه.

والفقهاء والأصوليون اشترطوا وصرحوا. ففي أصول الفقه لشيخ الاسلام فخر الدين الرازي في باب الأخبار ما نصه :

« خبر الواحد اذا تكاملت شروط صحته، هل يجب عرضه على الكتاب أم لا ؟ قال الشافعي رضي الله عنه : لا يجب، لانه لا تتكامل شروطه الا وهو غير مخالف للكتاب. وعند عيسى بن أبان : يجب عرضه عليه. لقوله ﷺ : « اذا روي لكم عني حديث فأعرضوه على كتاب الله تعالى فان وافقه فاقبلوه، والا فردوه »[1].

* * *

وقد عاب الناقد على الشيخ محمد الغزالي قوله : « وننظر بعد السند المقبول الى المتن الذي جاء به. أي الى نص الحديث نفسه، فيجب أن لا يكون شاذاً، وأن لا تكون به علة قادحة » وهأنذا أبين أن الشذوذ يكون

(١) المحصول في أصول الفقه ــ باب الأخبار.

في المتن كما قال الشيخ محمد الغزالي لا في السند وحده كما يقول الناقد، وأن المعلول يكون في المتن كما قال، لا في السند وحده كما يقول الناقد.

جاء في كتاب أصول الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب :

مواطن العلة ثلاثة :

الأول : السند. وهذا هو الكثير. والعلة القادحة فيه قد يقتصر أثرها عليه.

ومثال هذا : حديث يعلى بن عبيد الطنافسي، عن سفيان الثوري، عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر، عن الرسول ﷺ : « البيعان بالخيار » فقد غلط يعلى على سفيان في قوله عمرو بن دينار. لأن الأئمة الحفاظ من أصحاب سفيان رووه عن عبدالله بن دينار، لا عن عمرو بن دينار[١].

وقد تؤثر في المتن ايضاً. ومثال العلة الواقعة في السند والقادحة فيه وفي المتن جميعاً : حديث موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من جلس مجلساً كثر فيه لغطه. فقال قبل أن يقوم : « سبحانك اللهم وبحمدك. لا اله الا أنت، أستغفرك وأتوب اليك، الا غفر له، ما كان في مجلسه » روى الحاكم النيسابوري : أن الامام مسلما جاء الى البخاري وسأله عنه. فقال : هذا حديث مليح، ولا أعلم في الدنيا في هذا الباب غير هذا الحديث، الا أنه معلول. حدثنا به موسى بن اسماعيل. قال : حدثنا وهيب. قال : حدثنا سهل عن عون بن عبد الله قوله ــ أي أن الحديث المذكور من قول عون ابن عبد الله، لا من قول الرسول ﷺ ــ وهذا أولى، فإنه لا يذكر لموسى ابن عقبة سماع من سهيل[٢].

---

(١) تدريب الراوي ص ١٦٣.

(٢) معرفة علوم الحديث ص ١١٣ ــ ١١٤.

ومما يقدح في السند والمتن : اعلال السند بالوقف أو الارسال أو الانقطاع. وهذا كثير في علل الحديث.

الثاني : المتن. ومثال ذلك : ما رواه ابراهيم بن طهمان، عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة، وسهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اذا استيقظ أحدكم من منامه، فليغسل كفيه ثلاث مرات قبل أن يجعلهما في الاناء، فإنه لا يدري أين باتت يده، ثم ليغترف بيمينه » الى آخر الحديث من كلام ابراهيم بن طهمان، فإنه كان يصل كلامه بالحديث فلا يميزه المستمع(١).

الثالث : المتن والاسناد معاً. فيكون أثرهما شاملاً لهما. ومثاله : ما رواه بقية عن يونس عن الزهري عن سالم عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « من أدرك ركعة من صلاة الجمعة وغيرها، فقد أدرك ».

قال أبو حاتم الرازي : هذا خطأ المتن والاسناد. انما هو الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « من أدرك من صلاة ركعة، فقد أدركها » وأما قوله « من صلاة الجمعة » فليس هذا في الحديث، فوهم في كليهما(٢) [تم الكلام في المعلل].

وأما الشاذ. فانه يدخل تحت الضعيف الذي ضعفه لسبب غير عدم اتصال سنده. ويقع الشذوذ في السند، كما يقع في المتن ايضاً.

(أ) مثال الشذوذ في السند

ما رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة من طريق ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عوسجة عن ابن عباس أن رجلاً توفي على عهد رسول الله ﷺ ولم يدع وارثاً، الا مولى هو أعتقه. وتابع ابن عيينة على وصله ابن جريج

(١) علل الحديث لابن ابي حاتم ص ٦٥ ج ١.
(٢) علل الحديث ص ١٧٢ ج ١.

وغيره، وخالفهم حماد بن زيد، فرواه عن عمرو بن دينار عن عوسجة، ولم يذكر ابن عباس.

ولذا قال أبو حاتم « المحفوظ حديث ابن عيينة » فحماد بن زيد من أهل العدالة والضبط، ومع ذلك فقد رجح أبو حاتم رواية من هم أكثر عدداً منه.

(ب) مثال الشذوذ في المتن

ما رواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الواحد بن زياد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً : « اذا صلى أحدكم الفجر فليضطجع عن يمينه » قال البيهقي : خالف عبد الواحد العدد الكثير في هذا، فإن الناس انما رووه من فعل النبي ﷺ. لا من قوله. وانفرد عبد الواحد من بين ثقات أصحاب الأعمش بهذا اللفظ.

ويكرر صاحب الكشف قوله بأن الفقهاء والأصوليين لا يشترطون نفي الشذوذ والعلة في صحة الحديث فيقول : « ان « الغزالي » لا يعرف ان الفقهاء والأصوليين لا يشترطون نفي الشذوذ والعلة، وان هذا من ميزات المحدثين. ولذا نجد كتب الفقه قد اكتظت بالأحاديث الواضحة الضعف، وبالأحاديث الشاذة والمعللة، بل والموضوعات أحياناً »[1] أ. هـ

هذا مذهب السلفيين، مذهب فيه كتب الفقه مبنية على الأحاديث الواضحة الضعف وعلى الأحاديث الشاذة والمعللة والموضوعة.

حجية أخبار الآحاد

وهذا الناقد قد أخطأ أيضاً في رميه شيخ الاسلام بالجهل في حجية أخبار الآحاد. يقول عن شيخ الاسلام : « ضيق صدره بأخبار رسول الله

---

(١) ص ٨٠ كشف موقف الغزالي.

ﷺ اذا جاءت عن طريق الآحاد، ولو كانت في الصحيحين، فانه يضيق بها ذرعاً ولا يقيم لها وزناً اذا خالفت رأيه. أي وزن، ولو تلقته الأمة بالقبول. وهو بهذا المسلك الخطير يجاري أهل البدع والضلال ويخالف جماهير العلماء من السلف والخلف، حيث ذهبوا الى أن خبر الآحاد اذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له وعملاً بموجبه، أفاد العلم. وعلى هذا المذهب الصحيح أهل الحديث قاطبة »[1].

ثم يقول المؤلف الحاسد : « انظر اليه. كيف ينسب الى العلماء ما لم يقولوه. فمن هم العلماء الذين اتفقوا على العمل بخبر الآحاد في فروع الشريعة فقط ؟ » أ.هـ.

الرد عليه : ليس من اجماع على العمل بخبر الواحد، ولا على العمل بالخبر المتواتر.

والمتواتر[2] : هو خبر أقوام بلغوا في الكثرة الى حيث حصل العلم بقولهم. ومن العلماء من قال : انه قد يفيد العلم، ومنهم من قال : يفيد العلم الظني. واختلفوا في العلم الحاصل عقيب خبر التواتر هل هو ضروري أو نظري ؟ ثم قالوا باستحالة أن يكون خبر التواتر مستلزماً للعلم. واختلفوا في شرائط التواتر. واختلفوا في أن القرائن هل تدل على صدق الخبر أم لا ؟ فذهب النظام وامام الحرمين والغزالي اليه، والباقون أنكروه.

والآحاد هو الخبر الذي لا يقطع بكونه صدقاً أو كذباً. واختلف الناس في جواز التعبد به عقلاً. وقد أثر عن الصحابة من رد خبر الواحد. وقد اختلفوا[3] في افادته علم اليقين أو عدم افادته. فذهب الامام أحمد وبعض

---

(١) الكشف ص ٣١.

(٢) المحصول في أصول الفقه للرازي.

(٣) اصول الحديث ــ هامش.

أهل الحديث وداود الظاهري وابن حزم الى أنه يفيد العلم ويوجب العمل، لأنه لا عمل من غير علم. وذهب الحنفية والشافعية وجمهور المالكية وغيرهم الى أنه يفيد الظن ويوجب العمل، وأنه لا تلازم بين وجوب العمل وافادة علم اليقين، بل يكفي لوجوب العمل الظن الراجح. وقال الامام الغزالي : « وما حكي عن المحدثين من أن ذلك يوجب العلم، فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل. اذ يسمِّي الظن علماً » والمشهور من الأخبار يدخل في زمرة الآحاد عند غير الحنفية. والآحاد : هو ما رواه الواحد أو الاثنان فأكثر، مما لم تتوفر فيه شروط المشهور أو المتواتر.

وقال الحافظ ابن الصلاح : ومن سئل عن حديث متواتر أعياه تطلبه. ولا نرى مثالاً له الا حديث « من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار ».

وقال الغزالي أبو حامد عن افادة خبر الواحد العلم : ان « الكعبي » قد جوزه. ثم قال الغزالي أبو حامد : « ولا يظن بمعتوه تجويزه ».

* * *

وهل يعمل بخبر الواحد في فروع الدين أم لا ؟

١ ــ فالشريف الرضي ــ رضي الله عنه ــ يقول : « خبر الواحد غير جائز قبوله. لأن كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط فيما يخبر به، ويصح كونه كاذباً في نقله. ولا يجوز أن نقطع في ديننا على الشيء من وجه يجوز الغلط فيه، لأنا لا نأمن بالاقدام على اعتقاده من أن يكون جهلاً ولا نأمن من أن يكون اخبارنا عنه كذباً. وانما نعمل بأخبار الآحاد في فروع الدين ».

٢ ــ ويقول صاحب المغني ــ رضي الله عنه ــ :

« ان جميع ما رووه وذكروه هو أخبار آحاد. ولا يجوز قبول ذلك

فيما طريقه العلم، لأن كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط ... وانما يعمل بأخبار الآحاد في فروع الدين، وما يصح أن يتبع العمل به غالب الظن. فأما ما عداه، فان قبوله فيه لا يصح، ولذلك لا يرجع اليه في معرفة التوحيد والعدل وسائر أصول الدين، وذلك يبطل تعلقهم بهذه الأخبار حتى ولو كانت صحيحة السند، وسليمة من الطعن في الرواة، فكيف وقد طعن أهل العلم في رواتها، وذكروا من حالهم ما يمنع من الرجوع الى خبرهم » ؟.

٣ ــ وقال البزدوي : « وأما دعوى علم اليقين ــ يريد في أحاديث الآحاد ــ فباطلة بلا شبهة، لأن العيان يرده، وهذا لأن خبر الواحد محتمل لا محالة، ولا يقين مع الاحتمال، ومن أنكر هذا فقد سفه نفسه، وأضل عقله ».

٤ ــ وقال الأسنوي : « وأما السنة. فالآحاد منها لا يفيد الا الظن ».

٥ ــ وقال البزدوي تفريعاً على أن خبر الواحد لا يفيد العلم : « خبر الواحد لما لم يفد اليقين، لا يكون حجة في ما يرجع الى الاعتقاد، لأنه مبني على اليقين. وإنما كان حجة في ما قصد فيه العمل ».

٦ ــ وقال الأسنوي : « ان رواية الآحاد ان أفادت، فانما تفيد الظن، والشارع أجاز الظن في المسائل العملية، وهي الفروع دون العلمية، كقواعد أصول الدين ».

٧ ــ وقال الامام نجم الدين الطوفي الحنبلي السلفي في الانتصارات الاسلامية : « اعلم : أن الأدلة الشرعية لها مراتب مختلفة بحسب اختلاف مدلولاتها. فيثبت بعضها فروع الشريعة دون أصولها. كالخبر المستفيض وخبر الواحد، والقياس الظني والاستحسان والاستصحاب وقول الصحابي، ونحوه. ولا تثبت أصول الشريعة الا بقاطع كالبديهيات والنظريات والمتواترات ونحوها. ووزانه من المحسوسات : البناء. فانه

يحتاط لأسه بتخير الآلة الجيدة القوية الثابتة، ما لا يحتاط لحشوه وأعلاه لأن ثبوت أعلاه بأسه.

وفائدة هذه المقدمة[1] : أن يستند اليها في أن كل ما أورده علينا ــ النصراني ــ من الأخبار التي حقها أن لا تثبت بمثلها الأصول. لا ترد علينا ولا تلزمنا، لأن تلك أخبار توجب العلم دون العمل، لكونها مظنونة الثبوت، وان كانت في البخاري ومسلم، لاحتمال وقوع علة قادحة في طريقها، فلا تقوى على اثبات اصل، ولا على أن يقدح بها في أصل. خصوصاً وقد دخلها تصرف الرواة في الرواية بالمعنى. وقد أورث ذلك إشكالاً عظيماً في أحكام الفروع، واختلافاً جماً بين أهل العلم »[2] أ.هـ.

هذا هو كلام الفقهاء والأصوليين في أن خبر الواحد يعمل به في فروع الدين لا في أصوله. وهذا هو أيضاً كلامهم في اشتراط متن الحديث أن يكون خالياً من الشذوذ والعلل « لاحتمال وقوع علة قادحة » فلماذا تتشدق بمن من الفقهاء وأهل الحديث قال ان خبر الواحد يعمل به في الفروع دون الأصول ؟

ان كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ   أو كنت تدري فالمصيبة أعظم

وانها لمصيبة كبرى أن تتصدى للشيخ محمد الغزالي بالنقد، وأنت لا تدري بأصول الدين وفروعه.

وقول المؤلف الناقد وهو « انظر اليه. كيف ينسب الى العلماء ما لم يقولوه. فمن هم العلماء الذين اتفقوا على العمل بخبر الآحاد في فروع الشريعة فقط » ؟ هذا القول يعني به : أن علماء السلف والأشاعرة والماتريدية يستدلون بأخبار الآحاد في أصول الدين ــ التي هي

(١) لاحظ : أن الطوفي يرد على نصراني بهذا الكلام. وقد رتب كتابه على ثلاث مقدمات ... الخ.

(٢) ص ٤٣ الانتصارات الاسلامية ــ نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

العقائد ــ وفي فروع الدين ــ التي هي الفقه ــ ويقول للشيخ محمد الغزالي : من هم من علماء السلف والأشاعرة والماتريدية لا الخوارج والمعتزلة الذين رفضوا أحاديث الآحاد في أصول الدين، وفي فروع الدين ؟ يريد أن يقول : كل العلماء الآخذين بالحديث مع القرآن به في العقائد والفقه. ونصحح له كلامه فنقول :

ان المستدلين بالأحاديث لم يثبتوا بها عقيدة ليس لها في القرآن ذكر، وأثبتوا بها أحكاماً شرعية ليس لها في القرآن ذكر. فقد أثبتوا تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو المرأة وخالتها من الأحاديث لا من القرآن. أما في العقائد، فانهم يقدمون النص القرآني في الاستدلال. ثم يتبعونه بالحديث الموافق له. فيقولون مثلاً : الرؤية حكمها كذا لقوله تعالى كذا، ولقول رسول الله ﷺ كذا. فالحكم العقائدي المنصوص عليه في القرآن هو ثابت ولو لم يذكر الحديث عليه. والحكم الفقهي المنصوص عليه في الأحاديث هو ثابت عندهم ولو لم يذكر القرآن عليه. وهذا يدل على أن السلف والأشاعرة والماتريدية والآخذين بالحديث مع القرآن قد اتفقوا على العمل بخبر الآحاد في فروع الشريعة، ولم يتفقوا على العمل بخبر الآحاد ــ باستقلال ــ في أصول الدين. وذلك لأنهم لا ينشئون بالسنة وحدها رأياً عقائدياً.

انظر الى البخاري ــ رضي الله عنه ــ لما ذكر أحاديث اثبات العذاب في القبر. ماذا فعل ؟ صدر الباب بآيات القرآن، ثم شرع في ذكر الأحاديث. ولا يفعل هذا غالباً في أحاديث الفقه. ففي باب ميمنة المسجد والامام. يقول : حدثنا موسى حدثنا ثابت بن يزيد حدثنا عاصم بن الشعبي عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال : قمت ليلة أصلي عن يسار النبي ﷺ فأخذ بيدي أو بعضدي حتى أقامني عن يمينه. وقال بيده من ورائي. فهذا حكم فقهي لم يصدره بنص قرآني. وقد صدر آراء العقائد به.

فقول المؤلف الناقد : من هم العلماء الذين اتفقوا على العمل بخبر الآحاد في فروع الشريعة فقط ؟ يدل على جهله بأصول الاستدلال عند أهل الحديث.

حديث « نخس الشيطان »

مؤلف « كشف موقف الغزالي من السنة » طعن في الأستاذ الامام : بسبب رده لحديث نخس الشيطان. ومؤلف « حوار هادئ » أطال النفس في الطعن. ولا داعي لذكر كلامهما. فالبيان يغني عنه وهو :

البيان :

أولاً : ان رد الشيخ محمد الغزالي لحديث نخس الشيطان، هو مسبوق فيه بغيره من أهل البصر في الدين. وهذا يقوي ما ذكرنا من قبل : وهو أنه متبع لا مبتدع.

ثانياً : ان صرع الشيطان للانسان هو ثابت بالقرآن والسنة والكتب المقدسة عند أهل الكتاب. وبيان ذلك :

ان الشيطان الذي أبى أن يسجد لآدم عليه السلام ولزوجه وبنيه وبني بنيه. كان هو وذريته من « الجن » أي أن الجن كلهم لما أمرهم الله بالسجود لآدم، سجدوا الا الشيطان ونسله. ولذلك انفصلوا عن الساجدين من بني جنسهم. والذين سجدوا يتناسلون الى اليوم. ومنهم المؤمن والكافر وهم مكلفون بشريعة محمد، كما كانوا مكلفين بشريعة موسى من قبل. وهم لا يؤذون بني آدم لا بالصرع ولا بغيره. والذين لم يسجدوا يتناسلون الى اليوم. وكلهم كفار. وهم الذين يحتكون ببني آدم بالوسوسة والاغواء والصرع، وكل أنواع الأذى.

وقد أقسم الشيطان بقوله لله تعالى عن بني آدم : ﴿ **بعزتك لأغوينهم**

أجمعين * **الا عبادك منهم المخلصين** ﴾ ورد الله عليه بقوله : ﴿ **لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** ﴾[1] وبين الله عن الشيطان طرق اضلاله فقال :

﴿ **لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** ﴾[2].

وبين الله قول الشيطان له وهو : ﴿ **لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا * ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله** ﴾[3] وبين الله تعالى ان للشيطان الذكور اتصالاً ببعض النساء، وأن للرجال اتصالاً ببعض الشيطانيات. وذلك من أجل الزنا. والصرع أيضاً هو للزنا. فقد قال تعالى : ﴿ **ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض** ﴾[4] وامتن الله على المؤمنين في الجنة بنساء حور عين، ووصفهن بأنه ﴿ **لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان** ﴾[5] وفي تفسير القرطبي والرازي ــ رحمهما الله ــ بيان ذلك. وصرح بذلك ابن تيمية في كتابه النبوات[6]. فالاتصال ثابت بين نسل الشياطين، ونسل بني آدم بالصرع وغيره. أما نسل الجن الذي سجد لآدم في البدء، فليس بينه وبين بني آدم اتصال للشر والأذى. والواقع يشهد بدخول الشيطان بدن الانسي. وقد رأيت أنا مصروعا وسمعت صوت الشيطانة التي صرعته.

---

(١) سورة ص الآيات ٨٢ ــ ٨٥.
(٢) سورة الأعراف الآيات ١٦ ــ ١٧.
(٣) سورة النساء الآيتان ١١٨ ــ ١١٩.
(٤) سورة الانعام الآية ١٢٨.
(٥) سورة الرحمن الآية ٥٦.
(٦) وقد بينا ذلك في تقديمنا لكتاب النبوات وما يتعلق بها للامام فخر الدين الرازي / نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.
وفي كتابنا علم السحر بين المسلمين وأهل الكتاب ــ نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة.

وفي الأنجيل أن عيسى عليه السلام قد أخرج شياطين من أجساد الناس. فمرقس يقول : « فكان يكرز في مجامعهم في كل الجليل ويخرج الشياطين » [مرقس ١ : ٣٩] ويقول : « وجاؤوا الى عبر البحر الى كورة الجدريين. ولما خرج من السفينة للوقت استقبله من القبور انسان به روح نجس. كان مسكنه في القبور، ولم يقدر أحد أن يربطه ولا بسلاسل، لأنه قد ربط كثيراً بقيود وسلاسل فقطع السلاسل وكسر القيود. فلم يقدر أحد أن يذلله، وكان دائماً ليلاً ونهاراً في الجبال وفي القبور يصيح ويجرح نفسه بالحجارة. فلما رأى يسوع من بعيد، ركض ... الخ » [مرقس ٥ : ١ —].

ويقول عيسى عليه السلام ان الشيطان يخرج من بدن الانسان المصروع بالصلاة والصوم فقد حكى مرقس : ان رجلاً قدم ابنه لعيسى عليه السلام وقال له : « يا معلم قد قدمت اليك ابني، به روح اخرس، وحيثما أدركه يمزقه، فيزبد ويصر بأسنانه وييبس ».

« فقال له يسوع : ان كنت تستطيع أن تؤمن. كل شيء مستطاع للمؤمن » فآمن فشفاه باذن الله. ثم قال لتلاميذه : « هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء الا بالصلاة والصوم » [مرقس ٩ : ١٤ — ٢٩].

وجاء في سفر أعمال الرسل : أن « سكاوا » وأبناؤه السبعة — وكان عالماً من علماء بني اسرائيل — كان يعزم على الشياطين أن تخرج من أجساد الناس. ففي الأصحاح التاسع عشر : « فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزمين أن يسموا على الذين بهم الأرواح الشريرة .. الخ ».

ثالثاً : ان اسلام الشيطان هو من الأمور المستحيلة. وقد نص القرآن على أنه لن يسلم أبداً في قوله تعالى : ﴿ **لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** ﴾ فقد بين أن الملء هو من جنس الشياطين كلهم لقوله « منك » ومن بعض بني آدم لقوله : « وممن تبعك » لا كل بني آدم.

وحديث اسلام شيطان النبي ﷺ هو معارض ببشرية الرسول، وأنه كان يجاهد نفسه لقوله : « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس » وأنه قد حكى الله عنه : ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً** ﴾[1] والركون اليهم لم يحدث منه، ولكن كاد أن يفعله، وهو لا يفعله بايعاز من ملائكة.

وهذا الشيطان الذي كان في أحد الأعراب. خدع من سمعوا صوته، بقوله : كنت بوذياً والآن أنا مسلم. وهو لم يكن بوذياً، ولم يسلم. وانما قال ما قال من قبيل الخداع والفتنة. فقد قال تعالى : ﴿ **ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم** ﴾[2] وفي حديث الزكاة التي كان يحرسها أبو هريرة : أن الشيطان علمه آية الكرسي. وفي صحيح مسلم : أن الشيطان كان يظهر لأهل الحديث في صورة رجل ويحدثهم عن رسول الله ﷺ فيطلبوه فلا يجدوه.

والشيطان لا يدخل بدن الانسي، ولا يخرج منه بكتابة الأحجبة، وانما هو لمنازعة تكون بينه وبين الانسي ولهوى ولشهوة. وليس للأحجبة في دخوله وخروجه تأثير.

نعم. قد زعم الشياطين من علماء بني اسرائيل بأنهم بواسطة الأحجبة يقدرون على دفع أذى الشيطان، ويقدرون على ايصال الخير للناس. ولكن الله كذبهم في زعمهم هذا. وبيّن أنهم فاسقون وسفهاء وشبيهون بالشياطين في الشر.

ففي سورة البقرة يقول تعالى عن اليهود : ان بعضهم اذا لقوا الذين آمنوا قالوا : انا معكم، واذا خلوا الى علماء السوء قالوا : انا معكم. ذاك

---

(١) سورة الاسراء الآية ٧٤.

(٢) سورة الحج الآية ٥٣.

قوله تعالى : ﴿ **واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم إنما نحن مستهزءون** ﴾[1] فقد عبر عن العلماء بالشياطين لشبههم بهم في الشر. وفي نفس السورة : أن اليهود تركوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا كلام علمائهم. فقد قال تعالى : ﴿ **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون * واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان**

﴿ **وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت**

﴿ **وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه**

﴿ **وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله**

ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ﴾[2].

والمراد من الشياطين في قوله : ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين** ﴾ : العلماء السفهاء من بني اسرائيل. وهم قد ابتدعوا كلاماً كذباً، واذاعوه في الناس ليأكلوا أموالهم بالباطل. وهو :

١ ــ أن سليمان عليه السلام كان كافراً. وقد نفى الله كفر سليمان بقوله : ﴿ **وما كفر سليمان** ﴾ وبين أن الذين كفروا هم العلماء الذين صرحوا كذباً بكفر سليمان.

٢ ــ وهؤلاء العلماء « يعلمون الناس السحر » بناء على قصة

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤.

(٢) سورة البقرة الآية ١٠١ ــ ١٠٢.

اختلقوها. وهي أن الله أنزل عليهم في مدينة « بابل » أيام « نبوخذ نصر » ملكين من ملائكة السماء ليعلما السحر لمن أراد منهم أن يتعلمه. وقد نفى الله نزول هاروت وماروت بقوله ﴿ **وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت** ﴾.

٣ ـــ وزعم العلماء السفهاء : ان الملكين هاروت وماروت لم يعلما كل العلماء، بل علما من أراد التعلم فقط. وذلك لأنهما كانا يقولان لمريد التعلم : « انما نحن فتنة فلا تكفر » هكذا زعموا. وزعموا : أن الذين تعلموا : تعلموا الطلاسم التي تفرق بين المرء وزوجه. وقد نفى الله تعليم الملكين بقوله : ﴿ **وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه** ﴾ وفي جملة النفي هذه ثلاث جمل. اذا سقط معنى الأولى، يسقط تبعاً له معنى الثانية والثالثة. وهي :

١ ـــ ما يعلمان من أحد.

٢ ـــ حتى يقولا : انما نحن فتنة فلا تكفر.

٣ ـــ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه.

أي أنهما اذا لم يعلما، فهما بالتالي لم يقولا، واذا لم يعلما ولم يقولا، فان اليهود لم يتعلموا منهما ما يفرق بين المرء وزوجه، وعلى ذلك فتعليم الطلاسم التي تفرق بين المرء وزوجه هي من ابتداع اليهود وليس من الوحي. والمبتدع للشر لا يفيد. والارتخاء وقت الاتصال الجنسي من أسبابه : أن الشيطان يلقي أسباب الفتور في الرجل أو في المرأة. وعلاج هذا السبب يكون باقناع النفس بالقدرة على الفعل. أي طرد الوهم، ومثل ذلك مثل ما لو قلت :

١ ـــ ما دخلت مكة.

٢ ـــ حتى تقول : انني رأيت الكعبة.

٣ ــ فتطلب مني أن أصفها لك. فان أنت نفيت مكة، فقد نفيت رؤية الكعبة، ونفيت المقدرة على الوصف.

٤ ــ والجملة الرابعة المنفية في الآية ١٠٢ هي ﴿ **وما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله** ﴾ أي أن ضررهم لا يكون بالأحجبة، وقد يكون بالوهم. والله لا يضر الا مستحق الضرر، بهم أو بغيرهم. أما المستقيمون فالله يحميهم من أذى الأشرار.

وقوله تعالى : ﴿ **ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق** ﴾ مذكور علمهم هذا في التوراة في الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية قبل النص على صفات محمد رسول الله ﷺ وهو :

« متى دخلت الأرض التي يعطيك الرب الهك، لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم. لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار، ولا من يعرف عرافة، ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر، ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى، لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب. وبسبب هذه الأرجاس : الرب الهك طاردهم من أمامك. تكون كاملاً لدى الرب الهك. ان هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين والعرافين وأما أنت فلم يسمح لك الرب الهك هكذا.

يقيم لك الرب الهك نبياً من وسطك من أخوتك مثلي. له تسمعون ... الخ » [تثنية ١٨ : ٩].

فكيف يحرم السحر، وكيف ينزل به ملائكة ؟

ولكن اليهود نبذوا كتاب الله ــ وهو التوراة ــ وراء ظهورهم، كأنهم لا يعلمون أن محمدا مكتوب فيه، ولما نبذوا، اتبعوا كلام علمائهم الشياطين المدون في التلمود ولو أنهم أقاموا التوراة، لآمنوا بمحمد ﷺ لأنها تحتم عليهم الايمان به اذا ظهر.

وقد وصف عيسى عليه السلام علماء بني اسرائيل السفهاء بأنهم عميان في قوله للحواريين عنهم : « اتركوهم. هم عميان قادة عميان. وان كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة » [متى ١٥ : ١٤].

« وضرب لهم مثلا : هل يقدر أعمى أن يقود أعمى ؟ أما يسقط الاثنان في حفرة ؟ ليس التلميذ أفضل من معلمه. بل كل من صار كاملا يكون مثل معلمه. لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك. وأما الخشبة التي في عينيك فلا تفطن لها ؟ أو كيف تقدر أن تقول لأخيك : يا أخي دعني أخرج القذى الذي في عينك. وأنت لا تنظر الخشبة التي في عينك ؟ يا مرائي أخرج أولا الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذي في عين أخيك. لأنه ما من شجرة جيدة تثمر ثمراً ردياً، ولا شجرة ردية تثمر ثمراً جيداً. لأن كل شجرة تعرف من ثمرها فانهم لا يجتنون من الشوك تينا ولا يقطفون من العليق عنبا » [لوقا ٦ : ٣٩ — ٤٤].

أهل الفقه وأهل الحديث

فرق الشيخ الغزالي بين أهل الفقه وأهل الحديث بقوله : « والواقع أن عمل الفقهاء متمم لعمل المحدثين، وحارس للسنة من أي خلل قد يتسلل اليها عن ذهول أو تساهل ».

ومؤلف الكشف قال له : ان الفقهاء محدثون، والمحدثون فقهاء. فلا تفرقة. أما دليل الشيخ فهو أن وجود أحاديث تناقض القرآن في المعنى لا يدل على أن المحدث فقيه، والا ما وقع في الخطأ. وأما دليل المؤلف الناقد فهو أن المحدثين قد رتبوا الأحاديث على أبواب الفقه، وأن الامام البخاري كان فقيهاً ومحدثاً. بل كانوا من العلماء بدليل أنهم نقدوا الخوارج والمعتزلة وأوردوا أحاديث في نقد آرائهم. وهذه القضية قد

وضحتها في التقديم لكتاب الرد على الرافضة[1]. وبينت أنها مقتبسة من كتب أهل الكتاب.

فالنصارى لما وجدوا التناقض ظاهراً في الأناجيل الأربعة، وظاهراً بين التوراة والأناجيل. قالوا : ان كتاب الأناجيل كانوا من عامة الناس. كانوا من صيادي السمك وجباة الضرائب والأطباء أو المصورين، وقد كتبوا ما كتبوا وهم عوام. وغرضهم من ذلك : تبرئتهم من الكذب عمداً على الله ورسوله. مع أنه قد صح وثبت : أنهم كانوا من سبط لاوي، وهو سبط العلماء، وأن يوحنا كان من الهارونيين ـــ أي من نسل هارون عليه السلام ـــ وهرون من قوم لاوي ـــ والهارونيون هم الأئمة ـــ وجاء في بعض الكتب : أنه كان من أقرباء عيسى عليه السلام وجاء في القرآن : أنهم حرفوا عمداً، فكيف مع هذا نصدق أنهم كانوا من العوام ؟ ومراد الشيخ الغزالي : هو ابعاد تهمة الكذب العمد عن المحدثين. والناقد لم يفهم مراده.

عالمية دعوة موسى وعيسى عليهما السلام

اختلف الشيخ محمد الغزالي والسلفي الناقد في أن أبو النبي وأمه في النار أم في الجنة. ولن أذكر كلامهما اكتفاء بالمناقشة. وهي :

المناقشة

(أ) الذي يقول : ان العرب كانوا مكلفين بالاسلام على دين موسى، وكفروا به، هو يستند الى قوله تعالى : ﴿ **فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من**

(١) الرد على الرافضة ـــ نشر المكتب الثقافي بالقاهرة.

قبل **قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون ﴾**(١) والى القاعدة الأصولية التي تقول : شرع من قبلنا، شرع لنا اذا لم يأت في شرعنا ما ينسخه. وشرع من قبلنا هو في التوراة، وحيث أننا لسنا من اليهود فان التوراة كانت لليهود وغيرهم من المصريين والعرب. وأبو الرسول وأمه من العرب.

(ب) والذي يقول : ان أبا الرسول وأمه من أهل الجنة، هو يستند الى قوله تعالى : **﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾**(٢) وقوله تعالى : **﴿ لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ﴾**(٣).

والذين كفروا العرب قبل بعثة محمد ﷺ يوفقون هكذا :

« حتى نبعث رسولاً » وقد أرسلنا الرسول وهو موسى عليه السلام. وأتباعه ودعاته قد وصلوا الى أرض العرب ودعوهم الى العمل بالتوراة، والنبيون من بعده من بني اسرائيل كانوا على التوراة، ومنهم عيسى عليه السلام وثبت أنه أرسل الى العرب واحدا من الحواريين ليقول لهم : اعملوا بالتوراة وانتظروا محمدا فإنه سيأتي من بعدي، واذا جاء فإنه يجب عليكم ترك التوراة والعمل بالشريعة التي ستكون معه.

وثبت : أن سليمان عليه السلام أرسل الى أهل « اليمن » وأن ملكتهم أسلمت مع سليمان لله رب العالمين. وقوله **﴿ ما أتاهم من نذير من قبلك ﴾** معناه : من قبلك منهم. أي لم يأت الى العرب رسول من بني اسماعيل صاحب شريعة الا أنت. وهذا لا يمنع ارسال رسول من غيرهم اليهم لقوله تعالى : **﴿ وان من أمة الا خلا فيها نذير ﴾**(٤) والعرب أمة.

وهذا الموضوع يدخل تحت عموم دعوة موسى وعيسى أو خصوصها

---

(١) سورة القصص الآية ٤٨.

(٢) سورة الإسراء الآية ١٥.

(٣) سورة القصص الآية ٤٦.

(٤) سورة فاطر الآية ٢٤.

وهو موضوع مختلف فيه بين العلماء وقد أشار اليه القرطبي في تفسير سورة الشورى، والماوردي في أعلام النبوة(١).

وقد بينا في غير هذا الكتاب: أن الفرق بين النبي والرسول هو: أن كلمة النبي تأتي على الحقيقة ولا تأتي على المجاز، وأن كلمة الرسول تأتي على الحقيقة وعلى المجاز. فمحمد نبي على الحقيقة وهو أيضاً رسول على الحقيقة. والعالم من علماء المسلمين رسول على المجاز، وليس نبياً على المجاز. أي رسول رسول الله.

ولذلك قال عن محمد ﷺ انه « خاتم النبيين » ولم يقل خاتم المرسلين. لأن كلمة النبي لا تأتي على المجاز.

وقوله تعالى: ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ يشير بالرسول الى المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. والعرب جاءهم اتباع موسى وعيسى عليهما السلام أي جاءتهم رسل رسل الله على شريعة موسى ــ عليه السلام ــ. ثم جاءهم الرسول الحقيقي منهم وهو محمد ﷺ الذي لما جاء نسخ شريعة موسى عليه السلام. يقول الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ: « وذهب بعض المتكلمين وأكثر الفقهاء من أصحاب الشافعي وأبي حنيفة الى أنه ــ أي الرسول ﷺ ــ كان متعبداً بشريعة من تقدمه من الأنبياء، لأنهم دعوا الى شرائعهم من عاصرهم ومن يأتي بعدهم، ما لم تنسخ بنبوة حادثة. فدخل الرسول ﷺ في عموم الدعاء قبل مبعثه، لأن الله تعالى لا يخلي زماناً من شرع متبوع ولا متدينا من تعبد مسموع. واختلف من قال بهذا: في ما كان متعبداً به من الشرائع المتقدمة. فذهب بعضهم: الى أنه كان متعبداً بشريعة جده ابراهيم، عليهما السلام، لقوله تعالى: ﴿ **ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه** ﴾(٢)

---

(١) انظر فصل الدعوات العالمية السماوية في كتاب نقد التوراة ــ نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٠.

لأنه كان في الحج والعمرة على مناسكه. وذهب آخرون : الى أنه كان متعبداً بشزيعة موسى[1] أ.هـ.

ويدلك على أن كلمة النبي لا تأتي على المعنى المجازي : أصل كلمة النبي في غير اللغة العربية. وهي في اللغة العربية واللغة العبرانية تنطق « نبي » واختلف علماء بني اسرائيل في اشتقاق كلمة نبي على النحو التالي :

١ ـــ الكلمة مشتقة من كلمتي : (أ) نون Nun (ب) بيت beth بمعنى : « ينبع » أو « ينفجر » وصيغته السلبية هي : « انفجر فيه » أو « اندفق فيه » وهذا يعني : « اندفاق الروح في النبي ».

٢ ـــ الكلمة مشتقة من الأشورية أو الأكادية، من الفعل « نابو = Nabu » بمعنى « يدعو » أو « ينادي ».

٣ ـــ الكلمة مشتقة من الفعل العربي « نبأ » أي « أعلن » أو « أخبر ».

٤ ـــ هناك صلة بين « نبي » وبين الفعل « بو » أي « يدخل في » وبذلك يكون النبي هو من « يدخل في علاقة مع الله ».

٥ ـــ هناك ارتباط بين كلمتي « نبأ » و « نعم » التي تعني « يهوه » و « يهوه » يساوي « الله » فيكون النبي هو المتكلم بوحي الله.

وكلمة « نبي » في التوراة تعني الشخص الذي يحمل اعلانات الله الى الناس نيابة عن الله. ففي سفر التثنية عن النبي : « وأجعل كلامي في فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي. أنا أطالبه ».

---

(١) ص ٢١٣ ـــ ٢١٥ اعلام النبوة ـــ نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

اسقاط السلسلة الذهبية

أعلى سلسلة لرواية الحديث تسمى بالسلسلة الذهبية. وقد أسقطها الشيخ محمد الغزالي بقوله : « انني آبى كل الاباء أن أربط مستقبل الاسلام كله بحديث آحاد مهما بلغت صحته »[1] وساق من الأدلة :

(أ) حديث الاغارة على بني المصطلق. (ب) حديث جواز وطء المرأة في دبرها وهما عن « نافع » مولى ابن عمر.

والمؤلف الناقد قد عاب عليه تخطئته لنافع ــ رضي الله عنه ــ والمؤلف الناقد غير فاهم لسلاسل الرواة، وغير فاهم لمراد الشيخ محمد الغزالي من تخطئة « نافع » فشيخ الاسلام لم يخطئ نافع، ولم يخطئ صحابيًّا ولا تابعيًّا. وانما هو يخطئ الكاذب على « نافع » أي الراوي الكذاب المدلس. لا الصحابي ولا التابعي.

وان كان يقصد نافعاً نفسه ــ وهو لا يقصده ــ فان المؤلف الناقد خطأ عائشة ــ رضي الله عنها ــ وقصد تخطئتها نفسها، لا الراوي الكاذب عليها، فالشيخ محمد الغزالي حصيف ومؤدب.

يقول صاحب الكشف : « وعائشة لم تضع منهجاً لرد الأحاديث الصحيحة، بل هو تصرف فردي، اتضح خطؤه »[2] أ.هـ.

فصاحب الكشف المتطاول على مقام الشيخ محمد الغزالي يتهم عائشة ــ رضي الله عنها ــ بأنها ترد الأحاديث بدون منهج، أي تتصرف في الأدلة الشرعية من تلقاء نفسها، وهذه منه سوءة لا تغتفر. فانها كانت صاحبة منهج لا يعلى عليه. وهو أنها اذا ردت حديثاً كانت ترده لمخالفته للقرآن. وتقول : « لا ندع كتاب ربنا لحديث أعرابي يبول على ساقيه »

---

(١) الطريق من هنا ص ٦٢.

(٢) ص ٨٧ كشف موقف الغزالي.

هذا هو المنهج. وأثر عنها : « حسبكم القرآن »[1] وهل منهجها هذا قد اتضح خطؤه فيما بعد ؟ انه لم يتضح خطؤه. لأن القرآن هو منهج الكل. وانما اتضح غرض الناقد وهدفه. وهو التشويش على معاني القرآن.

(أ) أما حديث الاغارة على بني المصطلق

فابن اسحق ذكر عن مشايخه، عاصم بن عمر بن قتادة وغيره : أنه ﷺ بلغه : أن بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار، فخرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع ــ قريباً من الساحل ــ فزاحف الناس واقتتلوا، فهزمهم الله وقتل منهم، ونقل رسول الله ﷺ نساءهم وأبناءهم وأموالهم.

هذه هي رواية ابن اسحق. وفيها أن النبي ﷺ لم يغر عليهم على حين غفلة. ورواية البخاري أنه أغار عليهم على جين غفلة. فأيهما نصدق ؟ وقد ذكر هذه القصة ابن سعد على نحو ما ذكر ابن اسحق. وساق ذلك اليعمري في عيون الأثر. ثم ذكر حديث ابن عمر، ثم قال : أشار ابن سعد الى حديث ابن عمر. ثم قال : الأول أثبت [هكذا في فتح الباري].

فيا أيها الناقد الحصيف. هذه مسألة خلافية. وفيها رأي يتفق مع القرآن، ورأي يخالفه. فأي الرأيين أحق بالقبول ؟ لقد أخذ سيدي وسيدك بما يتفق مع القرآن، وترك لك ما يتفق مع عقلك[2].

(١) راجع كتاب السيوطي ــ الاصلية في استدراك عائشة على الصحابة.

(٢) وقد وقع في حديث معاذ : أن النبي ﷺ لما أرسله الى اليمن، قال له : « ايما رجل ارتد عن الاسلام فادعه، فان عاد والا فاضرب عنقه. وايما امرأة ارتدت عن الاسلام فادعها. فان عادت والا فاضرب عنقها ».

[راجع فتحي الباري في شرح حديث الاغارة على بني المصطلق].

(ب) وحديث اتيان المرأة في دبرها

ورد حديث يبيحه، وورد حديث يمنعه. والاباحة والمنع عن واحد. وهذا ان دل على شيء، فانما يدل على كذب الرواة على أصحاب رسول الله ﷺ. لا كذب أصحاب رسول الله أنفسهم.

في تحفة العروس للتجاني : ـــ باب وطء الرجل في غير الفرج ـــ ما نصه : « صاحب خرص الحلى. قال التحميض : اتيان النساء في أدبارهن. وقال : ومن حديث ابن عمر : « كنا نشتري الجواري فنحمض فيهن » وهذا الأثر عن ابن عمر كأنه مناقض للأثر الآخر الذي يرويه الليث عن الحارث بن يعقوب عن سعيد بن يسار قال : قلت لابن عمر : كيف ترى في التحميض ؟ قال : وما التحميض ؟ قلت : أن يأتي الرجل المرأة في دبرها. قال : أو يفعل ذلك أحد من المسلمين ؟ ذكره البكري في اللآلئ. ولكن قد ذكر البخاري حديثاً خرجه عن ابن عون عن نافع قال : كان ابن عمر اذا قرأ القرآن لا يتكلم حتى يفرغ، فأخذت عليه يوماً، فقرأ سورة البقرة، حتى انتهى الى مكان. فقال : أتدرون فيم أنزلت ؟ قلت : لا. قال : أنزلت في كذا وكذا. ثم مضى. ثم أتبعه البخاري بحديث آخر كالمفسر له، يرويه أيوب عن نافع عن ابن عمر ـــ رضي الله عنه ـــ ﴿ **فَأْتوا حرثكم أنى شئتم** ﴾[1] قال : يأتيها في دبرها. واقتصر على « في »، ولم يذكر شيئاً. فهذا ما ذكره البخاري. وهو إشعار بأن ابن عمر كان يبيح وطء المرأة في دبرها. وقال النسائي عن أبي النضر أنه قال لنافع : « ان الناس قد أكثروا القول عنك أنك تقول عن ابن عمر أنه أفتى أن تؤتي النساء في أدبارهن. فقال : لقد كذبوا علي، ولكن سأخبرك كيف كان الأمر :

ان ابن عمر عرض المصحف يوماً وأنا عنده، حتى بلغ : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شئتم** ﴾ فقال : يا نافع هل تعلم ما أمر هذه

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٣.

الآية ؟ قلت : لا. قال : انا كنا معشر قريش نجبي النساء. وذكر نحواً من حديث ابن عباس المتقدم الذي خرجه أبو داود »[1] [انتهى بنصه].

أيها الناقد الحصيف انظر الى قول نافع نفسه : « لقد كذبوا علي » وانظر الى التحميض، وأن ابن عمر ما كان يعرفه. واسأل نفسك : هل كذب الرواة على أصحاب رسول الله أم لم يكذبوا. ولا تكابر.

* * *

واعلم : أن الأقدمين قد ردوا من البخاري كما يرد الشيخ محمد الغزالي، وهم لم يردوا كلاماً صحيحاً صدر من فم رسول الله ﷺ، بل ردوا كذب الرواة عليه. انظر الى حديث إبطال النبي للحدود. وانظر الى رد الشراح له.

في البخاري : حدثنا عبد القدوس بن محمد : حدثني عمرو بن عاصم الكلابي : حدثنا همام بن يحيى : حدثنا اسحق بن عبدالله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ قال : كنت عند النبي ﷺ فجاءه رجل، فقال : يا رسول الله إني أصبت حدا فأقمه علي. قال : ولم يسأله عنه. قال : وحضرت الصلاة فصلى مع النبي ﷺ فلما قضى النبي ﷺ الصلاة، قام اليه الرجل. فقال : يا رسول الله اني أصبت حدا، فأقم في كتاب الله. قال : أليس قد صليت معنا ؟ قال : نعم. قال : فان الله قد غفر لك ذنبك، أو قال : حدك. [الحديث ٦٨٢٣].

وقد طعن الحافظ أبو بكر البرزنجي في هذا الخبر، مع كون الشيخين اتفقا عليه. وقال : هو منكر. فحكم الحافظ البرزنجي على هذا الحديث

(١) حديث ابن عباس هو : « كان هذا الحي من الأنصار ــ وهم أهل وثن ــ مع هذا الحي من يهود أهل الكتاب. فكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم. وكان من أمر أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء الا على حرف. وذلك أستر ما يكون للمرأة. وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا ذلك من فعلهم. وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحاً ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات ... الخ ».

بأنه « منكر » هل يقصد به أن كلام النبي الصادر من فمه منكر، أم يقصد به الكلام الذي اختلقه الرواة من عند أنفسهم ونسبوه الى النبي ؟ ومثل ذلك قول المحدثين عن حديث ما : انه ضعيف. هل هم يقصدون من الضعف كلام النبي نفسه أم كلام الرواة ؟

وقد قال[1] بعض الناس منتصراً لتحريم وطء المرأة في دبرها : بأن الأمة أجمعت على تحريم المرأة قبل عقد النكاح. واختلف فيه بعد العقد. هل حل هذا العضو منها أم لا ؟ فيستصحب الاجماع على التحريم، حتى ينقل عنه ناقل. وعكس الآخرون وزعموا : أن النكاح في الشرع يبيح المنكوحة على الاطلاق، فنحن مستصحبون لهذا، حتى يأتي دليل استثناء بعض الأعضاء. أ. هـ.

وفات على المحللين كلمة « الحرث » فان الدبر ليس بموضع له.

وكذب الرواة عمداً على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه وأتباعه، قد نبه عليه المسلمون من قديم الأيام. فالامام القرطبي محمد بن أحمد صاحب التفسير المتوفى سنة ٥٧١ هـ يقول في مقدمة تفسيره الجامع لأحكام القرآن ما نصه :

« لا اِلتفات لما وضعه الواضعون، واختلقه المختلقون، من الأحاديث الكاذبة، والأخبار الباطلة في فضل سور القرآن وغير ذلك من فضائل الأعمال، قد ارتكبها جماعة كثيرة، اختلفت أغراضهم ومقاصدهم في ارتكابها ».

هذا كلام القرطبي ـــ رحمه الله ـــ بالحرف الواحد. وفيه أن جماعة كثيرة قد كذبوا على رسول الله وقولوه ما لم يقل.

وحكى القرطبي أيضاً والسيوطي من بعده : أن « الأسانيد الصحيحة »

(١) تحفة العروس للتجاني ـــ باب وطء الرجل في غير الفرج.

لم تكن مع الثقات فقط، فقد عمل مثلها الكذابون من الرواة. فما يؤمنكم أيها السلفيون أن « السلسلة الذهبية » لم يعمل مثلها الكذابون من الرواة ؟ لقد عملوا مثلها مع امام أهل السنة ــ وهو امامكم ايضاً ــ الامام المعظم أحمد بن حنبل ــ طيب الله ثراه ــ أعني انهم كذبوا عليه هو الآخر وقولوه ما لم يقل. وهذا هو السبب في قول أتباعه : في احدى الروايتين عنه ــ وفي رواية عن أحمد[1].

قال القرطبي في مقدمة تفسيره ما نصه :

« روي عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي، ومحمد بن عكاشة الكرماني، وأحمد بن عبد الله الجويباري، وغيرهم. قيل لأبي عصمة : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة ؟ فقال : اني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن اسحق، فوضعت هذا الحديث حسبة، قال أبو عمرو عثمان بن الصلاح في كتاب « علوم الحديث » له : وهكذا الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في فضل القرآن سورة سورة. وقد بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى الى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه، وان أثر الوضع عليه لبين. وقد أخطأ « الواحدي » المفسر، ومن ذكره من المفسرين في ايداعه تفاسيرهم.

ومنهم قوم من السؤال والمكدين يقفون في الأسواق والمساجد،

---

(١) مما جاء عن أحمد في احدى الروايتين عنه :

انكر بعض الروافض والنظام من المعتزلة تصور انعقاد الاجماع على امر غير ضروري. وذهب داود وشيعته من أهل الظاهر. وأحمد بن حنبل ــ في احدى الروايتين ــ الى أنه لا اجماع الا للصحابة. وقال الزيدية والامامية من الروافض : لا يصح الاجماع الا من عترة الرسول عليه السلام ــ أي قرابته ــ ونقل عن مالك ــ رحمه الله ــ انه قال : لا اجماع الا لأهل المدينة. أ.هـ [راجع كشف الأسرار لعبد العزيز البخاري على أصول الامامة لفخر الاسلام أبي الحسين علي بن محمد بن حسين البزدوي ج ٣ ص ٩٤٦ ــ].

فيضعون على رسول الله ﷺ أحاديث بأسانيد صحاح قد حفظوها، فيذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد.

قال جعفر بن محمد الطيالسي : صلى أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، في مسجد « الرصافة » فقام بين أيديهما قاص. فقال : حدثنا أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين، قالا : أنبأنا عبد الرزاق، قال : أنبأنا معمر عن قتادة عن أنس. قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال : لا اله الا الله، يخلق من كل كلمة منها طائر، منقاره من ذهب وريشه مرجان» وأخذ في قصة نحو من عشرين ورقة. فجعل أحمد ينظر الى يحيى، ويحيى ينظر الى أحمد. فقال : أنت حدثته بهذا ؟ فقال : والله ما سمعت به الا هذه الساعة. قال : فسكتا جميعاً حتى فرغ من قصصه. فقال له يحيى : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. فقال : أنا ابن معين. وهذا أحمد بن حنبل. ما سمعنا بهذا قط. في حديث رسول الله ﷺ فان كان ولا بد من الكذب، فعلى غيرنا.

فقال له : أنت يحيى بن معين ؟ قال : نعم. قال : لم أزل اسمع أن يحيى بن معين أحمق، وما علمته الا هذه الساعة. فقال له يحيى : وكيف علمت أني أحمق ؟ قال : كأنه ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ؟ كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا. قال : فوضع أحمد كمه على وجهه، وقال : دعه يقوم. فقام كالمستهزئ بهما.

فهؤلاء الطوائف كذبة على رسول الله ﷺ ومن يجري مجراهم » أ.هـ.

موقف الشيخ الغزالي
من النصارى

مؤلف كتاب كشف موقف الغزالي. ينقد الشيخ محمد الغزالي ــ رضي الله عنه ــ بقوله : « الغزالي لطيف وحليم وحكيم مع النصارى، وان خططوا لتدمير الاسلام والمسلمين » أ.هـ.

والرد عليه من جهتين : الجهة الأولى من تعليمه لتلاميذه، والجهة الثانية من كتبه.

١ ــ وهذا هو الرد من الجهة الأولى

انك أيها السلفي ــ كما قلت لك من قبل ــ لا تعرف علم مقارنة الأديان، ولا تعرف آراء الفلاسفة المليين وغير المليين ولا تعرف آراء أهل الملل والنحل، والمذاهب المعاصرة وغير المعاصرة. وان عرفت من هذا شيئاً فهو للتشبه بالصالحين من رجال الأزهر، ولا تعرف لغات العالم حتى تعرف آدابهم وعوائدهم، للعلم بالشيء، أو لتدعوهم بلغتهم الى الاسلام أو لترد شبههم عن الاسلام، لتمنع العوائق عن امتداده الى شتى بقاع الأرض. أنت لا تعرف هذا. وتعرف توحيد الربوبية والألوهية، وكيفية امرار السواك في الفم، وتشمير ذيل الثوب وأكمامه، وتوسيع السروال وتضييقه. وتعرف أن تحلل وتحرم بأحاديث الآحاد التي لا يشك عاقل في أنها ليست حجة. أنت تعرف هذا، ولا تعرف هذا النص من كلام عيسى عليه السلام وهو : « ليس التلميذ أفضل من المعلم، ولا العبد افضل من سيده. يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده » [مت ١٠ : ٢٤ ــ ٢٥] ولذلك أسأت الى شيخ الاسلام الامام فخر الدين الرازي ــ رضي الله عنه ــ مع أن ابن تيمية كان يدرس كتبه لطلاب العلم[1]،

---

(١) يقول ابن رجب في ص ١٤ في « العقود الدرية » : « ولازم الشيخ تقي الدين بن تيمية مدة، وقرأ عليه قطعة من الأربعين في اصول الدين للرازي » غ.

وتسيء اليوم الى الشيخ الامام محمد الغزالي ــ رضي الله عنه ــ مع أن الجامعات الراقية في العالم تدرس كتبه لطلاب العلم. وقد كان أستاذاً لكم. أستاذاً مقتدراً في القول وفي الفعل وتدعي أنه لطيف وحليم مع النصارى. واللطيف والحليم مع النصارى معروف أنه كافر ــ الا من يتقي منهم تقاة ــ فأنت تكفره ولا تصرح بالكفر.

اسمع مني. هل حذف الشيخ الغزالي آية الجزية من القرآن الكريم ؟ هل طالب باسقاط الجزية عن أهل الكتاب ؟ هل أقر اليهود على تحريف التوراة ؟ هل أقر النصارى على تحريف الانجيل ؟ هل أقر النصارى على عقيدة التجسد، وعقيدة التعدد ؟ لا. لا. لم يقرهم على هذا كله. ولم يقرهم على بعضه. هذه هي كتبه ومنها : التعصب والتسامح ــ وقذائف الحق. فلماذا تقول الرجل ما لم يقل ؟ الا تخجل من العالم بكل شيء ؟ وهو السميع البصير.

وأنت تقبل شهادة الواحد ــ وأنا واحد ــ وأشهد لك بأن الشيخ محمد الغزالي ــ رضي الله عنه ــ كان يدرس في الدراسات العليا في قسم الدعوة بكلية أصول الدين في سنة ١٩٧٢ م علم مقارنة الأديان. وكان يقول للطلاب وأنا منهم : ان حديث الآحاد عندنا نحن المسلمين أثبت في الصحة مما هو مدون في الأناجيل الأربعة، وأن عقائد النصارى هي من المجامع المسكونية لا من كتب التوراة والأناجيل، ثم أنه اختار لي أن أقدم للماجستير موضوع : « عيسى بن مريم ــ حياته ودعوته » وأنه راجع الموضوع كله. وأنه سر كثيراً من عرضي لنصوص التوراة والانجيل عن محمد ﷺ. وقال معقباً عليها : بمثل هذا نجادل أهل الكتاب. فشيخ مثل هذا في علمه وفضله وغيرته على الاسلام ونبيِّه، تصفه أيها السلفي بأنه « لطيف وحليم مع النصارى » ؟

شيخ مثل هذا في دفاعه عن الدين، تقول فيه « مع الأسف. كثيراً ما تتحدث عن قضايا باسم الاسلام، والاسلام وعلماؤه وفقهاؤه منها براء.

هذا ــ والله ــ من اشراط الساعة. أن يتخذ الناس رؤساء جهالا، فيسألونهم، فيفتون بغير علم، فيضلون ويضلون »[1] ؟

هل الأستاذ الامام محمد الغزالي من الرؤساء الجهال ؟ فمن هو العالم الرئيس اذا ؟ وهل هذا هو الأدب مع العلماء.

وسأذكر هنا من نصوص التوراة والانجيل نصوصا عن محمد ﷺ. لتعرف ثمرة جهاده ــ فأنا من غرس يديه ولست أهلا لأن أنحني وأحل سيور حذائه. لأنه أعظم مني ــ وسأذكرها لا لتعلمها من أجل الجدال بها والافحام بها. فأنت لا تريد أن تعرف الا توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ــ وابليس يعرفهما ــ وانما لتعلم أنه أقام تلاميذ، وأنشأ مدرسة آتت ثمارها من أجل الله وحده ..

النبي الأمي
في
التوراة والانجيل

بين الله تعالى في التوراة وفي الانجيل لعلماء بني اسرائيل ولسائر الأمم : أن سيظهر محمد من آل اسماعيل بن ابراهيم ليكون للعالمين نذيراً، وأنه سينسخ شريعة موسى وسيغير عوائده وشعائره. ووصف صحابته بالطهر والعفاف، وأنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم، وأنهم في بدء الاسلام سيكونون جماعة صغيرة، ثم تنمو رويداً رويداً، حتى يكونوا كباراً، يعمل الناس لهم ألف حساب وحساب.

ففي الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين : أن الله تعالى قال

---

(١) ص ٢٧ كشف موقف الغزالي.

لابراهيم : « سر أمامي. وكن كاملا. فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً » والمعنى : امش في الناس بالدعوة الى ديني وعرفهم بي لينبذوا عبادة الأوثان. وكن كاملا أي أمة وقدوة في عمل الخير. ولئن التزمت بالدعوة والقدوة، أجعل عهدي معك بالنبوة والرسالة والملك على الأمم، وقد التزم ابراهيم عليه السلام ومن أجل ذلك قال الله له : سأجعل عهدي بالنبوة والرسالة والملك على الأمم في نسل اسحق عليه السلام اذا مشوا بالدعوة الي وكانوا قدوة في عمل الخير. فقال ابراهيم لله واسماعيل ولدي البكر. أتمنى أن تجعل العهد في نسله أيضاً. فيكون العهد بالنبوة والرسالة والملك مشتركاً بين اسماعيل واسحق. ويكون لهذا مدة، ولهذا مدة.

هذا ما قاله ابراهيم عليه السلام لله تعالى حسبما تنص التوراة. فان فيها : « وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش امامك. فقال الله : وأما اسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره. وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة ».

وقد حمل بركة اسحق بالتوراة موسى عليه السلام. وحمل بركة اسماعيل بالقرآن محمد عليه السلام. وبيان ذلك :

١ ــ أن اسماعيل عليه السلام سكن مع أمه في برية فاران. وهي أرض مكة المكرمة ففي الأصحاح الحادي والعشرين من سفر التكوين : « ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : ما لك يا هاجر. لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشدي يدك به. لأني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية. وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران. وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر ».

هذا هو مكان سكنى اسماعيل المبارك فيه بالملك والنبوة.

٢ ــ وقد قسم موسى عليه السلام بركة الله بالملك والنبوة على ثلاثة أماكن :

(أ) سيناء : مكان نزول التوراة.

(ب) وساعير : مكان تفسير التوراة من علماء وأنبياء بني اسرائيل.

(جـ) وفاران : مكان نزول القرآن.

فقال في الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية : « وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موته. فقال : جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران. وأتى من ربوات القدس. وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك ».

وفي هذا النص بيان كثرة أصحاب محمد ﷺ فقد قال : « وأتى من ربوات القدس » وفي بعض التراجم : وأتى مع آلاف من جيش المقدسين الطاهرين الذين اختارتهم العناية الالهية لهذا الغرض المقدس. وفي هذا النص مدح لأصحاب رسول الله ﷺ فقد قال : « جميع قديسيه في يدك. وهم جالسون عند قدمك. يتقبلون من أقوالك » أي أن الصحابة الاجلاء في يد رسول الله ﷺ لا يخرجون عن طاعته، وهم جالسون عند قدمه : كناية عن التواضع بين يديه، ويتقبلون من أقواله : أي لا يشرعون لهم من تلقاء أنفسهم.

٣ ــ وقد نبه يعقوب الذي هو اسرائيل بنيه حال موته على مجيء نبي السلام الذي متى جاء فإنه سيأخذ منهم الملك والنبوة. بقوله : « لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب » [تكوين ٤٩ : ١٠] والمعنى : لا يزول الملك من بني اسرائيل. وعبر يهوذا عن بني اسرائيل بأسرهم. وستظل التوراة شريعة تحت نفوذ الملوك من بني اسرائيل بأسرهم. حتى يأتي « شيلون » نبي

الاسلام، فيتسلم منهم النبوة والملك وتخضع له أمم الأرض.

وليس شيلون الا محمد ﷺ لأنه من اسماعيل المبارك فيه.

٤ ــ ولما كان موسى عليه السلام هو والمشايخ السبعون على جبل طور سيناء لتلقي شريعة التوراة من الله، خاف بنو اسرائيل من الدخان والنار اللذين أحاطا بهم وهم فوق الجبل، وقالوا لموسى عليه السلام : اذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى ويسمعنا صوته. فليكن عن طريق بشر، ليكن عن طريقك يا موسى. ونحن نسمع ونطيع. فرد موسى كلامهم الى الله. فقال الله : أحسنوا في ما قالوا. ولسوف أرسل لهم نبياً مثلك وأجعل كلامي في فمه. أي سيكون نبياً أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

وهذا النبي الذي سيأتي مماثلاً لموسى هو محمد عليه السلام. لأن الله قد بارك في اسماعيل ــ عليه السلام ــ وجعل له ملكاً ونبوة، كملك بني اسحق ونبوتهم فإن لاسحق بركة كبركة اسماعيل. وحملها من بني اسحق كلهم : بنو اسرائيل. وبدأت من بني اسرائيل من موسى عليه السلام فإنه صاحب الشريعة. وكان رئيساً مطاعاً، وجاهد في سبيل الله وأمر أتباعه بدخول الأرض المقدسة.

ففي الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية

« يقيم لك الرب الهك نبياً من وسطك من اخوتك. مثلي. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب الهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً : لا أعود أسمع صوت الرب الهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت، قال لي الرب : قد أحسنوا في ما تكلموا. أقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أطالبه، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى. فيموت ذلك النبي.

وأن قلت في قلبك : كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ؟

فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي. فلا تخف منه » [تث ١٨ : ١٥ ــ ٢٢].

كيفية انطباق النبوة على محمد ﷺ

أولاً : ان من أوصاف هذا النبي المنتظر : ان يكون نبياً. لا الهاً. وقد زعم النصارى : أن أوصاف النبي الذي تتحدث عنه هذه النبوءة : تنطبق على عيسى عليه السلام. وزعمهم باطل. لأن بعضهم يقول : ان عيسى اله. وبعضهم يقول : هو الاله الخالق للعالم. فالكاثوليك والبروتستانت يقولون : ان عيسى هو الاله الثاني. والله هو الاله الأول. والروح القدس هو الاله الثالث. والأرثوذكس يقولون : ان عيسى هو الله رب العالمين وقد ظهر للناس في صورة بشر، وعن مذهب الكاثوليك والبروتستانت يقول تعالى : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة** ﴾[1] وعن مذهب الأرثوذكس يقول تعالى : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم** ﴾[2].

وهذا مع ما في التوراة وما في الانجيل من أن الله تعالى هو الخالق للعالم وحده وأنه ليس كمثله شيء. ففي الأصحاح السادس من سفر التثنية : « اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد » وفي الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية : « ليس مثل الله » وفي الأصحاح الأول من انجيل يوحنا، فسر يوحنا أبناء الله بمعنى المؤمنين بالله في قوله : « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله. أي المؤمنون

(١) سورة المائدة ٧٣.

(٢) سورة المائدة الآية ١٧، والآية ٧٢.

باسمه » وقال : ان الله لم يره أحد. وحيث أن عيسى قد رآه الناس، فإنه بحكم الانجيل لا يكون هو الله، لقوله : « الله لم يره أحد قط ».

وفي نفس الأصحاح يورد يوحنا كاتب الانجيل : شهادة يحيى عليه السلام ــ الذي هو يوحنا المعمدان ــ بأنه ليس هو النبي الذي أخبر عن مجيئه موسى في سفر التثنية لينسخ شريعته. وقد كان يوحنا معاصراً لعيسى عليه السلام. وكان وهو يدعو اليهود لاقتراب ملكوت السموات. مما يدل على أن النبي المنتظر لم يكن قد أتى قبل يحيى وعيسى. وليس هو عيسى ولا يحيى ــ عليه السلام ــ يقول يوحنا : « وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر. وأقر : أني لست أنا المسيح. فسألوه : اذن ماذا ؟ ايليا أنت ؟ فقال : لست أنا. ألنبي أنت ؟ فأجاب : لا » فقد اعترف المعمدان بأنه ليس هو النبي المشار اليه في سفر التثنية. وحيث أنهما معاً دعوا الى اقتراب ملكوت السموات ــ أي أن دعوتهما واحدة ــ فان النبي المنتظر يكون آتياً من بعدهما. فقد حكى متى ما نصه :

(أ) « من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات » [متى ٤ : ١٧].

(ب) « وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » [متى ٣ : ١ ــ ٢].

ثانياً : ومن أوصاف النبي المنتظر : أن يكون من إخوة بني اسرائيل. ولو كان هذا النبي من بني اسرائيل ما كان يقول : « من اخوتهم » وكان يقول : منكم. وحيث أن :

(أ) لاسماعيل بركة.

(ب) وأنه أخ لاسحق الذي هو جدهم.

فان المراد من اخوتهم : أنه سيأتي من آل اسماعيل لأن لاسماعيل

بركة. ففي الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين : « وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وأنه يكون انساناً وحشياً. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه. وأمام جميع اخوته يسكن ».

ثالثاً : ومن أوصافه المماثلة لموسى في الحروب والانتصار على الأعداء. وقد نصت التوراة على أنه لن يظهر في بني اسرائيل مثل موسى. وعليه. فان الآتي يكون من غير جنسهم. وحيث لاسماعيل بركة، فإنه يكون من جنسه. ففي الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية :

« ولم يقم بعد نبي في اسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه. في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعلمها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه. وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع اسرائيل ».

رابعاً : ومن أوصافه : أن يسمع له بنو اسرائيل ويطيعون حتى ولو نسخ شريعة موسى. ولم ينسخ شريعة موسى الا محمد عليه السلام. أما الأنبياء من موسى الى محمد ــ عليه السلام ــ فقد كانوا على شريعة موسى. حتى يسوع المسيح فانهم كتبوا أنه كان على دين موسى لقوله : لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس » [متى ٥ : ١٧] وقد صرح القرآن بذلك في قوله تعالى : ﴿ **واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾[1] فقد بين أنه موافق على التوراة التي هي أمامه في عصره. ولقد كان الربانيون والأحبار يفسرون التوراة، ويضيفون على التفسير من عندهم تشريعات لم يأذن بها الله. مثل تحريم الأكل بأيد غير مغسولة. وأما عسيى عليه السلام فإنه كان مفسراً لها ولم يكن محرماً

---

(١) سورة الصف الآية ٦.

ومحللاً من تلقاء نفسه كما كان يفعل الربانيون والأحبار. بل أنه ألغى تشديداتهم وأباح محرماتهم من تلقاء أنفسهم. كما قال تعالى عنه ﴿ **ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم** ﴾[1] من الربانيين والأحبار.

وأما قوله تعالى : ﴿ **وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه** ﴾[2] فإن معناه : وليحكموا بما فيه من ايجاب العمل بأحكام التوراة. فإن في الانجيل : « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس » وفيه في الأصحاح الثالث والعشرين من انجيل متى قول عيسى عليه السلام : « على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون ».

خامساً : ومن أوصافه : أن يكون نبياً أمياً غير قارئ ولا كاتب. وهذا معنى قوله : « وأجعل كلامي في فمه ».

سادساً : ومن أوصافه : أن يكون أميناً على الوحي الالهي. وهذا مستفاد من قوله : « فيكلمهم بكل ما أوصيه به ».

سابعاً : ومن أوصافه : ان الله ينصره على مخالفيه. وهذا مستفاد من قوله : « ويكون أن الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي. أنا أطالبه » أي الله يقول أنا أنتقم من مخالفيه.

ثامناً : ومن أوصافه : أن لا يقتل. وأن من يكذب ويدَّعي النبوة ويزعم أنه هو المراد من هذه النبوءة المذكورة في سفر التثنية، أو يدعو الى غير الله، فإنه يقتل. وهذا مستفاد من قوله : « وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي » أي فيكون جزاؤه القتل.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٥٠.

(٢) سورة المائدة الآية ٤٧.

تاسعاً : وان قال متبع شريعة موسى : كيف نميز الصادق من الكاذب ؟ أي اذا ظهر من يقول اني أنا هو ذلك النبي. فكيف نعرف أنه صادق ؟

فانه أعطى علامة للناس، ليعرفوا الصادق من الكاذب. وهي : انه اذا ظهر وأخبر من غيب، ووقع الغيب كما قال. فانه يكون صادقاً في دعوى النبوة.

وهذا مستفاد من قوله : « وان قلت في قلبك : كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب » ؟ وهذا هو السؤال : والاجابة هي : « فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه ».

* * *

وقد ظهر مما تقدم : أن محمداً ﷺ مكتوب عنه في التوراة في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية مع المقارنة بالنصوص الأخرى الدالة على بركة اسماعيل عليه السلام ومكتوب عنه في الأصحاح الأول من انجيل يوحنا.

وظهر أن التوراة قد وصفت أصحابه بأنهم قديسون طاهرون، وأنهم لا يعصون رسول الله ولا يستكبرون من طاعته. ففي الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية : « وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه في يدك. وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك »[تث ٣٣ : ٢ — ٣].

* * *

وقد جاء في القرآن الكريم عن صفات أصحاب رسول الله ﷺ :

١ — أنهم يرثون الأرض. ليحكموا أهلها بالحق والعدل المنصوص

عليهما في القرآن الكريم. فقد قال تعالى : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾[1].

٢ ــ وأنهم أشداء على الكفار، ورحماء بينهم. فقد قال تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة** ﴾[2].

٣ ــ وأنهم يكونون في بدء الاسلام جماعة صغيرة، ثم يكبرون. فقد قال تعالى : ﴿ **ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه** ﴾[3].

وهذه الصفات مذكورة الى اليوم في التوراة وفي الانجيل، مع صفات أخرى لرسول الله محمد ﷺ تدل على أنه رحمة للعالمين.

١ ــ فعن أن المسلمين يرثون الأرض الى الأبد

نذكر هذا النص من الزبور ــ وهو قد نزل بعد الذكر ــ اي التوراة ــ بخمسمائة عام تقريباً ــ :

« لا تغر من الأشرار، ولا تحسد عمال الأثم، فانهم مثل الحشيش، سريعاً يقطعون، ومثل العشب الأخضر يذبلون. اتكل على الرب، وافعل الخير. اسكن الأرض وارع الأمانة، وتلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك. سلم للرب طريقك واتكل عليه، وهو يجري ويخرج مثل النور برك وحقق مثل الظهيرة. انتظر الرب واصبر له ولا تغر من الذي ينجح في طريقه من الرجل المجري مكائد. كف عن الغضب واترك السخط، ولا تغر لفعل الشر، لأن عاملي الشر يقطعون، والذين ينتظرون الرب، هم يرثون الأرض.

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

(٢) و (٣) سورة الفتح الآية ٢٩.

بعد قليل لا يكون الشرير، تطلع في مكانه فلا يكون. اما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون في كثرة السلامة.

الشرير يتفكر ضد الصديق، ويحرق عليه أسنانه. الرب يضحك به، لأنه رأى أن يومه آت. الأشرار قد سلوا السيف ومدوا قوسهم لرمي المسكين والفقير. لقتل المستقيم طريقهم. سيفهم يدخل في قلبهم وقسيّهم تنكسر. القليل الذي للصديق خير من ثروة أشرار كثيرين لأن سواعد الأشرار تنكسر وعاضد الصديق الرب. الرب عارف أيام الكملة، وميراثهم الى الأبد يكون. لا يخزون في زمن السوء وفي أيام الجوع يشبعون، لأن الأشرار يهلكون وأعداء الرب كبهائم المراعي. فنوا. كالدخان فنوا. الشرير يستقرض ولا يفي. أما الصديق فيترأف ويعطي، لأن المباركين منه يرثون الأرض، والملعونين منه يقطعون.

من قبل الرب تتثبت خطوات الانسان وفي طريقه يسر. اذا سقط لا ينطرح، لأن الرب مسند يده. أيضاً كنت فتى وقد شخت، ولم أر صديقاً تخلى عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزاً. اليوم كله يترأف ويقرض ونسله للبركة.

حد عن الشر وافعل الخير واسكن الى الأبد، لأن الرب يحب الحق ولا يتخلَّى عن أتقيائه الى الأبد يحفظون. اما نسل الأشرار فينقطع. الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها الى الأبد. فم الصديق يلهج بالحكمة، ولسانه ينطق بالحق. شريعة الهه في قلبه، لا تتقلقل خطواته. الشرير يراقب الصديق محاولاً أن يميته. الرب لا يتركه في يده ولا يحكم عليه عند محاكمته. انظرِ الرب واحفظ طريقه، فيرفعك، لترث الأرض. الى انقراض الأشرار تنظر.

قد رأيت الشرير عاتباً وارفاً، مثل شجرة شارقة ناضرة. تميز فاذا هو ليس بموجود والتمسته فلم يوجد. لاحظ الكامل وانظر المستقيم، فان العقب لانسان السلامة. أما الأشرار فيبادون جميعاً. عقب الأشرار ينقطع

أما خلاص الصديقين، فمن قبل الرب حصنهم في زمان الضيق، ويعينهم الرب وينجيهم. ينقذهم من الأشرار ويخلصهم، لأنهم احتموا به » [مزمور ٣٧].

٢ ــ وعن أنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم :

في سفر المزامير ــ وهو من أسفار التوراة العبرانية ــ :

« لأن الرب راض عن شعبه. يجمل الودعاء بالخلاص. ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرنموا على مضاجعهم، تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب، لأسر ملوكهم بقيود، وشرفائهم بكبول من حديد، ليجروا بهم الحكم المكتوب. كرامة هذا لجميع أتقيائه » [المزمور ١٤٩].

٣ ــ وعن أنهم يكونون في بدء الاسلام جماعة صغيرة ثم يكبرون :

ففي انجيل متى ومرقس ولوقا. ذكر عيسى عليه السلام أمثلة كثيرة لملكوت السموات ومنها هذا المثل المشار اليه في سورة الفتح في القرآن الكريم.

(أ) النص عند متى : « يشبه ملكوت السموات حبة خردل، أخذها انسان وزرعها في حقله. وهي أصغر جميع البزور. ولكن متى نمت، فهي أكبر البقول وتصير شجرة، حتى أن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها » [متى ١٣ : ٣١ ــ ٣٢].

(ب) النص عند مرقس : « وقال : بماذا نشبه ملكوت الله ؟ أو بأي مثل نمثله ؟ مثل حبة خردل متى زرعت في الأرض فهي أصغر جميع البزور التي على الأرض، ولكن متى زرعت تطلع وتصير أكبر جميع البقول، وتصنع أغصاناً كبيرة، حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها » [مرقس ٤ : ٣٠ ــ ٣٢].

(جـ) النص عند لوقا : « فقال : ماذا يشبه ملكوت الله ؟ وبماذا أشبهه ؟ يشبه حبة خردل أخذها انسان، وألقاها في بستانه، فنمت وصارت شجرة كبيرة وتآوت طيور السماء في أغصانها » [لوقا ٣ : ١٨ — ١٩].

* * *

وملكوت السموات

هو سيادة شريعة الله على الأرض على يد محمد ﷺ. وذلك : لأن النبي المعظم دانيال أنبأ في سفره عن قيام أربعة ممالك على الأرض. وعقب زوال المملكة الرابعة يتأسس ملكوت السموات. ولم يزل المملكة الرابعة الا محمد ﷺ. والمملكة الأولى هي مملكة بابل، والثانية هي مملكة فارس. والثالثة هي مملكة اليونان، والرابعة هي مملكة الرومان. وقد زالت دولة الرومان من أرض فلسطين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة خمس عشرة من الهجرة. يقول دانيال عقب ذكره المملكة الرابعة : « كنت أرى في رؤى الليل، واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء الى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض » [دانيال ٧ : ١٣ — ١٤] ويقول دانيال : « وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك. وهي تثبت الى الأبد » [دانيال ٢ : ٤٤] ويؤكد دانيال على أن هذا الأمر بقضاء أزلي فيقول : « ليكن اسم الله مباركاً من الأزل والى الأبد. لأن له الحكمة والجبروت. وهو يغير الأوقات والأزمنة، يعزل ملوكاً وينصب ملوكاً. يعطي الحكماء حكمة ويعلم العارفين فهما. هو يكشف العمائق والأسرار. يعلم ما هو في الظلمة وعنده يسكن النور » [دانيال ٢ : ٢٠ — ٢٢].

وقد ظهر عيسى عليه السلام في بدء احتلال دولة الرومان لفلسطين ونادى في بني اسرائيل مع يوحنا المعمدان بقولهما : « توبوا فقد اقترب ملكوت السموات » الملكوت الذي سيتأسس في العالم قريباً بعد دولة الرومان التي هي المملكة الرابعة. وقد بينا هذا بوضوح في كتابنا « البشارة بنبي الاسلام في التوراة والانجيل ».

وفي التوراة أوصاف رسول الله ﷺ في أكثر من نبوءة، وفيها اسمه المبارك « محمد » و « أحمد » بحساب الجمل.

ففي سفر التكوين في نص : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ... الخ » رمز الكاتب لاسمه المبارك بحساب الجمل بكلمة « بماد ماد » التي تعني في العربية : « كثيراً جداً ».

« بماد ماد » تساوي اثنين وتسعين ومحمد اثنان وتسعون فالباء = ٢، والميم = ٤٠، والألف = ١ والدال = ٤ والميم = ٤٠ والألف = ١ والدال = ٤ فالمجموع = اثنان وتسعون. ومحمد. الميم = ٤٠ والحاء = ٨ وفي سفر ملاخي : « ها أنذا أرسل اليكم ايلياء النبي ... الخ » [ملاخي ٤ : ٥] أن :

« ايلياء » تساوي ثلاث وخمسون وأحمد ثلاث وخمسون. فالألف = ١، والياء = ١٠ واللام = ٣٠ والياء = ١٠ والألف = ١ والهمزة = ١ فالمجموع ثلاث وخمسون. وأحمد. الألف = ١ والحاء = ٨ والميم = ٤٠ والدال = ٤ وهذا موضح في « البشارة بنبي الاسلام في التوراة والانجيل ».

ومن أوصاف رسول الله ﷺ في الأصحاح الثاني والأربعين من سفر اشعياء : « هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به في نفسي. وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للأمم. لا يصيح .ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ.

الى الأمان يخرج الحق. لا يكل ولا ينكسر، حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته.

وهكذا يقول الله الرب. خالق السموات وناشرها، باسط الأرض ونتائجها، معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحاً. أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم، لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن، الجالسين في الظلمة.

أنا الرب. هذا اسمي ومجدي، لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات.

هوذا الأوليات قد أتت، والحديثات أنا مخبر بها. قبل أن تنبت أعلمكم بها :

غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحه من أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملؤه، والجزائر وسكانها. لترفع البرية ومدنها صوتها. الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر ».

وفي الأناجيل الأربعة أوصاف محمد رسول الله ﷺ واسمه « أحمد » وفي انجيل برنابا اسمه « محمد » في أكثر من موضع.

(أ) ففي متى يقول عيسى عليه السلام : « وان أردتم أن تقبلوا. فهذا هو ايلياء المزمع أن يأتي » [متى ١١ : ١٤] أي ان أردتم ان تقبلوا شريعة جديدة غير شريعة التوراة. فهذا هو « ايلياء » سيأتي من بعدي. والآتي من بعده هو نبي الاسلام ﷺ وحروف ايلياء بحساب الجمل تساوي حروف أحمد. وفي التراجم الحديثة حذفوا همزة ايلياء.

(ب) وفي لوقا : « المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام،

وبالناس المسرة » [لوقا ١ : ١٤] وترجمتها الحرفية : اقترب السلام للأرض وينشره بين الناس أحمد. [كما في الانجيل والصليب لعبد الأوحد داود الآشوري].

(جـ) وفي انجيل يوحنا : « ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر، ليمكث معكم الى الأبد » [يوحنا ١٤ : ١٥].

والمعزي في التراجم القديمة هو « باراكليت » ومعناها : النائب عن عيسى عليه السلام. والكلمة التي نطقها عيسى عليه السلام هي « بيركليت » ومعناها : أحمد. وهي تترجم في اليونانية : « بيركليتوس » وحرف السين لا يزاد الا على الأسماء في اللغة اليونانية. ولكن النصارى يزعمون أن « بيركليتوس » هو الروح القدس. وهو الاله الثالث عندهم في عقيدة التثليث. وهم ليسوا على حق في تفسير « بيركليتوس » أو « باراكليتوس » بالروح القدس. وذلك لأن التوراة والانجيل فيهما أن خالق العالم اله واحد وهو الله لا شريك له. ففي التوراة : « اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد » [تث ٦ : ٤] ــ « لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم » [تث ٦ : ١٤] ــ « الرب الهك تتقي واياه تعبد وباسمه تحلف » [تث ٦ : ١٣] وفي انجيل يوحنا : « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت. الاله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته، أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته » [يوحنا ١٧ : ٣ ــ ٤] وفي رسائل بولس الى تيموثاوس : « أوصيك أمام الله الذي يحيي الكل والمسيح يسوع الذي شهد لدى بيلاطس البنطي بالاعتراف الحسن. أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم، الى ظهور ربنا يسوع المسيح الذي سيبينه في أوقاته : المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور لا يدنى منه. الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه.

الذي له الكرامة والقدرة الأبدية » [تيموثاوس الأولى ٦ : ١٣ — ١٦] فبولس يعترف بأن الذي يحيي الكل هو الله رب العالمين. وبأن الذي سيبين وقت ظهور سيده يسوع المسيح : هو الله رب العالمين.

* * *

أيها السلفي الفصيح تلك هي الجهة الأولى من الرد عليك.

(ب) وأما الجهة الثانية في الرد عليك. فهي من كتبه المنشورة وسنكتفي بما في « قذائف الحق ».

معلوم للناس جميعاً : أن اليهود والنصارى في هذا الزمان متعاونون معا على حرب المسلمين واذلالهم في مصر وفلسطين وغيرهما من بلاد العالم. وفي عهد الأتراك العثمانيين كان اليهود والنصارى يعيشون بين المسلمين في مصر وفلسطين ويدفعون الجزية لهم دليلاً على أنهم مسالمون. واذا دفعوا الجزية صار الكل أحراراً في البلد الواحد، في شؤون دينهم ودنياهم. ولما أسقطت الجزية عن اليهود والنصارى بحجة المساواة في الحقوق والواجبات — وهي حجة واهية — رفع النصارى رؤوسهم وطالبوا بحقوق لم تكن لهم من قبل. ويستمرون في طلب حقوق أكثر، واذا لم تنفذ، فانهم يحدثون فتناً. منتهزين فرصة ضعف المسلمين، وتربص اليهود بهم. وهذا يعلمه المصريون أكثر من غيرهم. والشيخ الغزالي رضي الله عنه يبين للنصارى : أن اثاراتهم للفتن لن تنفعهم، والخير لهم هو في أن يتعاونوا مع المسلمين ضد اليهود، ولا يخونونهم في هذا الظرف العصيب. ويبين لهم : أنهم اذا دفعوا الجزية وانصرفوا الى دينهم ومعاشهم، وخرجوا من الجيش المصري فان المسلمين لن يمسوهم بسوء. وهذا كله قد صاغه الشيخ الغزالي بأسلوب لطيف. قد تعلمه من القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿ **فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** ﴾[1].

---

(١) سورة طه الآية ٤٤.

ففي قذائف الحق

١ ـــ نقد التوراة في أول الكتاب. والتوراة هي كتاب اليهود، وهي ايضاً كتاب النصارى، ولكن المؤلف الناقد لا يدري أنها كتاب النصارى. ومن المؤكد أن نقد التوراة هو نقد للنصارى. ومن الاهانة للمرء: السخرية بكتابه الذي يقدسه وعليه يحيا. فكيف مع هذا النقد، يقول الناقد: ان الشيخ الغزالي يتودد للنصارى ؟

٢ ـــ وفي الباب الثاني تكلم عن عقائد النصارى. فنقد الأقانيم ونقد صلب المسيح، ونقد قولهم « الله محبة » ووضح أن دينهم ينتشر بالخرافات ومنها خرافة ظهور العذراء في الزيتون ـــ وهو حي من أحياء القاهرة ـــ ابان نكسة سنة ١٩٦٧ م وقال للنصارى: إن أناساً يكرهون المسلمين ويكرهونكم يوزعون منشورات لاثارة الفتن، فلا تسمعوا لهم.

٣ ـــ وفي هذا الكتاب نقد نصارى الأرثوذكس، ونصارى الكاثوليك، وذكر أن نصرانياً طعن في الاسلام. وأورد طعونه، ورد عليها.

ومن عباراته ما نصه:

(أ) « التجديد ليس أن تعجن الخالق والمخلوق في أقنوم مائع، ثم تلف حوله حارقاً البخور، نافخاً في المزمور. كلا. ان التجديد أولاً وآخراً: عقل يرفض الخرافة، وقلب يتعشق الكمال ويتطلبه ».

(ب) « أنا أعلن: أن الأمة الاسلامية تستطيع استيعاب يهود العالم أجمعين بين ظهرانيها، كافلة لهم حرية مطلقة في البقاء على عقائدهم وأداء شعائرهم، على أن يكونوا بداهة مواطنين مسالمين ـــ بدفع الجزية ـــ لا ينفعون ولا يضرون. فهل يقبل اليهود ذلك ؟ لا. انهم وثبوا على « فلسطين » ولهم غرض هائل، استقوه من تعاليم دينية محرفة، يعبر عنها « مناحم بيجين » السفاح الشهير بقوله: « مهمتنا سحق الحضارة الاسلامية، واحلال الحضارة العبرية محلها، والمهمة شاقة » في أثناء هذا

الهجوم المطالب بدمنا وديننا، نباغت بموقف شاذ خائن للكنائس الغربية، تعلن فيه صلحاً جذرياً مع اليهود، يقوم على تبرئتهم من صلب المسيح، برغم ما تقرره الأناجيل التي بأيدي القوم. ونحن نعلم : ان المسيح لم يصلبه يهودي ولا وثني. ولكن اذا كانت الكنيسة تشهد بغير ذلك، وتنسب الى اليهود ــ حسب روايات أناجيلها ــ أنهم متهمون خبثاء، وقتلة لؤماء، فما سر هذا الصلح المباغت ؟ انه اتفاق علينا وشد لأزر القتلة، وهم يخربون ديارنا ويمحون تاريخنا. وما نستطيع تجاهل هذا الاتفاق، ولا الإغضاء عن آثاره ونتائجه في أكثر من ميدان. انه جهد من سلسلة جهود متصلة، لاساءة الاسلام واهانة أمته ».

(جـ) تكلم الشيخ محمد الغزالي عن « قرص » وقال : لما شعر النصارى بتفوقهم العددي طلبوا الاستقلال تمهيداً للانضمام الى اليونان. وأن جمال عبد الناصر أيد الأسقف مكاريوس. ثم تعجب منه ومن شيوخ في الأزهر بقوله : « والمهم أن جمال عبد الناصر أيده ــ كما أشرنا آنفاً ــ وأوعز الى شيوخ الأزهر أن يقدموا له التحيات المباركات. ولا أدري كيف يقع هذا. ولكن الذي أدريه : أن زعيم القومية العربية استبعد من علماء الأزهر أن يقولوا : لا ».

(د) « شرع كثيرون من المغامرين يناوشون الاسلام والمسلمين. وكلما رأوا عودة من المسلمين الى دينهم همسوا أو صرخوا : عاد التعصب ــ الأقباط في خطر. ولا ذرة من ذلك في طول البلاد وعرضها، ولكنها صيحات مريبة، أنعشها وقواها « بابا شنوده » دون أي اكتراث بالعواقب ».

ولنكتفِ بهذا القدر. وهو كاف في رد النقد.

* * *

دية المرأة

وهذا الذي سلق الشيخ محمد الغزالي بألسنة حداد، يقول عنه : « ولقد غالى « الغزالي » في موضوع المرأة وشغل نفسه والمسلمين بكتابات كثيرة حولها يطالب بها بحقوق لا تريدها ولا تحلم بها ويزعم أن الاسلام يمنحها كل ما يتخيله « الغزالي » لها ».

وقال هذا الذي سلقه بألسنة حداد : « ان « الغزالي » لا يفهم من الشذوذ والعلة ما يفهم علماء الحديث والفقهاء وعلماء الأصول. ويغلب على الظن من تصرفاته : أنه لا يعرف ذلك ولا يتصوره ولا يستطيع تطبيقه على منهج علماء الحديث والفقهاء ».

ونقل من كتاب السنة النبوية هذه العبارات : « وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل. وهذه سوءة فكرية وخلقية، رفضها الفقهاء والمحققون. فالدية في القرآن واحدة للرجل والمرأة. والزعم بأن دم المرأة أرخص وحقها أهون زعم كاذب مخالف لظاهر الكتاب »[1].

وكتب تحتها هذا الذي سبه وشتمه ما نصه : « ان الفقهاء المحققين منهم وغير المحققين، مجمعون على هذا الحكم، لا خلاف بينهم »[2].

والرد عليه

ان الفقهاء تبعاً لأهل الحديث مختلفون في مسألتين من مسائل أحكام النساء في الجنايات :

المسألة الأولى : اذا قتل رجل امرأة خطأ. فلها دية مسلمة الى أهلها بنص القرآن. وهل ديتها تكون مساوية للرجل المقتول خطأ ؟

(١) السنة النبوية ص ١٩.
(٢) ص ٩٨ كشف موقف الغزالي.

المسألة الثانية : اذا قطع رجل يد امرأة، أو جدع أنفها. وأردنا منه القصاص، فهل نقطع يده أو نجدع أنفه أم لا، ونعوضها عن يدها أو أنفها بشيء من المال ؟

فالذي سب الشيخ محمد الغزالي وشتمه يقول في المسألة الأولى : ان الفقهاء المحققين منهم وغير المحققين مجمعون على أن دية المرأة على النصف من دية الرجل.

وقوله باطل. فان « ابن علية » و « الأصم » قالا : ديتها كدية الرجل، لقوله عليه السلام : « في النفس المؤمنة مائة من الابل » والنفس تشمل الرجل والمرأة. وذلك لقوله تعالى : ﴿ **النفس بالنفس** ﴾ فقد أجمع الفقهاء على أن الرجل لو قتل المرأة، يقتل بها لأنها نفس مماثلة لنفسه. فان قيل : لأنها تأخذ نصفه في الميراث. وهي أيضاً نصفه في الاشهاد على البيع تكون ديتها نصف ديته. فهذا قياس مع الفارق. اذ الشريعة فصلت كل حكم على حدة. والقياس لا يكون الا في غيبة النص على الحكم. وقوله تعالى : ﴿ **النفس بالنفس والعين بالعين** ... ﴾[1] يدل على مساواة المرأة للرجل في القصاص. والدية من لوازمه.

المسألة الثانية : قال القاضي أبو يوسف في كتاب الخراج : « ولا قصاص بين الرجال والنساء في العمد الا في النفس، فإن رجلاً لو قتل امرأة قتل بها وكذلك لو قتلته، قتلت به. وأما ما دون النفس فليس بينهما فيه قصاص. وفيه الأرش. حتى لو قطع رجل يد امرأة أو رجلها أو اصبعا من أصابعها أو شجها موضحة. وذلك كله عمد؛ أو كانت هي فعلت ذلك به، لم يكن بينهما قصاص »[2].

والشيخ محمد الغزالي ينقض قوله وهو : « وأما ما دون النفس فليس

(١) سورة المائدة الآية ٤٥.

(٢) ص ١٥٨ ــ ١٥٩ الخراج.

بينهما فيه قصاص » بقوله تعالى : ﴿ **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص** ﴾[1] فظاهر النص لا يفرق بين نفس المرأة ونفس الرجل. وقد خالف الظاهر كلا من الحسن وعطاء. وقالا : لا يقتل الرجل بالمرأة لقوله تعالى : ﴿ **الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى** ﴾[2] وقد رد عليهما ابن كثير في تفسيره بقوله : ان الله أنزل النفس بالنفس والعين بالعين، فجعل الأحرار في القصاص، سواء فيما بينهم من العمد، رجالهم ونساؤهم في النفس وفيما دون النفس وجعل العبيد مستويين فيما بينهم من العمد في النفس وفيما دون النفس، رجالهم ونساؤهم. أ.هـ.

* * *

أهل الذمة

ان اليهود والنصارى اذا لم يسلموا وسالموا المسلمين، فإنهم يدفعون الجزية دليلاً على خضوعهم تحت يد المسلمين. وذلك لأنهم يعرفون أن الاسلام حق، ويستكبرون على الدخول في الاسلام، لئلا يكونوا مرؤوسين، وهم يحبون الرئاسة على غيرهم.

واذا سالموا ودفعوا الجزية، وحدث أن قتل مسلم منهم يهودياً أو نصرانياً، فما الحكم ؟

يقول الشيخ محمد الغزالي السقا ــ رضي الله عنه ــ : « وحديث الآحاد يفقد صحته بالشذوذ والعلة القادحة، وان صح سنده. فـ « أبو حنيفة » يرى أن من قاتلنا من أفراد الكفار قاتلناه. فان قتل، فالى حيث ألقت. أما من له عهد وذمة، فقاتله يقتص منه. ومن ثم رفض حديث :

(١) سورة المائدة الآية ٤٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٨.

« لا يقتل مسلم في كافر » مع صحة سنده، لأن المتن معلول بمخالفته للنص القرآني وهو : ﴿ **النفس بالنفس** ﴾[1].

لاحظ قوله رضي الله عنه : « أما من له عهد وذمة ... الخ ».

والشيخ الذي سب الشيخ الغزالي وشتمه، ينقده لقوله : أنا أوافق أبا حنيفة. فقد علق على رأيه بقوله : « وعلى هذا الكلام مآخذ أذكرها، ثم أخرج الحديث وأذكر من احتج به من العلماء. وكيف دفعوا ما توهم بعض الأحناف من تعارضه مع القرآن »[2].

والرد عليه :

حديث لا يقتل مسلم بكافر رواه البخاري. وهو مخالف لقوله تعالى : ﴿ **النفس بالنفس** ﴾ والذمي بدفعه الجزية قد صارت له حرمة. وقد قال الله تعالى : ﴿ **وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً** ﴾[3] وهذا الحديث الذي رواه البخاري ورده الأحناف : ردته أحاديث غيره منها :

(أ) « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم. وهم يد على من سواهم » فيكون العبد مساوياً للحر في القصاص.

(ب) قال ﷺ : « أنا أكرم من وفى بذمته » فيكون العهد مانعاً من قتل الذمى وموجباً القصاص ممن يقتله.

واستدل الأحناف أيضاً بأنه اذا سرق مسلم من ذمي مالا، فان يد المسلم تقطع للسرقة، فكذلك في القصاص، لأن حرمة دمه أعظم من حرمة ماله.

* * *

(١) ص ١٨ السنة النبوية.
(٢) ١٠٦ كشف موقف الغزالي.
(٣) سورة الإسراء الآية ٣٤.

وقد قوي رأي الأحناف ـــ كما قواه الشيخ محمد الغزالي ـــ الشيخ محمد علي السايس في كتابه « تفسير آيات الأحكام » فقال : « والعقل يميل الى تأييد قول أبي حنيفة في هذه المسألة، لأن هذا التنويع والتقسيم الذي جعله الشافعية والمالكية، بمثابة بيان المساواة المعتبرة، قد أخرجوا منه طرداً وعكساً، الأنثى بالرجل، فذهبوا الى أن الرجل يقتل بالأنثى، والأنثى تقتل بالرجل. وذهبوا الى ان الحر لا يقتل بالعبد، ولكنهم أجازوا قتل العبد بالحر، فهذا كله يضعف مسلكهم في الآية. أما مسلك أبي حنيفة فيها فليس فيه هذا الضعف، وحينئذ يكون العبد مساوياً للحر، ويكون المسلم مساوياً للذمي، محقون الدم، على التأبيد » أ.هـ.

فالشيخ محمد الغزالي نقل عن الأحناف أنهم قالوا : ان المسلم اذا قتل كافراً معاهداً، يقتل المسلم به. لقوله تعالى : ﴿ **النفس بالنفس** ﴾ وهذا القول عام يشمل كل نفس. والكافر نفس فدخل تحت العموم. ولماذا دخل تحت العموم ؟ لأنه جاء الى المسلمين واستجار بهم وطلب منهم عهداً أن يحتمي فيهم، فعاهدوه، فصار بالعهد فيهم. والله تعالى يقول : ﴿ **وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً** ﴾[1] ومثل هذا مثل ضيف دخل بيتاً باذن صاحبه. فهل يصح الاعتداء عليه ؟

وقوله هذا داخل تحت المسألة الأصولية التي هي العموم والخصوص.

فـ ﴿ **النفس بالنفس** ﴾ عموم. وهل يخصص العموم حديث أم آية ؟ وهل دلالة العام قطعية أم ظنية ؟ واذا تعارض عموم القرآن مع نظير له في السنة فأيهما يقدم ؟ واذا فهم « موهم تعارض » في القرآن، فكيف يحل موهم التعارض ؟ هذه هي المسألة الأصولية التي كان يجب على المؤلف الناقد عرضها قبل نقده للشيخ « محمد الغزالي » في منعه قتل المسلم بالكافر.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٣٤.

وهذا هو نص كلام الفقهاء في هذه المسألة ـــ وهي مسألة حمل النص العام على النص الخاص عند التعارض ـــ :

اختلف العلماء في جواز حمل النص العام على النص الخاص عند التعارض، بناء على اختلافهم في دلالة العام. فقال البعض : ان دلالة العام ظنية. وقال الحنفية : ان دلالته قطعية. ولهذا يحمل البعض العام على الخاص، فيعملون بالخاص في ما دل عليه ويعملون بالعام في ما وراء ذلك. وأما الحنفية فلا يحملون العام على الخاص اذا تعارضا ولم يعلم تقدم أحدهما على الآخر وانما يعمدون الى الترجيح بينهما، كدليلين متعارضين بأي من طرق الترجيح، اذا تعذر الجمع. وترتب على هذا الخلاف في الأصل، اختلاف واسع في الفروع. منه : اختلافهم في حكم قتل المسلم بالكافر الذمي. فقد اتفق العلماء على أنه لا يقتل المسلم بالكافر الحربي. واختلفوا في قتل المسلم بالكافر الذمي. فذهب البعض الى ان المسلم لا يقتل بالكافر الذمي محتجين بأدلة منها : « ألا لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده » فجعلوه مخصصاً للعمومات الواردة في القرآن الكريم لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **النفس بالنفس** ﴾ وذهب الامام ابو حنيفة ـــ رحمه الله ـــ الى أن المسلم يقتل بالذمي. واحتج بعموم الآيتين السابقتين، ولم يخصصهما بالحديث السابق، وحمل لفظة الكافر الواردة في الحديث على الحربي. بدليل قوله ﷺ « ولا ذو عهد في عهده » فعدم قتل المعاهد : شرع. ومخالفة الشرع : قصاص بموجب المعاهدة.

* * *

تلك هي المسألة الأصولية يا مَن تريد أن تكون اماما على المسلمين. وأخرى مثلها. وقد بنى عليها الشيخ محمد الغزالي رأيه في الرضاع. وهي مسألة حمل المطلق على المقيد. وهي : اختلف العلماء في حمل النص

المطلق على المقيد. فقال الحنفية لا يحمل المطلق على المقيد. وترتب على هذا الاختلاف : اختلاف في عدد الرضعات المحرمة. فذهب الامام أبو حنيفة ـــ رحمه الله ـــ وعدد من العلماء الى أن المحرم في الرضاع قليله وكثيره، استناداً الى الاطلاق الوارد في قول الله عز وجل : ﴿ **وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم** ﴾[1] وقال الشافعي وأحمد ـــ في رواية عنه ـــ لا يحرم في الرضاع الا خمس رضعات، مستدلين بحديث عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ : « كان في ما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن. ثم نسخن بخمس معلومات. فتوفي رسول الله ﷺ وهن في ما يقرأ من القرآن فهما حملا الآية العامة على الحديث المقيد..

ولم يحمل الامام أبو حنيفة بناء على أصله في عدم حمل المطلق على المقيد. فالمسألة أيها الناقد مسألة أصولية. ومقررة في الكتب ومن الكتب :

١ ـــ تسهيل الوصول.
٢ ـــ سبل السلام.
٣ ـــ أثر الاختلاف في القواعد الأصولية.
٤ ـــ النهاية في غريب الحديث.
٥ ـــ دراسات في الاختلافات الفقهية ... الخ.

* * *

وقد تبين مما سبق : ان المسائل التي تكلم فيها الشيخ محمد الغزالي هي مسائل خلافية. وقد اختار فيها كما اختار الأئمة، وأول فيها ورد، كما أوّل الائمة فيها وردوا.

فما هو ذنبه ؟ ولماذا التجني عليه ؟

---

(١) سورة النساء الآية ٢٣.

مسألة الفارس والراجل

انظر أيضاً الى هذه المسألة : وهي مسألة الفارس والراجل في الحرب.

(أ) « أن رسول الله ﷺ جعل للفرس سهمين، ولصاحبه سهماً » هذه رواية نافع من البخاري. ومعناها : أن للفارس من الغنيمة ثلاثة أسهم. واحد له واثنان للفرس. أي أن البهيمة تأخذ ضعف الآدمي.

(ب) وقد روى أحمد بن منصور الرمادي : « أسهم للفرس سهمين » رواه الدارقطني وقال فيه : وهم فيه الرمادي.

(جـ) وقال الحافظ ابن حجر : « قلت : لا. لأن المعنى أسهم للفارس بسبب فرسه سهمين غير سهمه المختص به. أي أن ابن حجر يوفق بين رواية البخاري ورواية الدارقطني.

(د) وقد رواه علي بن الحسن بلفظ « أسهم للفرس » وعلى هذه الرواية يكون للفرس سهم وللراكب سهم. أي أن الآدمي قد ساوى البهيمة.

(هـ) ويقوي رواية علي بن الحسن بما أخرجه أبو داود : « فأعطى للفارس سهمين وللراجل سهماً ».

(و) وللنسائي من حديث الزبير أن النبي ﷺ ضرب له أربعة أسهم، سهمين لفرسه وسهماً لقرابته.

(ز) وقال الحافظ ابن حجر : وتمسك بظاهر رواية الرمادي بعض من احتج لأبي حنيفة في قوله : ان للفرس سهماً واحداً ولراكبه سهماً آخر. فيكون للفارس سهمان فقط. ونقل عن أبي حنيفة أنه قال : أكره أن أفضل بهيمة على مسلم. ولم ينفرد أبو حنيفة بما قال. فقد جاء عن عمر وعلي وأبي موسى ... الخ.

وفي هذه المسألة هل يعد الشيخ الغزالي مجترئاً بالكبرياء على

الحديث وأهله ومتواقحاً وقائلاً برأيه وهواه. وهو قد قال بما قال به أبو حنيفة ؟

أولاد المسلمين :

وقد رد الشيخ محمد الغزالي حديث الطفل الذي مات من الأنصار. وقال فيه النبي ﷺ : « طوبى له عصفور من عصافير الجنة » وهو قد رده ليس لأن الطفل يستحق الجنة أو لا يستحق. فإنه طفل لم يبلغ الحلم. ولم يجر عليه قلم التكليف، وإنما رده، لأنه نص في الجبر وأن الانسان مسير لا مخير. وهو يقول : ان الانسان قد خلقه الله حراً. وشراح الأحاديث بينوا أن المسألة خلافية. فقد قال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ : « وقال النووي : أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين، فهو من أهل الجنة، وتوقف فيه بعضهم لحديث عائشة ــ يعني الذي أخرجه مسلم ــ بلفظ « توفي صبي من الأنصار. فقلت : طوبى له، لم يعمل سوءاً ولم يدركه » فقال النبي ﷺ : « أو غير ذلك يا عائشة ؟ ان الله خلق للجنة أهلاً » الحديث.

انظر الى قول ابن حجر : « وتوقف فيه بعضهم » تجد أن المسألة خلافية. وهي داخلة تحت القول بالجبر لا تحت القول بالعمل. لأن الله اذا أخذ قبضة وقال هذه الى الجنة ولا أبالي، وقبضة أخرى وقال : وهذه الى النار ولا أبالي. فأي شأن للعمل اذن ؟

أولاد المشركين

توقف البخاري في شأنهم، ثم جزم بما يدل الى أنهم من أهل الجنة، واختلف العلماء قديماً وحديثاً في هذه المسألة على أقوال :

أحدها : انهم في مشيئة الله. وثانيهما : أنهم تبع لآبائهم. وثالثها : أنهم في برزخ بين الجنة والنار. ورابعها : خدم لأهل الجنة. وخامسها :

أنهم يصيرون تراباً. وسادسها : هم في النار ـــ حكاه القاضي عياض عن أحمد بن حنبل وغلطه ابن تيمية بأنه قول لبعض أصحابه ... الخ.

فيا أيها الناقد. المسألة خلافية أم لا ؟ والمسلمون مختلفون في الجبر والقدر أم لا ؟

حديث فاطمة بنت قيس

وأخبرني أيها المؤلف الناقد عن فاطمة بنت قيس. هل طلقها زوجها ثلاثاً أم مات عنها بدون طلاق أم مات عنها بعد طلاقها ؟ لو كنت تعرف هذا ما فتحت فمك بالنقد. وان كنت تعرف فأنت مشاغب.

(أ) قيل : ان اسم زوجها ابو عمرو بن حفص.

(ب) وقيل : أبو حفص بن عمرو بن المغيرة المخزومي.

هذا أولاً. وثانياً :

(أ) قيل : انه بعث اليها بتطليقة ثالثة بقيت لها، وأمر ابني عميه الحارث بن هشام وعياش بن أبي ربيعة أن يدفعا لها تمراً وشعيراً، فاستقلت ذلك وشكت الى النبي ﷺ فقال لها : ليس لك سكنى ولا نفقة.

(ب) وقع في آخر صحيح مسلم في حديث الجساسة عن فاطمة بنت قيس : نكحت ابن المغيرة وهو من خيار شباب قريش يومئذ، فأصيب في الجهاد مع رسول الله ﷺ فلما تأيمت خطبني أبو جهم [الحديث] والمراد بقولها أصيب : أي مات.

وثالثاً : (أ) جمع بعضهم بقوله : انها طلقها ثم ماتت. (ب) ورد بعضهم الجمع بأن زوجها بقي الى خلافة عمر رضي الله عنه.

ورابعاً : ردت عائشة هذا الخبر وكذبته وقالت : يا فاطمة قد قتلت

الناس ورد عمر هذا الخبر وقال : نقبل قول امرأة لا ندري أصدقت أم كذبت[1].

حديث الدجال

اعلم أولاً : أن النصارى يلقبون نبيَّنا محمداً ﷺ بأنه المسيح الدجال. وهذا واضح من رسائل الحواريين وسفر الرؤيا.

واعلم ثانياً : أن المسلمين فتحوا « القسطنطينية » في عهد السلطان محمد الفاتح ـــ رضي الله عنه ـــ وفي حديث النواس عند مسلم أنه يخرج عند فتح المسلمين للقسطنطينية. فعلى بعض الأحاديث قد ظهر الدجال. ولم تظهر منه فتنة. وعلى بعضها سيظهر. فأنت أيها الناقد على أي رأي ؟ على أنه سيظهر أم على أنه ظهر ؟ وان قلت على أنه سيظهر فاستدلالك بأحاديث. وان قلت قد ظهر، فاستدلالك بأحاديث. والعمدة في الأمور الغيبية هو على القرآن، لأن الأحاديث متعارضة وليس الأخذ بأحدها أولى من الأخذ بالآخر. فهل معك من قرآن على الدجال ؟ أما تستحيي من التشويش على القرآن بكلام ينقض بعضه بعضاً ؟ بل أما تستحي من وقوفك في وجه الشيخ محمد الغزالي وهو يريد اصلاح ما أفسده الدّهر ؟ ان في القرآن ان الساعة تأتي بغتة. ولو أتى الدجال قبلها، لما كان اتيانها بغتة. وان قلت : ستظهر الدابة لأن القرآن صرح بها، والدابة تنافي البغتة. فان قولك مردود بنص القرآن عن الدابة. وهو : **﴿ ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون * وانه لهدى ورحمة للمؤمنين * إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم * فتوكَّل على الله إنك على الحق المبين * إنك لا تُسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين * وما أنت بهادي العمى عن**

---

(١) راجع فتح الباري والمحصول للرازي.

ضلالتهم إن تسمع الا مَنْ يؤمن بآياتنا فهم مسلمون * واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾[1].

ثم استأنف كلاماً جديداً فقال : ﴿ **ويوم نحشر من كل أمة فوجا** ﴾[2] فالحديث عن بني اسرائيل، والدابة من بني اسرائيل. وملك بني اسرائيل قد انتهى من مجيء محمد ﷺ بالنبوة والرسالة. فالدابة ليس من علامات الساعة. والساعة ستأتي بغتة.

أحاديث الجبر والقدر

والشيخ محمد الغزالي رضي الله عنه لا يصرح بأن الله يجبر الناس على أعمالهم. ويقول : ان الله قد خلق الانسان حراً ليفعل ما يشاء بحرية منحها الله له. والمؤلف الذي نقده، نقده في هذه المسألة تحت عنوان نفي احاديث النطفة التي يأتي عليها اثنتان وأربعون يوماً. فغرض الشيخ محمد الغزالي من النفي هو رد القول بالجبر، وغرض الناقد اثبات القول بالجبر. وعلى ذلك فالدفاع عن شيخ الاسلام يكون في رد أحاديث الجبر كلها. أو في نفيها كلها. ولا تنحل قضية الجبر والاختيار الا مع قضية الايمان والأعمال في الدين. ومن يتكلم على الجبر أو الاختيار قبل أن يتكلم في الايمان والأعمال فإنه سيقول كلاماً غير مقنع.

وهذا هو كلامنا :

ان مذهب المعتزلة وهو أن الأعمال ركن أساسي من أركان الاسلام، وأن من يستخف به يكون فاسقاً لا تقبل شهادته ولا تنفذ ارادته، يلزم عليه : أن المسلمين العاملين بالدين كله يتحتم عليهم الخروج على الامام

---

(١) سورة النمل الآيات ٧٦ — ٨٢.
(٢) سورة النمل الآية ٨٣.

الفاسق، فلو فرض أن اماماً عليهم أقام الصلاة وفتح المساجد للعبادة، ولكنه استبعد قوانين الله من دور القضاء، فإنه على مذهبهم يكون فاسقاً يجب الخروج عليه حتى يلتزم بالاسلام كله. وهكذا يقول الخوارج. ودليلهم : هو أن الله تعالى أنزل الكتب وأرسل الرسل لا للايمان بالله وحده، بل للايمان به وللعمل بشرائعه. وأنه جعل الجنة لمن يؤمن ويعمل، لا لمن يؤمن فقط. بدليل قوله تعالى : ﴿ **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا** ﴾[1] وأن الله توعد المسلم الذي يقتل مؤمناً متعمداً بالخلود في جهنم في قوله تعالى : ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً** ﴾[2] فجعل الذنب الواحد موجباً للخلود في جهنم.

والسلف أرادوا الغاء الأعمال، لئلا يوجبوا على المسلمين الخروج على الفسقة من الأئمة والحكام. ولذلك رووا كثيراً من الأحاديث التي تدل على أن الانسان مسير لا مخير، ورووا كثيراً من الأحاديث التي تدل على أن الايمان يكفي في دخول الجنة، ورووا كثيراً من الأحاديث التي تثبت الشفاعة لعصاة المسلمين، ورووا كثيراً من الأحاديث التي تمنع المسلم من عصيان حاكمه اذا ظهر فسقه وعطل أحكام الله، ما دام يقيم الصلاة.

والمعتزلة ومن قبلهم الخوارج ما كانوا يلتفتون الى الأحاديث في شؤون الدين، وكانوا يقولون : انها كلام الرواة وليست كلام رسول الله ﷺ وكانوا يقيمون الدين على محكم القرآن ومتشابهه.

(أ) أما أن المحدثين قد رووا أحاديث الجبر وبعضهم صرح بالجبر وبعضهم لم يصرح به. فهذا دليل عليه :

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : حدثنا رسول الله ﷺ وهو

---

(١) سورة الكهف الآية ١٠٧.

(٢) سورة النساء الآية ٩٣.

الصادق المصدوق أنه يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً. ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك. ثم يبعث الله اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات. فيقول: « اكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد. فوالذي نفسي بيده. ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ».

[أخرجه مسلم في باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وابن ماجة في باب القدر، والبخاري في التوحيد].

« وفي رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: ان الله قد وكل بالرحم ملكاً. فيقول: أي رب نطفة. أي رب علقة. أي رب مضغة. فاذا أراد أن يقضي خلقاً قال الملك: أي رب ذكر أو أنثى؟ شقي أو سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه » أ.هـ.

هذا نص متفق عليه. وظاهره يلغي الأعمال والحرية من العبد لأن عمله مكتوب عليه وهو في بطن أمه. والسلف الأولون يصرحون بالجبر. أما الأشعري فلا يصرح به، مع أن هذا النص وشبهه هو دليله. والسلف من بعده أخذوا برأيه. فابن تيمية الحراني صحح أحاديث الجبر، كما صححها الأشعري. وأولها بتأويل الأشعري. وقال: « وتحقيق الكلام أن يقال: فعل العبد خلق لله عز وجل وكسب للعبد »[1].

والطحاوي يقول: « وأفعال العباد هي خلق الله وكسب من العباد »[2].

(ب) وأما أن المحدثين قد رووا أن الايمان يكفي في دخول الجنة وأن الشفاعة جائزة للعصاة، فقد روى البخاري في كتاب التوحيد قال

(١) مجموع الفتاوي ج ٨ ص ٣٨٣. (٢) شرح الطحاوية ص ٤٩٣.

النبي ﷺ : « يخرج من النار من قال : لا اله الا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال : لا اله الا الله، وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة ».

وأخرج البخاري في كتاب التوحيد عن قوم يدخلون الجنة بلا عمل : « فيدخلون الجنة. فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الرحمن. أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه » وفي هذا الحديث أيضاً : أن الله تعالى يكشف عن ساقه. « فيكشف عن ساقه. فيسجد له كل مؤمن ».

وأخرج البخاري في كتاب التوحيد أن الله تعالى يقول : « ارفع محمد. وقل يسمع، واشفع تشفع وسل تعط. قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه. قال : ثم اشفع فيحد لي حداً. فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة : وسمعته أيضاً يقول : فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ».

وأخرج أيضاً : « فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال : لا اله الا الله. فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي : لأخرجن منها من قال : لا اله الا الله ».

وأخرج مسلم في باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى : « ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار. وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة. فيقول : أي رب اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها. فيدعو الله ما شاء أن يدعوه. ثم يقول الله تبارك وتعالى : هل عسيت أن فعلت ذلك بك أن تسألني غيره ؟ فيقول : لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهده ومواثيق ما شاء الله. فيصرف الله وجهه عن النار. فاذا أقبل على الجنة ورآها، سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول : أي رب قدمني الى باب الجنة ... قال : ادخل الجنة ».

وروى مسلم من حديث طويل : « هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ».

(جـ) وروى أهل الحديث أن الحاكم الفاسق لا يجب الخروج عليه. فقد أخرج مسلم في كتاب الامارة عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « انه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون. فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع. فقالوا : يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال : لا. ما أقاموا فيكم الصلاة » فقد نهى ﷺ عن قتال الأئمة والحكام ولو كانوا جائرين ما داموا يقيمون الصلاة.

وأخرج مسلم في كتاب الامارة عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله. الا أن يروا كفرا بَوَاحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم » فقد نهى ﷺ في هذا الحديث عن منازعة الأئمة الأمر، ما لم يكفروا.

وأخرج مسلم في كتاب الايمان أن سلمة بن يزيد الجعفي سأل النبي ﷺ فقال : يا نبي الله أرأيت أن قامت علينا أمراء، يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا. فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه ﷺ ثم سأله الثانية والثالثة. فجذبه الأشعث بن قيس. فقال ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا. فانما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم ».

وروى الترمذي في كتاب الفتن : « أدوا اليهم حقوقهم، وأسألوا الله حقوقكم ».

فعلى مذهب السلف : لا يصح في عصرنا هذا الخروج على حكام المسلمين في أي بلد من البلاد. مع أنهم معطلون للشريعة. وذلك لأنهم يفتحون المساجد ويصلون صلاة الجمعة وعيد الفطر والأضحى في مواكب رسمية ويزورون أضرحة الموتى.

فسبب هجران الناس لمذهب المعتزلة : هو أنهم يميلون الى الانفلات من قيود الشرع الى ما تهوى الأنفس. والأئمة يعلمون أنه هو المذهب الحق. ولكن لأن العوام لم يفهموا كثيراً من مسائل مذهبهم، قام السلف بارضائهم، وذلك بآراء توافق عقولهم، وتناسب مداركهم وكيف يصح هذا من الحكام والناس والله تعالى يقول : ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** ﴾[1].

أما في دنيا الناس وواقع حياتهم. فان الناس يعملون بمذهب المعتزلة وهم لا يشعرون. فإنهم يجازون المرء على عمله. فيحاسبونه ان قصر، ويثنون عليه ان أحسن، ويكافئونه اذا عمل عملاً نافعاً. ويوبخونه ان تهاون في عمله. وهذا منهم يدل على اعترافهم بأن الانسان مخير لا مسير، وأنه حر في عمله، ان شاء فعل وان شاء ترك. بل المرء يحس في نفسه بأنه يقدر أن يفعل ويقدر أن لا يفعل. وهكذا خلقه الله. ويستنكر الناس أن يفلت الظالم من يد الله في الدنيا أو في الآخرة. ويدعون عليه في صلواتهم. ويثور الناس على الظالمين في كل مكان، بعمل الاضرابات عن العمل وتعطيل مرافق الدولة وخلع الحاكم الظالم، مع أنهم من أهل الحديث. وذلك لأن الثورة على الفساد والظلم والخروج على الشريعة أمر فطري مركوز في طبائع الناس. والله تعالى ما أنزل الشرائع على ضد ما خلق.

* * *

أحاديث ساق الله تعالى

واني أعيب على المؤلف الناقد ذكره المسألة الخلافية ناقصة، وأخذه

(١) سورة البقرة الآية ٨٥.

في المسألة الخلافية بما يوافق مذهبه لا بما يوافق الحق في حد ذاته.

فمفسِّرو القرآن وشراح الأحاديث اذا ذكروا مسألة فيها خلاف، يذكرونها كاملة، ثم يقوون الرأي الذي يرونه قوياً من وجهة نظرهم. أما هذا المؤلف الناقد فانه يعرض المسائل ناقصة، ويقوي الرأي الذي يتفق مع مذهبه فقط. وهذا لا يليق بأهل العلم.

ومثال ذلك : حديث ساق الله تعالى. فان العلماء فيه على ثلاثة آراء. منهم من يرده، ومنهم من يأخذه على ظاهره، ومنهم من يؤوله. وعليه. فان الاجماع منتفٍ عن هذه المسألة. ولكن الناقد طرح المنهج العلمي وراء ظهره. ودندن حول رأي واحد ليوهم المسلمين أنه على الحق.

في تفسير القرطبي ما نصه يا أيها المؤلف :

« وقرأ ابن عباس : يوم تكشف عن ساق » بتاء مسمى الفاعل. أي تكشف الشدة أو القيامة عن ساقها، كقولهم : شمرت الحرب عن ساقها. قال الشاعر :

فتى الحرب ان عضت به الحرب عضها
وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وعن ابن عباس أيضاً والحسن وأبي العالية « تكشف » بتاء غير مسمى الفاعل. وهذه القراءة راجعة الى معنى « يكشف » وكأنه قال : يوم تكشف القيامة عن شدة. وقرئ « يوم تكشف » بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف اذا دخل في الكشف ومنه أكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا. وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا أسامه بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾[1] قال : عن كرب وشدة. أخبرنا ابن جريح عن مجاهد قال : شدة الأمر

---

(١) سورة القلم الآية ٤٢.

وجده. وقال مجاهد : قال ابن عباس : هي أشد ساعة في يوم القيامة. وقال أبو عبيدة : اذا اشتد الحرب والأمر، قيل : كشف الأمر عن ساقه والأصل فيه : ان من وقع في شيء يحتاج فيه الى الجد، شمر عن ساقه، فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة. وقيل : ساق الشيء أصله الذي به قوامه، كساق الشجرة وساق الانسان. أي يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصلها. وقيل : يكشف عن ساق جهنم، وقيل : عن ساق العرش. وقيل : يريد وقت اقتراب الأجل وضعف البدن. أي يكشف المريض عن ساقه ليبصر ضعفه ويدعوه المؤذن الى الصلاة فلا يمكنه أن يقوم ويخرج. فأما ما روي : أن الله يكشف عن ساقه، فانه عز وجل يتعالى عن الأعضاء والتبعيض وأن يكشف ويتغطى. ومعناه : أن يكشف عن العظيم من أمره ... الخ ».

التعليق

كان يجب على المؤلف الناقد أن يذكر هذا الرأي، ليظهر للناس أنه منصف.

حديث فقء موسى لعين ملك الموت

وقدامى المحدثين كانوا أحسن حالاً من هذا الناقد، فانهم كانوا اذا رأوا حديثاً يوهم الجسمية لله ــ عز وجل ــ يحاولون تأويله ولو بتعسف وتكلف. فهذا في نظرهم أحسن من رد الحديث، وأحسن من اثبات التجسيم. ولكن من أتى من بعدهم لم يفطنوا الى أغراضهم، وأفسدوا عليهم تأويلاتهم. وقد اقتدى بهم هذا المؤلف.

ففي حديث فقء موسى لعين ملك الموت. قال الأقدمون : المراد بفقء العين هنا : المجاز. يعني : أن موسى عليه السلام ناظره وحاجه، فغلبه بالحجة. يقال : فقأ عين فلان، اذا غلبه بالحجة. هذا هو تأويلهم مع

علمهم بأن في آخر الحديث : « فرد الله عليه عينه » ولكن من أتى من بعدهم تعقبوهم وقالوا : التأويل باطل لقوله : « فرد الله عليه عينه » غافلين بقولهم هذا من غرض الأقدمين، ولما رأى المنزهون لله عن الجسمية صنيع المتأخرين. مالوا الى رد الحديث. لأن رد حديث هو آحاد افضل بكثير من اثبات الجسمية لله عز وجل.

ومثله : « خلق الله آدم على صورته » فقد أولوه ليبعدوا الجسمية عن الله. ولكن من أتى من بعدهم ردوا التأويل بقولهم : ان في بعض الأحاديث : « على صورة الرحمن ».

وفي التوراة ما نصه : « وقال الله : نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا ... فخلق الله الانسان على صورته. على صورة الله خلقه » [تك ١ : ٢٦].

حديث رد الشمس لـ « يشوع »

وحديث « رد الشمس » ليشوع بن نون فتى موسى عليه السلام مذكور[1] في سفر يشوع ــ وهو سفر من أسفار التوراة العبرانية واليونانية ــ وهذا نصه : « حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بني اسرائيل. وقال أمام عيون اسرائيل : يا شمس دومي على جبعون، ويا قمر على وادي أيلون. فدامت الشمس ووقف القمر، حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوباً في سفر ياشر ؟ فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل » [يشو ١٠ : ١٢ ــ ١٣].

هذا هو النص على توقف الشمس والقمر ليشوع. وكاتب سفر يشوع

(١) في التوراة يشوع. وفي الحديث : يوشع.

نقله من سفر ياشر وسفر ياشر مفقود. فالخبر غير موثق. هذا من ناحية أصل الخبر. واما من ناحية الأحاديث :

١ ـ في كتب الحديث : أن الشمس ردت لسليمان عليه السلام فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن سليمان اشتغل بعرض الأفراس للجهاد حتى توارت. أي غربت الشمس بالحجاب فقال بأمر الله للملائكة الموكلين بالشمس : (ردوها) يعني الشمس. فردوها، حتى صلى العصر في وقتها. هذا ذكره القرطبي رحمه الله وضعفه.

٢ ـ وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين : أن النبي ﷺ كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس. فقال رسول الله ﷺ : « أصليت يا علي » ؟ قال : لا. فقال رسول الله ﷺ : « اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس » قالت أسماء : فرأيتها غربت، ثم رأيتها بعد ما غربت، طلعت على الجبال والأرض. وذلك بالصهباء في خيبر. قال الطحاوي : وهذا الحديث ثابت ورواته ثقات. وضعفه أبو الفرج بن الجوزي.

٣ ـ وردت الشمس يوم الخندق على النبي ﷺ وقيل : ان الحديث ضعيف وقيل انه موضوع.

٤ ـ وحبست الشمس يوم العير في قصة الاسراء والمعراج مقدار ساعة.

٥ ـ وجاء في الحديث الصحيح : « لم تحبس الشمس على أحد الا ليشوع بن نون ».

٦ ـ ووقع لموسى عليه الصلاة والسلام تأخير طلوع الفجر حتى يفرغ من أمر يوسف عليه السلام ويأخذ تابوته معه.

٧ ـ واختلفوا في حبس الشمس يوم العير. فعلى ما قاله ابن اسحق

كان حبس الشمس لنبينا صبيحة الاسراء حين انتظروا العير التي أخبر ﷺ بقدومها عند شروق الشمس في ذلك اليوم. ومقتضى قول السدي : ان الشمس كادت تغرب قبل أن يقدم ذلك العير. فدعا الله فحبسها. ان ذلك كان قبيل غروب الشمس والقصة واحدة.

فانظر الى هذه الأخبار كلها يا أيها المؤلف الناقد. ودقق النظر جيداً. هل ترى من توافق على الحادثة الواحدة ؟

١ ــ وردت ليشوع.

٢ ــ وردت لسليمان.

٣ ــ وردت لعلي بن أبي طالب.

٤ ــ وردت للنبي في الخندق.

٥ ــ وردت للنبي في العير.

هذا كله مع ما ورد : « لم تحبس الشمس على أحد الا ليشوع بن نون » وعلى ما في هذا الحديث فان حبسها للنبي ﷺ باطل. وكذلك حبسها لسليمان وعلي. وان ضعفناه. يكون الحبس للنبي وغيره. فأي النصين صحيح ؟ ومع هذا كله فالأخبار التي وردت كلها : أخبار آحاد. لا فرق بين الصحيح منها وغير الصحيح. وقد قال الامام فخر الدين الرازي عملاً بقاعدة أصولية وهي أن الحوادث التي تتوفر الدواعي على نقلها، لا يقبل فيها الا الخبر المتواتر « وأما الآحاد فلا يقبل وان كان الخبر صحيحاً. وذلك لأن الحديث المروي آحاداً في تلك الحوادث التي تتوفر الدواعي على نقلها يكون منقطعاً في المعنى. لأن الشمس لو رجعت بعد الغروب، لكن مشاهداً لكل أهل الدنيا. ولو كان كذلك لتوفرت الدواعي على نقله، وحيث لم ينقله أحد علم فساده » أ.هـ.

* * *

واعلم : أن المفسرين قد أخطأوا في نسبة حادثة الخيل لسليمان، فانها لداود وليست لسليمان. وبيان ذلك :

قال تعالى : ﴿ **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد أنه أواب * اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد * فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب * ردُّوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق * ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً** ... ﴾[1].

تبين الآيات الكريمات :

(أ) أن الله وهب لداود سليمان.

(ب) ولماذا وهب لداود ؟ لأنه « نعم العبد » ولماذا مدحه الله بنعم العبد ؟ لأن داود أواب. فقد قال تعالى عنه : ﴿ **انا سخّرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق * والطير محشورة كلٌّ له أواب** ﴾[2] فداود هو صاحب القصة لأنه قال في أول الحديث عنه : ﴿ **واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أوَّاب** ﴾[3] وقال في نهاية الحديث عنه : ﴿ **نِعْمَ العبد انه أوَّاب** ﴾[4].

(جـ) وقد عرضت عليه الخيل بالعشي، حتى توارت بالحجاب.

(د) وأنه قال عن الخيل: ردُّوها عليَّ. وبعد نهاية القصة تحدث عن سليمان ابنه ــ عليهما السلام ــ فقال : « ولقد فتنا سليمان » فالحديث الذي يذكر ان رد الشمس كان لسليمان حديث باطل. وفي التوراة ان القصة لداود. وقد ذكرناها في غير هذا الكتاب[5].

---

(١) سورة صٓ الآيات ٣٠ ــ ٣٤.

(٢) سورة صٓ الآيتان ١٨ ــ ١٩.

(٣) سورة صٓ الآية ١٧.

(٤) سورة صٓ الآية ٣٠.

(٥) كتاب اعجاز القرآن ــ رد على كتاب الفن القصصي في القرآن الكريم ــ نشر الانجلو المصرية بالقاهرة.

حديث الذبابة

ومن الأحاديث التي عابها الناقد على الشيخ محمد الغزالي : حديث الذبابة.

والرد عليه : ان الشيخ محمد الغزالي لم ينكر حديث الذبابة ــ كما حكى عنه الناقد ــ وهذه هي عبارته في قذائف الحق : « وأنا شخصياً متوقف في هذا الحديث، لم أنته فيه الى حكم حاسم » فهل هذه العبارة تفيد رد الحديث ؟ وقد قال الشيخ الغزالي قبلها كلاماً يصح أن يكتب بماء الذهب. وقال بعدها كلاماً يبكت مثل الناقد ويخزيه على ما فرط في جنب الله.

وهذا نص كلامه : « اريد أن أقرر حقيقة اسلامية ربما جهلها البعض : هل رفض حديث آحاد لملحظ ما، يعد صدعاً في بناء الاسلام ؟ كلا. فان سنن الآحاد ــ عندنا ــ تفيد الظن العلمي. انها قرينة تستفاد منها الأحكام الفرعية في ديننا. فاذا وجد الفقيه، أو المحدث أن هناك قرينة أرجح منها، تركها الى الدليل الأقوى دون غضاضة. وتعريف الحديث الصحيح : « ألا تكون فيه علة قادحة » فاذا بدت علة في « سنده » أو « متنه » تلاشت صحته ولا حرج. وأئمة الفقه الاسلامي بنوا اجتهادهم على هذا النظر الصائب.

(أ) فأبو حنيفة ــ مثلاً ــ رفض أن يترك المسلم اذا قتل كافراً دون قصاص ــ بقصد المعاهد أو الذمي ــ وتجاوز حديث البخاري في ذلك : « لا يقتل مسلم في كافر » واعتمد في مذهبه على آية ﴿ **النفس بالنفس** ﴾.

(ب) ومالك كره أن يتنفلّ المصلي قبل فريضة المغرب، ولم يلتفت لما رواه البخاري في ذلك من استحباب ركعتين لمن شاء. ورأيه هذا يرجع الى أن عمل أهل المدينة أدل على السنة من حديث آحاد. وهم لا

يتنفلون قبل المغرب. فاتباعهم أولى من رواية البخاري.

(جـ) وأبو حنيفة ومالك ــ جميعاً ــ يكرهون أن يصلي المرء تحت المسجد والامام يخطب يوم الجمعة. ويردون ما رواه البخاري في ذلك بردود شتى.

وأغلب الأئمة يرفض ما روي في الصحيح من أن رضاعة الكبار تثبت حرمة المصاهرة ويرون أن الرضاعة المثبتة للحرمة : ما كان في فترة الطفولة، أي : ما أنبت اللحم وشد العظم.

ولا نريد أن ننتقل الى مباحث فقهية مفصلة. وإنما نريد أن نقول : هب أن رجلاً قال : لا أستطيع قبول رواية : « اذا وقع الذباب في شراب أحدكم، فليغمسه، ثم لينزعه، فإن في احدى جناحيه داء والأخرى شفاء » أيكون من الكافرين ؟ كلا. فلم يقل أحد : أن أركان الاسلام تضم الايمان بالله واليوم والآخر وغمس الذباب في الشراب اذا سقط فيه. وحديث الآحاد ليس مصدر عقيدة شرعية، أو حكم قاطع. بيد اني من باب استكمال البحث العلمي فقط أسأل : هل الحديث مردود ؟ ان بعض علماء الحشرات قرر : ان هذه الحشرة تفرز الشيء، والشيء المضاد له. فان استقر هذا الرأي ــ الفني ــ فالحديث صحيح، وان ثبت قطعاً ان الذباب مؤذ في جميع الأحوال التي تعرض له ــ ومن بينها الحالة المروية في الحديث ــ رددته دون غضاضة. وليس بقادح هذا في ديني ولا يقيني. وقد روى « البخاري » أحاديث صحيحة السند، لكن أئمة الفقه عملوا بغيرها لأدلة أقوى ــ عندهم ــ منها وأنا شخصياً متوقف في هذا الحديث، لم أنته فيه الى حكم حاسم. وعلى أية حال فهو لا يتعلق بسلوك خاص أو عام » أ.هـ.

انتهى كلامه بنصه. والحق معه. فان أحداً من الناس اذا كان أمامه كوب ماء، وسقطت فيه ذبابة، فانه يعاف شربه ولا يستسيغه. بل ان من الناس من طبعه.

اذا وقع الذباب على طعـــام رفعت يدي ونـفسي تشتهيــــه
وتمتنـــــــــع الأسود ورود ماء اذا كان الكـلاب ولغـن فيــــه

وهذا هو محمد ﷺ يقدم له الضب فلا تستسيغه نفسه ويقول : « ليس في طعام قومي فنفسي تعافه » ولم يحرمه. وأكله غيره وهو خالد ابن الوليد ــ رضي الله عنه ــ.

بل ان « الحمار الأهلي » محرم أكله في رواية. ومحلل أكله في رواية. فليكن شراب الذباب كلحم الحمار، مختلف فيه. فالامام أحمد شيخ المؤلف الناقد حرم لحم الحمار الأهلي[1]. والامام مالك إمام دار الهجرة لم يحرم أكله لمن يريد.

والقرآن حرم :

(أ) من المطعومات : الميتة والدم ولحم الخنزير والمذبوح للاوثان. حرم أربعة أشياء.

(ب) ومن المشروبات : الخمر. وسكت عن تحريم الشراب الذي وقع فيه ذباب والذي لم يره ذباب. بل سكت عن تحريم لحم الذباب. والمسكوت عنه مباح اذا استساغته النفس. فلماذا يكفر بعضنا بعضاً بكلام رواة قد يصدقون، وقد لا يصدقون ؟

(أ) عن المقدام بن معدي كرب ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا اني أوتيت القرآن ومثله معه. ألا يوشك رجل

---

(١) من اصول الامام أحمد : الاخذ بالمرسل والحديث الضعيف اذا لم يكن في الباب شيء يدفعه. وهو الذي رجحه على القياس ... ولم يكن يقسم الحديث الى صحيح وحسن وضعيف، بل الي صحيح وضعيف .. وقال « الخلال في « الجامع » : لا يحتج بحديث ضعيف في المأثم ــ أي في المحرمات ــ وقال : مذهب أحمد : القول بالحديث الضعيف أو المضطرب اذا لم يكن له معارض [ص ١١٦، ٢١٣ المدخل لابن بدران / تصحيح الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي].

شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه. وان ما حرم رسول الله كما حرم الله. ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد الا أن يستغني عنها صاحبها. ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه. فان لم يقروه. فله أن يعاقبهم بمثل قراه ».

رواه أبو داود والترمذي والحاكم وأحمد.

(ب) قال ابن جرير : حدثنا المثنى حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها : انها كانت لا ترى بلحوم السباع بأسا. وقال الحميدي : حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار قال : قلت لجابر بن عبد الله أنهم يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر، فقال : قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو، عن رسول الله ﷺ ولكن أبى ذلك البحر — يعني ابن عباس — وقرأ : ﴿ **قل لا أجد في ما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه** ﴾[1] الآية. وكذا رواه البخاري عن علي بن المديني وروى عن ابن عمر أنه سئل عن لحوم السباع. فقال : لا بأس بها. فقيل له : حديث أبي ثعلبة الخشني ؟ قال : لا ندع كتاب الله ربنا، لحديث أعرابي يبول على ساقيه. وسئل الشعبي عن لحم الفيل والأسد. فتلا هذه الآية. وقال القاسم : كانت عائشة تقول لما سمعت الناس يقولون حرم كل ذي ناب من السباع : ذلك حلال، وتتلو هذه الآية : ﴿ **قل: لا أجد في ما أوحي الي محرماً** ﴾.

انتهينا من الكلام الذي قبل عبارة الامام. ولنبدأ في الكلام الذي بعدها. وهو أنه في صفحة مائة وست وثلاثين وجه اللوم الى العلماء في تعطيلهم شريعة الله من الحكم بها بين الناس. فقال :

---

(١) سورة الانعام الآية ١٤٥.

سبب تعطيل شريعة الاسلام

« تأمل في هذه القصة التي ذكرها الشيخ الكبير محمد رشيد رضا. قال : ان الخديوي اسماعيل، استدعى « رفاعة الطهطاوي » وخاطبه : « يا رفاعة. أنت أزهري تعلمت في الأزهر وتربيت به. وأنت أعرف الناس بعلمائه وأقدرهم على اقناعهم بما ندبناك له. ان الفرنجة قد صارت لهم حقوق ومعاملات كثيرة في هذه البلاد، وتحدث بينهم وبين الأهالي قضايا. وقد شكا الكثيرون الي : أنهم لا يعلمون أيحكم لهم أم عليهم في هذه القضايا ؟ ولا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم. لأن كتب الفقه التي يحكم بها علماؤنا معقدة وكثيرة الخلاف. فاطلب من علماء الأزهر أن يضبطوا كتاباً في الأحكام المدنية الشرعية، تشبه كتب القانون في تفصيل المواد واطراح الخلاف، حتى لا تضطرب أحكام القضاة، فان لم يفعلوا وجدتني مضطراً للعمل بقانون « نابليون » الفرنسي.

قال رفاعة الطهطاوي ــ مجيباً الخديوي ــ يا افندينا. اني سافرت الى أوربا وتعلمت فيها وخدمت الحكومة وترجمت كثيراً من الكتب الفرنسية. وقد شخت وبلغت الى هذه السن، ولم يطعن في ديني أحد، فاذا اقترحت الآن هذا الاقتراح بأمر منكم، طعن علماء الأزهر في ديني، وأخشى أن يقولوا : ان الشيخ رفاعة ارتد عن الاسلام آخر عمره. اذ يريد تغيير كتب الشريعة وجعلها مثل كتب القوانين الوضعية. فأرجو أن يعفيني افندينا من تعرض نفسي لهذا الاتهام، لئلا يقال : مات كافراً. فلما يئس الخديوي، أمر بالعمل بالقوانين الفرنسية ».

انتهت القصة. وقد علق عليها الشيخ محمد الغزالي بقوله : « والقصة المحزنة تحكي فساد الأمراء والعلماء جميعاً » أ.هـ.

هذا كلام شيخ الاسلام في تعطيل الشريعة من الأمراء والعلماء. علماء يتركون المهم من أمر دينهم وينشغلون بحديث الذبابة هل هو صحيح أم غير صحيح. هل يرجى منهم اصلاح الدين لا صلاح الأمة ؟

في أيام معركة ١٩٦٧ م كانت الصفحات الدينية في بعض الجرائد تناقش حديث الذبابة. فهل كان الوقت مناسباً للمناقشة فيه ؟

لو كنت أنا مكان الشيخ رفاعة. لفعلت الآتي :

١ ــ كنت أضع معنى الحكم الشرعي الثابت من القرآن تحت بند من البنود.

٢ ــ وكنت أضع تحته الحديث الوارد في تفسيره.

وأقدم الشريعة كلها في كتاب واحد مشتملاً على معنى الحكم وعلى تفسير معنى الحكم. وأقنع العلماء بأن هذا هو المناسب في ذلك الزمان. ولئن قالوا : وبقية الأحاديث التي تشرع تشريعاً مستقلاً عن القرآن. أي الأحاديث المنشأة. ماذا نفعل فيها وفيها أحاديث صحيحة ؟ لئن قالوا هذا فان الاجابة المقنعة والملزمة هي : ائتوا بها واتفقوا على صحتها. كما اتفقتم على صحة القرآن وما يفسره. ولن يتفقوا. لأن أصحاب المذاهب الأربعة لم يتفقوا على صحتها ولا على عددها. ثم يقال لهم : لو كان لأحدكم مائة دينار على ظالم وهو لا يريد الا دفع خمسين تقبلون الخمسين أم تتركون الحق كله ؟ ان الحاكم في ذاك الزمان لا يريد الشريعة. فعليكم أن تتحايلوا بالمتفق عليه ريثما تقدرون على اقرار المتفق عليه والمختلف فيه. ولكم في السابقين قدوة. فالامام الشاطبي ــ رحمه الله ــ يمنع العمل بغير المفسر من الأحاديث في التشريع، وغيره لا يمنع. وأخذ بعض الحق أفضل من ترك الحق كله.

* * *

الاساءة الى الأئمة

وقال هذا الذي سب الامام محمد الغزالي : ان الشيخ الغزالي « يسيء الى الأئمة أهل الصحاح، والى الامام عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل ... الخ ».

والرد عليه

الاساءة الى أئمة أهل الحديث إما أن تكون اساءة لغرض ديني، وإما أن تكون اساءة لغرض شخصي. والشيخ محمد الغزالي ليس بينه وبين أهل الحديث قرابة نسب أو مصاهرة. وليسوا هم الآن أحياء بيننا حتى نثبت العداوة للأغراض الشخصية. فإن أساء على حد تعبير هذا المؤلف الذي يسبه ويشتمه، فإنما يسيء لرواياتهم ما يطعن في شخص النبي ﷺ وزوجاته الكرام — رضوان الله عليهن — وما يهز الثقة في القرآن الكريم لروايتهم أن فيه آيات مروية بالآحاد، وآيات كانت منه ثم نسخت، وأن صحفاً من القرآن كانت تحت سرير عائشة فأكلتها الداجن — أي أتلفتها الحيوانات الأليفة — ورواياتهم أحاديث متناقضة، وأحاديث هي ضد القرآن في المعنى.

والشيخ محمد الغزالي صرح بقوله : « وأؤكد أولاً وآخراً : أنني مع القافلة الكبرى للاسلام. هذه القافلة التي يحدِّدها الخلفاء الراشدون والأئمة المتبعون والعلماء الموثقون ... الخ »(١).

وتصريحه هذا لا يدل على اساءة شخصية لأي امام من الأئمة المعظمين في الدين. وإنما هو تبرئة من أهل الأهواء والبدع. وأنتم أيها السلفيون، وأنت أيها المؤلف تسيئون الى خصومكم. تسيئون الى الأشاعرة وهم مثلكم آخذون بالحديث في العقائد والفقه. وأدلتكم في العقائد هي أدلتهم في العقائد. بل أثر عن الأشعري أبي الحسن صاحب المذهب كما روى الشهرستاني أنه لم يؤول في آيات الصفات مثلكم وأثر عنه أنه أول. وله كتابان أحدهما فيه أنه أوَّلَ وهو اللمع. وثانيهما فيه أنه لم يؤول وهو الابانة. هذا الامام وأتباعه تسيئون اليهم مع أنهم منكم. فلماذا تسيئون ؟

(١) ص ١١ — ١٢ السنة النبوية.

التطاول على الإمام أبي حنيفة

وقال مؤلف الكشف : « ان « الغزالـي » لا يعـرف أن الفقهـاء والأصوليين لا يشترطون نفي الشذوذ والعلة، وأن هذا من ميـزات المحدثين، ولذا تجد كتب الفقه قد اكتظت بالأحاديث الواضحـة الضعف، وبالأحـاديث الشاذة والمعللـة، بل والموضوعـات أحيانـاً » ص ٨٠.

أي أنه اعترف بأن فقهاء أهل السنة الأربعة بنوا فقههم على كلام الناس، لا على كلام الله.

وقال مؤلف الكشف : « وعائشة لم تضع منهجاً لرد الأحاديث الصحيحة، بل هو تصرف فردي، اتضح خطؤه » ص ٨٧.

أي أن التي قال فيها النبي ﷺ : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » وصفها بأن نصف الدين عنها مشكوك فيه.

وقال مؤلف الكشف : « وحاشا الصحابة والتابعين أن يضعوا منهجاً، لرد الأحاديث الصحيحة » ص ٨٧.

أي أن الصحابة والتابعين نقلوا الدين الى من بعدهم نقلاً غير صحيح وغير موثق.

وبعد ما قال هذا الكلام الذي يهد الدين هداً، تطاول على الأئمة الأربعة، على جهة العموم وتطاول على أبي حنيفة على جهة الخصوص فقال : « أن أئمة الفقه، بما فيهم أبو حنيفة، لم يضعوا قواعد ولا مناهج لرد الأحاديث الصحيحة » ص ٨٧.

ومعنى كلامه : أن أئمة الفقه الزموا الناس بأعمال لا سند لها من الصحة.

وفرق بين فقه أبي حنيفة، وفقه الأئمة الثلاثة بقوله : « والذي يعرفه

الفقهاء والمحدثون : أن أصول المحدثين هي عينها أصول الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد — رضوان الله عليهم — وأما أبو حنيفة — رضي الله عنه — فتختلف أصول مذهبه شيئاً ما، مع أصول الأئمة » ص ٨٧.

ثم اتهم أصحاب أبي حنيفة بأنهم ردوا أحاديث نبوية لأنها تخالف مذهبهم فقال : « لكن المتعصبين من الأحناف هم الذين وسعوا الشقة، ووضعوا أصولاً، لرد الأحاديث التي تخالف مذهبهم » ص ٨٧.

يريد أن يقول : انهم ردوا أحاديث صحيحة، وبذلك يكونون خارجين عن جماعة المسلمين، لأن الأحاديث متساوية مع القرآن في الحجية عنده ومن يرد الأحاديث كمن يرد القرآن — في نظره — ومن يرد القرآن فهو كافر، فالأحناف كافرون. وهذا هو غرضه من الكذب على أبي حنيفة وأتباعه.

والرد عليه

أقول كما قال مصلح الدين وامام المسلمين : ان أبا حنيفة النعمان امام من خيرة الأئمة وفقيه من أعظم الفقهاء، وشيخ من أجل الشيوخ.

لقد زان البلاد ومن عليها ... امام المسلمين أبو حنيفه
بآثار وفقه في حديث ... كآيات الزبور على الصحيفه
فما بالمشرقين له نظير ... ولا بالمغربين ولا بكوفه
فقيها كان في الاسلام نورا ... أمينا للرسول وللخليفه
فلعنة ربنا أعداد رمل ... على من رد قول أبي حنيفه

وهو مثل غيره من الأئمة الأربعة في قبول الأحاديث أو رفضها. فقد قال : « اذا صح الحديث فهو مذهبي »[1] وقال الامام مالك رحمه الله : « انما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب

(١) ابن عابدين في الحاشية ١ : ٦٣.

والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة، فاتركوه »[1] وقال الامام الشافعي رحمه الله : « اذا صح الحديث فهو مذهبي »[2] ويقول الامام أحمد رحمه الله : « أنتم أعلم بالحديث والرجال مني، فاذا كان الحديث الصحيح، فأعلموني به. أي شيء يكون ؟ كوفياً أو بصرياً أو شامياً، حتى أذهب اليه اذا كان صحيحاً »[3].

فأي فرق بين الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان وبين الأئمة الثلاثة في قبول الأحاديث أو رفضها ؟ هذا من جهته.

وأما من جهة المذهب

فان الأئمة الأربعة عملوا قواعد أصولية، وأدرجوا تحتها أحكاماً فرعية ومذهب أبي حنيفة داخل تحت القواعد الأصولية والأحكام المتفرعة عنها، مثل غيره. وسأذكر أمثلة لأخزي الناقد وأبكته :

١ ــ القاعدة الأصولية : وهي اختلافهم في حجية عمل أهل المدينة. وقد خالف الجمهور مالكاً رحمه الله فيها. وتبعاً للاختلاف في هذا الأصل، نشأ اختلاف بين العلماء في الأحكام الفرعية. ومن ذلك قول مالك بعدم توريث ذوي الأرحام، وخالفه في ذلك الحنفية والحنابلة.

٢ ــ القاعدة الأصولية وهي اختلافهم في حجية مفهوم المخالفة. ومثاله قول الرسول ﷺ : « مطل الغني ظلم » فيؤخذ من مفهومه المخالف : أن تأخير المعسر لوفاء الدين لا يعتبر ظلماً. وقال الجمهور بالاحتجاج به بشروط معينة، وذهب الحنفية وبعض العلماء الى عدم صلاحيته للاحتجاج به في كلام الشارع. ونشأ عن الخلاف في هذا

---

(١) ابن حزم في اصول الاحكام ٦ : ١٤٩.

(٢) المجموع للنووي ١ : ٦٣.

(٣) آداب الشافعي لابن أبي حاتم ص ٩٤ ــ ٩٥.

الأصل خلاف في الفروع. ومن ذلك : اختلافهم في حكم الزواج من الأمة الكتابية، والأمة المسلمة مع استطاعة الزواج من الحرة. فقال الجمهور : ان جواز الزواج من الأمة مشروط بعدم استطاعة الزواج من الحرة، أخذاً من مفهوم المخالفة، من قوله تعالى : ﴿ **ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات** ﴾[1] وخالف في ذلك الحنفية، بناء على أصلهم فقالوا : بجواز الزواج من الأمة مع استطاعة الزواج من الحرة. وفي توضيح ذلك يقول العلامة الآلوسي في تفسيره : « وظاهر الآية يفيد عدم جواز نكاح الأمة للمستطيع، لمفهوم الشرط ــ كما ذهب اليه الشافعي ــ وعدم جواز نكاح الأمة الكتابية مطلقاً، لمفهوم الصفة ــ كما هو رأي أهل الحجاز ــ وجوزهما الامام الأعظم[2] رضي الله عنه ــ لاطلاق المقتضى من قوله تعالى : ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء** ﴾[3] ــ ﴿ **وأحل لكم ما وراء ذلكم** ﴾ فلا يخرج عنه شيء الا بما يوجب التخصيص، ولم ينتهض ما ذكر حجة مخرجة، أما أولا : فالمفهومان ــ أعني : مفهوم الشرط ومفهوم الصفة ــ ليسا بحجة عنده ــ رضي الله تعالى عنه ــ كما تقرر في الأصول ... الخ »[4].

٣ ــ القاعدة الأصولية. وهي اختلافهم في حمل النص العام على النص الخاص عند التعارض.

٤ ــ القاعدة الأصولية. وهي : اختلافهم في حمل المطلق على المقيد.

---

(١) سورة النساء الآية ٢٥.

(٢) يريد بالامام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه.

(٣) سورة النساء الآية ٣.

(٤) تفسير روح المعاني ج ٥ ص ٨.

٥ ــ القاعدة الأصولية. وهي : اختلافهم في عمل الراوي بخلاف ما رواه. وذهب الحنفية الى اعتبار عمله دون روايته.

وهذا كله مبسوط في كتاب « أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء » للدكتور مصطفى سعيد الخن، وغيره.

وبعد ذلك نقول :

ان مذهب أبي حنيفة ــ رضي الله عنه ــ تندر فيه الأخطاء. وذلك لأن أبا حنيفة توفي في سنة مائة وخمسين من الهجرة. ومذهبه قد تم وضعه من قبل أن تكتب الأحاديث الضعيفة في الكتب، وقد قال السلفي الناقد لـ « مصلح الدين » و « امام المسلمين » : « ان الفقهاء والأصوليين لا يشترطون نفي الشذوذ والعلة، وان هذا من ميزات المحدثين » ص ٨٠.

فمذهب اكتمل على القرآن، وعلى ما عمله الصحابة الذين شاهدوا الرسول ﷺ بأعينهم وعلموه للناس، يكون هو المذهب الحق الواجب العمل به، ولو كان مذهباً ناقصاً أو باطلاً، لكان قد رفضه التابعون من حين ظهوره. ولم يرفضه التابعون، ولا الولاة على المسلمين. وهم يومئذ من العرب الخلص الفاهمين للدين حق الفهم، والذابين عنه شبه المبطلين، وكيد الكائدين. بل ان أمراء المؤمنين من العباسيين كانوا على مذهب أبي حنيفة. والخلفاء من الأتراك العثمانيين كانوا على مذهب أبي حنيفة. فهو مذهب موثق من حين نشأته الى هذا اليوم. وهو في « مصر » مذهب الدولة الرسمي. ومصر هي الناشرة للاسلام في بلاد المسلمين السنيين.

وهذا مثل يدل على أن مذهب الأحناف هو مذهب الخلفاء والولاة.

يقول الامام فخر الدين الرازي في كتابه مناقب الامام الشافعي : « انه لما جاء بـ « الشافعي » الى « العراق » أدخل ليلاً، وكان في رجليه حديد لأنه كان من أصحاب عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنهم ــ وكان ذلك ليلة الاثنين لعشر خلون من

شعبان سنة أربع وثمانين ومائة. وفي ذلك الوقت كان أبو يوسف على قضاء القضاة، ومحمد بن الحسن على المظالم. فدخلا على « الرشيد »[1].

ففي هذا النص تعلم أن « هارون الرشيد » ــ رضي الله عنه ــ كان على مذهب الأحناف في سنة ١٨٤ هـ وأن صاحبي أبي حنيفة وهما أبو يوسف ومحمد، كانا على القضاء. وهارون الرشيد كان يحج سنة ويغزو أخرى. ورجل هذا شأنه ــ خليفة ونعم الخلف ــ على مذهب هذا شأنه، ودولة في عهده مهابة من الصديق والعدو، على هذا المذهب العظيم. أيصح أن نقول في هذا كله : انه كله باطل ؟ دولة مهابة وهي تعمل بفقه الأحناف. هل تكون خاسرة ؟ وهل يكون مذهبها باطلاً ؟ من قال بهذا ؟ دولة مترامية الأطراف يقول « الرشيد » لسحابة مرت عليه فيها : « أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك » نقول : انها كانت على باطل ؟

وان عملها بالدين يومئذ هو الذي قواها. وهي لم تعمل الا على مذهب الأحناف. ويوم أن كثرت الأحاديث من أهل الأهواء، وتعددت المذاهب، تحير الناس في الأعمال واختلفوا وضرب بعضهم وجوه بعض. ومن اليوم الذي صار فيه للحنابلة مذهب، من القرن الرابع الهجري الى هذا اليوم. أين هي الهيبة، وأين هي العزة، وأين هي الكرامة للمسلمين ؟

أيها السلفي الناقد لمصلح الدين وامام المسلمين. اسمع مني هذا الكلام : وهو أنه في عهد الأحناف كان للمسلمين عزة وهيبة وكرامة، وكانوا يأخذون الجزية من أهل الكتاب، وفي هذا الزمان أقام الانجليز للسلفيين دولة، وفرقوا اراضي المسلمين، وحرموهم من لمّ الشمل وأجبروهم على الفرقة، وأخذوا من المسلمين الجزية، بل أخذوا أموال

(١) ص ٧١ مناقب الشافعي للفخر الرازي ــ نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

السلفيين ووضعوها في بنوكهم، تحت تصرف اليهود في اسرائيل. فأين هي أيها السلفي غيرتك وعزتك وهيبتك ومروءتك وكرامتك ؟

سريع الى ابن العم يلطم وجهه وليس الى داع الندى بسريع

وهذا مثال أذكره على قوة الأحناف في دين الله :

روي : أنه رفع الى أبي يوسف رجل مسلم قتل ذمياً عمداً. فأمر أبو يوسف بحبسه ليقتله، فلما كان يوم مجلس القضاء، رفعت اليه رقاع الخصوم. فاذا فيها رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات :

يا قاتل المسلم بالكافر جرت. وما العادل كالجائر
يا من ببغداد وأقطارها من فقهاء الناس، أو شاعر
جار على الدين أبو يوسف بقتله المسلم بالكافر
فاسترجعوا وابكوا على دينكم ثم اصبروا. فالأجر للصابر

ولكن القاضي أبو يوسف أصر على قتل المسلم. وذلك لأن اليهودي أو النصراني اذا دفع الجزية للمسلمين، عصم ماله ودمه. فاعتداء المسلم عليه وهو مؤدٍّ للجزية، يكون مثل اعتدائه على مسلم، فيدخل تحت قوله تعالى : ﴿ **النفس بالنفس** ﴾.

ولما جلس أبو يوسف وطلب ولي الدم وحضر، وقامت البينة. سأله أبو يوسف : هل المقتول كان يؤدي الجزية ؟ فقال ولي الدم : لا. فقال : اذن ليس بمعصوم الدم. ولم يقتل المسلم قاتله.

فانظر الى عدالة هذا القاضي ونزاهته. أعطى للمسلم حقه، وأعطى للذمي حقه، وتحرى العدل، وأنصف. فما هي أحكامكم أيها السلفيون ؟

ان من أحكامكم على المسلمين : أن الامام محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير وقد كان من كبار أهل الحديث : حكمتم عليه يوم أن مات أن لا يغسل وأن لا يصلى عليه، وأن لا يدفن في مقابر المسلمين،

وأن لا تشيعه الناس الى قبره. وقد دفنه أهله ليلاً خوفاً منكم. هذا هو حكمكم على المسلمين أهل الحديث. فما هو الظن بأحكامكم على غيرهم ؟

وأنتم تسيئون الى مذهب أبي حنيفة. وذلك لابراز مذهب السلف بصورة يقبلها المسلمون. وسيذهب عملكم أدراج الرياح، لأن الله لا ينصر المشاغبين في دينه، والمشوشين على تعاليمه.

لماذا تسيئون الى مذهب أبي حنيفة. وقد كان هو مذهب المسلمين في أيام مجدهم وعزهم ؟

يقول أستاذنا الدكتور الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة : « شهد الثلث الأخير من العصر العباسي الأول (١٣٢ ــ ٢٣٢ هـ) عصر قوة الخلفاء واستقلالهم بشؤون الخلافة، وحسن تدبيرهم لسياسة الدولة، وعدم تركهم للعناصر الأجنبية من فرس وغيرهم، الاستبداد بشؤون الملك وسياسة الدولة »[١] أهـ.

وفي هذا العصر قد كتب وعرف وانتشر مذهب الأحناف وعمل به، لأن أبا حنيفة متوفى في سنة مائة وخمسين. فمذهب مكتوب في حياة من سمعوا من الصحابة، ومن عملوا بعمل الصحابة، الذين سمعوا من فم النبي ﷺ وعملوا مثلما عمل. نقول عنه إنه مذهب غير موثق، ومذهب معمول بعد ادخال أهل الأهواء في الدين من البدع شيئاً كثيراً، نقول إنه هو المذهب الموثق. أي عاقل يقول بهذا ؟

هذا هو الامام البخاري ــ رضي الله عنه ــ كان بعد موت أبي حنيفة. فقد كان في ١٩٤ ــ ٢٦٥ هـ، وهو على مذهب أبي حنيفة في بعض المسائل. يقول عنه الدكتور أبو شهبة : « والذي يترجح عندي : أنه كان

(١) ص ٣٧ التعريف بكتب الحديث الستة ــ مكتبة العلم بالقاهرة.

فقيهاً مستقلاً بالاجتهاد، ولم يكن مقلداً، وله استنباطات تفرد بها، وآراؤه أحياناً توافق مذهب أبي حنيفة »[1].

ويقول الدكتور أبو شهبة : « وتعليقات[2] البخاري منها ما هو صحيح، ومنها ما ليس بصحيح » وهذا يدل على أن أهل الأهواء اندسوا بين المحدثين ورووا عن النبي كلاماً لم يقله، وأن هذا الكلام الذي لم يقله النبي قد بنى عليه فقهاء من بعد أبي حنيفة فتاوى واجتهادات. وحيث أن المبني على باطل هو باطل، فان المذهب المكتوب والمعمول به قبل دس أهل الأهواء في الأحاديث ما لم يقله النبي، يكون هو المذهب الصحيح.

ولم يسلم البخاري وهو محدث وفقيه من أحاديث أهل الأهواء. فقد قال الدكتور أبو شهبة ـــ رحمه الله ـــ : « وعدة الأحاديث المسندة التي انتقدت على البخاري مائة وعشرة أحاديث. منها ما وافقه الامام مسلم على تخريجه في صحيحه، وهو اثنان وثلاثون حديثاً، ومنها ما انفرد به البخاري وهو ثمانية وسبعون حديثاً »[3].

ويورد الدكتور أبو شهبة طريقة البخاري في نقد الأحاديث هكذا :

« ولعل من هذه الأحاديث التي وقع فيها التكلف في الجواب. والحق فيها مع الناقد : حديث شريك بن أبي نمر، عن أنس في الاسراء وهو حديث طويل. فقد خالف فيه شريك أصحاب أنس ـــ يعني الراوين عنه ـــ في اسناده ومتنه بالتقديم والتأخير وزياداته المنكرة. وأشد أوهامه قول شريك : « ان الاسراء كان قبل أن يوحى اليه » وقد أنكرها الخطابي وابن حزم وعبد الحق والقاضي عياض والنووي وغيرهم، واعتبروا ذلك

---

(١) ص ٦١ التعريف.

(٢) المراد بالتعليق في اصطلاح المحدثين : ان يحذف من مبتدأ اسناد الحديث واحد أو أكثر. وذلك مثل قول البخاري مثلا : قال مالك عن نافع عن ابن عمر، لأن بين البخاري وبين مالك بعض رواة غير مذكورين.

(٣) ص ٦٦ التعريف.

غلطاً من « شريك » و « شريك » ليس بمتهم بالكذب. وقصارى أمره : أنه غلط، والتبس عليه الأمر.

ومما ينبغي أن يعلم : أن « البخاري » ـــ رحمه الله ـــ أخرج الروايات الصحيحة في الاسراء والمعراج، بجانب رواية شريك. وهو بصنيعه هذا ينبهنا من طرف خفي، لا يخفى على اللبيب، ما في رواية شريك من الأغلاط[1]. فلله در « البخاري فكم له من اشارات وتلميحات »[2].

أما الامام مسلم بن الحجاج رضي الله عنه فقد كان في ٢٠٦ ـــ ٢٦١ هـ أي بعد تدوين مذهب الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان. وجملة الأحاديث المنتقدة على صحيحه : مائة واثنان وثلاثون حديثاً، شاركه البخاري في اثنين وثلاثين منها.

أما الامام أبو داود رضي الله عنه فقد كان في ٢٠٢ ـــ ٢٧٥ هـ أي بعد تدوين مذهب الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان. وجملة الأحاديث المنتقدة على سننه : تسعة أحاديث. وكان الامام أحمد بن حنبل من خاصة شيوخه، وقيل : انه كان شافعياً.

أما الامام الترمذي رضي الله عنه فقد كان في ٢٠٩ ـــ ٢٧٩ هـ. أي بعد تدوين مذهب أبي حنيفة، وجملة الأحاديث المنتقدة على جامعه : ثلاثون حديثاً.

أما الامام النسائي رضي الله عنه فقد كان في ٢١٥ ـــ ٣٠٣ هـ أي بعد تدوين مذهب أبي حنيفة. ويقول أستاذنا الدكتور أبو شهبة : « وفي سنن النسائي الصغرى، الصحيح والحسن والضعيف، ولكنه قليل »[3].

---

(١) المؤلف الناقد قوى رواية شريك لأنها توافق مذهبه في اثبات الجسمية لله تعالى.

(٢) ص ٦٨ التعريف.

(٣) التعريف ص ١٢٨.

فانظر أيها العاقل في مذاهب فقهية عملها الفقهاء بعد دس أهل الأهواء في الأحاديث الصحيحة، أحاديث باطلة، ومذهب فقهي استنبطه صاحبه من القرآن ومن عمل الصحابة والتابعين. أيهما أولى بالقبول ؟

فهذا السلفي الناقد مخطئ في تهوينه من مذهب أبي حنيفة.

وهو أيضاً اما جاهل بالحديث وأصول الفقه، وإما مشاغب في دين الله، في رميه مصلح الدين وامام المسلمين بأنه « لا يفهم من الشذوذ والعلة ما يفهم علماء الحديث والفقهاء وعلماء الأصول »[1].

والذي قاله الشيخ محمد الغزالي ــ رضي الله عنه ــ هو نفس ما قاله أستاذنا الدكتور محمد أبو شهبة ــ رحمه الله ــ وهو قد كان استاذاً للحديث بجامعة الأزهر في مصر، وأم القرى في مكة والملك عبد العزيز بجدة. يقول رحمه الله ما نصه : « ان شروط الحديث الصحيح : أن يكون راويه مسلماً عاقلاً صادقاً غير مدلس ولا مختلط، متصفاً بصفات العدالة، ضابطاً لما يرويه، متحفظاً عليه، سليم الذهن والحواس، التي لا بد منها في السماع والضبط، قليل الوهم ــ الغلط ــ سليم الاعتقاد وأن يكون اسناده متصلاً، فلا ارسال فيه، ولا انقطاع ولا اعضال. وأن يكون متن الحديث غير شاذ ولا معلل »[2] أ.هـ.

هذه عبارة أستاذنا بنصها، وهي نفسها عبارة مصلح الدين بتصرف يسير فمن هو هذا الذي « لا يفهم من الشذوذ والعلة، ما يفهم علماء الحديث والفقهاء وعلماء الأصول » ؟ ليس غير السلفي الجاهل أو المشاغب. وهذه هي عبارة الأستاذ الامام بنصها :

قال رضي الله عنه :

« وقد وضع علماء السنة خمسة شروط لقبول الأحاديث النبوية. ثلاثة

---

(١) ص ١٠٦ كشف موقف الغزالي. (٢) ص ٥٧ ــ ٥٨ التعريف.

منها في السند واثنان في المتن ١ ـــ فلا بد في السنن من راو واع، يضبط ما يسمع ويحكيه بعدئذ، طبق الأصل ٢ ـــ ومع هذا الوعي الذكي لا بد من خلق متين، وضمير يتقي الله ويرفض أي تحريف. ٣ ـــ وهاتان الصفتان يجب أن يطردا في سلسلة الرواة، فاذا اختلفتا في راو، أو اضطربت احداهما، فان الحديث يسقط عن درجة الصحة. وننظر بعد السند المقبول الى المتن الذي جاء به. أي الى نص الحديث نفسه. ٤ ـــ فيجب أن لا يكون شاذاً. ٥ ـــ وأن لا تكون به علة قادحة. والشذوذ : أن يخالف الراوي الثقة من هو أوثق منه، والعلة القادحة : عيب يبصره المحققون في الحديث، فيردونه به »[1].

* * *

وأراد المذاهب الفقهية هو مذهب السلفي الناقد لأسباب منها :

١ ـــ أن الحديث الضعيف عنده خير من رأيه. ومعنى أن الحديث الضعيف خير من الرأي عند الحنابلة هو : أنهم يقدمون آراء غيرهم من الناس التي صاغوها في صورة أحاديث على رأيهم أنفسهم. أي أنهم يقدمون كلام شخص كذاب على كلام ابن حنبل. فان الحديث الضعيف هو كلام شخص كذاب، لا كلام النبي نفسه الذي لا ينطق عن الهوى فلو فرضنا أن « ابن حنبل » استنبط رأياً معتبراً من آية قرآنية، ثم رأى رأياً غيره لا يمت للآية بصلة وقد قاله كاذب، ونسبه الى النبي ﷺ فان رأي ابن حنبل يسقط، ورأي الكاذب لا يسقط. وهذا لا يصح في دين الله تعالى. وذلك لقوله تعالى : ﴿ **ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾[2].

٢ ـــ أن أهل الأهواء والبدع قد عملوا « أسانيد صحيحة ».

---

(١) ص ١٨ ـــ ١٩ السنة النبوية.

(٢) سورة النساء الآية ٨٣.

٣ ــ وأهل الأهواء والبدع قد قلدوا السلسلة الذهبية. وكذبوا على « نافع » رضي الله عنه.

٤ ــ وأن أهل الأهواء والبدع قد انتحلوا شخصية « ابن حنبل » وكذبوا عليه. ومن أجل ذلك :

(أ) في أكثر المسائل تجد قولهم : في احدى الروايتين ــ وفي رواية عن أحمد ــ وفي أحد القولين ــ وفي قول آخر ... وما شابه ذلك.

(ب) وأن كثيرين من أهل الحديث لم يعدوا مسنده في الحديث مع الكتب الستة. وهي :

١ ــ صحيح البخاري. ٢ ــ ومسلم. ٣ ــ والنسائي. ٤ ــ والترمذي. ٥ ــ وأبو داود. ٦ ــ وابن ماجة. وهذا مشار اليه في كتاب أستاذنا الدكتور الشيخ محمد أبو شهبة الموسوم بـ « التعريف بكتب الحديث الستة ».

وجاء في الكتب : أن مذهب « ابن حنبل » لم يعد مذهباً رسمياً مع المذاهب الأربعة الا في نهاية القرن الرابع الهجري. لشغب الحنابلة بـ « بغداد »[١].

وليعلم الناس السبب[٢] الذي من أجله أساء الشيخ محمد الغزالي رضي الله عنه الى أهل الأهواء والبدع من المحدثين. وهو هذا :

* * *

في كتاب جامع الأصول الجزء الثاني. هذه الروايات من صحيح البخاري وغيره :

---

(١) راجع المدخل الى مذهب الامام أحمد / لعبد القادر بن بدران الدمشقي، والحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري / لآدم ميتز ــ طبعة الخانجي بالقاهرة.

(٢) انظر في هموم داعية حذف « وما خلق » من سورة ﴿ **والليل اذا يغشى** ﴾.

عن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته. فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة. فتربصت حتى سلم، فلببته بردائه. فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ؟ قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت : كذبت فان رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده الى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها. فقال رسول الله ﷺ : « أرسله. اقرأ يا هشام » فقرأ عليه القراءة التي كنت سمعته يقرأ. فقال رسول الله ﷺ : « هكذا أنزلت » ثم قال النبي ﷺ : « هكذا أنزلت. ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه » [أخرجه الجماعة].

التعليق :

هذه الرواية التي اتفق عليها البخاري والمحدثون : تثبت التحريف في لفظ القرآن الكريم ولأن الله تكفل بحفظ القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** ﴾[1] وفي قوله تعالى : ﴿ **ان علينا جمعه وقرآنه * فاذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم ان علينا بيانه** ﴾[2] لأن الله تكفل بحفظ القرآن الكريم، وهذه الرواية وشبهها كثير تثبت التحريف اللفظي في القرآن، فان هذه الرواية وشبهها يكونون من الروايات الكاذبة التي وضعها المحدثون عمداً في كتبهم للطعن في القرآن الكريم.

* * *

وهذه رواية ثانية تجيز للناس تغيير لفظ القرآن بلفظ آخر :

عن أبي بن كعب أنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا أبي. إني

(١) سورة الحجر الآية ٩.
(٢) سورة القيامة الآيتان ١٧ ــ ١٩.

أقرئت القرآن، فقيل لي : على حرف أو حرفين ؟ فقال الملك الذي معي : قل : على حرفين. فقيل لي : على حرفين أو ثلاث ؟ فقال الملك الذي معي : قل : على ثلاثة. قلت : على ثلاثة. حتى بلغ سبعة أحرف. ثم قال : ليس منها الا شاف كاف. ان قلت : سميعاً عليماً ــ عزيزاً حكيماً ــ ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب.

وهذه رواية ثالثة تدل على أن المصحف الذي بين أيدينا نحن المسلمين السنيين محذوف منه آيات :

روى أبي بن كعب قال : ان رسول الله ﷺ أمرني أن أقرأ عليك [القرآن] فقرأ عليه : ﴿ **لم يكن الذين كفروا** ﴾ وقرأ فيها : « ان الدين عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية. ومن يعمل خيراً فلن يكفره » وقرأ عليه : « لو أن لابن آدم واديا، من مال، لابتغى اليه ثانياً، ولو أنه له ثانياً، لابتغى اليه ثالثاً. ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب، ويتوب الله على من تاب » [أخرجه الترمذي. وقال : حديث حسن صحيح].

* * *

وهذه رواية رابعة تدل على وضع آية في القرآن. بخبر الواحد. بل تدل على أن النبي ﷺ لم يترك القرآن مجموعاً مرتباً في مكان واحد :

روى البخاري والترمذي : ان أبا بكر لما شرح الله صدره لجمع القرآن وتدوينه عهد بجمعه وتدوينه الى زيد بن ثابت. وقال زيد بن ثابت : « فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة ــ أو أبي خزيمة الأنصاري ــ لم أجدها مع أحد غيره : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم خاتمة براءة » قال : « فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر ».

* * *

وهذه رواية خامسة تطعن في الصحابة من جهة عدم حفظهم للقرآن في صدورهم :

روى البخاري ومسلم والترمذي : « جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد، وزيد ــ يعني ابن ثابت ــ قلت لأنس : من أبو زيد ؟ قال : أحد عمومتي » وفي رواية أخرى للبخاري : « مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد. ونحن ورثناه » أي الجامع للقرآن اثنان اذ هو شك في أُبيٍّ وأبي الدرداء، وشك في أبي زيد وسأل عنه.

* * *

وهذه رواية سادسة من البخاري ومسلم والترمذي لتأكيد ما تعمد المحدثون فعله في القرآن :

عن علقمة ــ رحمه الله ــ قال : قدم اصحاب عبد الله بن مسعود على أبي الدرداء ــ رضي الله عنهما ــ فطلبهم فوجدهم. فقال : أيكم يقرأ قراءة عبد الله ؟ قالوا : كلنا. قال : فأيكم أحفظ ؟ فأشاروا الى علقمة. قال : كيف سمعته يقرأ : ﴿ **والليل اذا يغشى * والنهار اذا تجلى** ﴾[1] ؟ قال : « والذكر والأنثى » قال أبو الدرداء : والله لا أتابعهم. ثم قال أبو الدرداء : أنت سمعته من في صاحبك ؟ قال : نعم. قال : وأنا سمعت من في رسول الله ﷺ وهؤلاء يأبون علينا ».

وفي رواية : « أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هكذا. وهؤلاء يريدونني أن أقرأ « وما خلق الذكر والأنثى » والله لا أتابعهم عليه » هذا نص الحديث. والنص في المصحف هو : « وما خلق الذكر والأنثى »

(١) سورة الليل الآيتان ١ و ٢.

فلفظ « ما خلق » إما أنه سقط من المصحف ـــ على رأي هؤلاء ـــ وأما أنهم قالوه للغو في القرآن.

* * *

وهذه رواية سابعة من موطأ مالك بن أنس لنفس الغرض السابق : روي أن مالك بن أنس سأل ابن شهاب عن قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله** ﴾[1] فقال ابن شهاب : كان عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ يقرؤها : « اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، فامضوا الى ذكر الله » ففي المصحف « فاسعوا » وفي كتبهم « فامضوا ».

* * *

والرواية الثامنة والأخيرة :

روى الترمذي أن عبد الله بن مسعود ـــ رضي الله عنه ـــ كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف. وقال : يا معشر المسلمين. أعزل عن نسخ المصاحف ويتولاها رجل والله لقد أسلمت وأنه لفي صلب رجل كافر ؟ ـــ يريد زيد بن ثابت ـــ ولذلك قال عبد الله بن مسعود : « يا أهل العراق. اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها ».

[انتهى من كتاب جامع الأصول].

تحريف القرآن عند الشيعة

وبعدما فرغنا من ذكر أمثلة من كتب أهل السنة، نذكر مثالين من كتب الشيعة وقد سبقت أمثلة :

١ ـــ علي بن ابراهيم القمي في تفسيره عن أبيه عن حماد عن حريز

(١) سورة الجمعة الآية ٩.

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : « اهدنا الصراط المستقيم، صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين ».

٢ ــ ثقة الاسلام في « الكافي » عن علي بن ابراهيم عن أحمد بن محمد البرقي عن أبيه عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن منخل عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : نزل جبرائيل بهذه الآية على محمد صلى الله عليه وآله هكذا : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا، في علي، فأتوا بسورة من مثله ».

قال « الطبرسي » و « شرح الكافي » بعد نقل الخبر : دل ظاهراً على أن قوله تعالى في علي ــ عليه السلام ــ كان في نظم القرآن، وأن نبأ كونهم في ريب مما نزله الله على محمد صلى الله عليه وآله في علي ــ عليه السلام ــ كونهم في ريب من النبوة، ومن كون القرآن من عند الله ــ تعالى ــ ثم. ولذلك خاطبهم على سبيل التعجيز بقوله : « فأتوا بسورة من مثله » ليعلموا أن القرآن من قبله ــ تعالى ــ وأن محمداً صلى الله عليه وآله نبيه، وأن كل ما جاء به في حق علي ــ عليه السلام ــ من قبله تعالى.

* * *

وترك المسلمين للاسرائيليات في الكتب، يجرِّئ غير المسلمين على نقلها والطعن في الاسلام بها. كما فعل « سليمان رشدي »[1] في كتابه

---

(١) سلمان انيس رشدي ولد في بومباي الهندية في يونيه سنة ١٩٤٧ م وألف كتاباً اسمه « آيات شيطانية » بين فيه :

أن الرسول ﷺ مرعب أطفال العصور الوسطى وهو والصحابة من المهرجين وكان راغباً في عرض ابي سفيان الذي اطلق عليه ابي سنبل ــ ان يجعل لآلهة قريش ــ اللات ــ مكانا في دعوته، لكي تقبل قريش الدين الجديد. وجاء بالآية التي تقول تلك الغرانيق العلى استجابة لعرض ابي سفيان ولكن هند زوجة ابي سفيان عارضت فكرة التوفيق، ولذا قال النبي : ان الشيطان دس عليه هذه الآية. وقد حذفها من السجلات.

« آيات شيطانية » وهذا هو الدافع القوي لامام المسلمين السنيين محمد الغزالي ـــ رضي الله عنه ـــ أن ينقي الاسلام من البدع، ويصفيه من الاسرائيليات والخرافات. وكان يجب على نظيره الامام الخميني رحمه الله امام آل البيت ـــ رضوان الله عليهم ـــ أن يصرح كما صرح، وينقي كما نقى، ويصفي كما صفى، خاصة وقد كان بيده سلطان أن يفعل. ولما لم يفعل فإنه يسأل لماذا لم يفعل ؟

[تم الرد على كتاب كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها ونقد بعض آرائه].

الفصل الثاني
في
رد كتاب
حوار هادئ

وقع كتاب اسمه « حوار هادئ مع محمد الغزالي » في يدي، بعدما فرغت من الرد على كتاب « كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها ونقد بعض آرائه وهو كتاب صدر الاذن بطباعته في المملكة العربية السعودية من الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد تحت رقم ١٢٥٠١ /٥ وتاريخ ٩ /١١ /١٤٠٩ هـ وقد قدم المؤلف في التمهيد له نبذة عن حياة الأستاذ الشيخ محمد الغزالي.

وأنا أوردها هكذا : ولد يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٧ م في قرية « نكلا العنب » مركز « ايتاي البارود » بمحافظة « البحيرة » والتحق بكلية أصول الدين جامعة الأزهر وحصل على الليسانس سنة ١٩٤١ م ثم حصل على العالمية مع اجازة الدعوة والارشاد من كلية اللغة العربية عام ١٩٤٣ م[1] ويعمل الآن رئيساً للمجلس العلمي لجامعة الأمير عبد القادر

---

(١) لتحويل السنة الهجرية الى ميلادية تضرب السنة في ثلاثة في المائة. والعدد تطرحه من السنة ثم تضيف عليه ستمائة وواحد وعشرين. فسنة $\frac{١٤١٠ \times ٣}{١٠٠} = ٤٢,٣$.

١٤١٠ − ٤٢ = ١٣٦٨

١٣٦٨ + ٦٢١ = ١٩٨٩ م والعكس يكون من الميلادية الى الهجرية.

الاسلامية في الجزائر. وكان من قبل اماماً وخطيباً ومدرساً في وزارة الأوقاف المصرية، ومديراً للدعوة والارشاد بها، وأستاذاً في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

وفي الفصل الأول قال : ان المدرسة العقلية اسم يطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى الى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر.

ثم قال : « ان الشيخ الغزالي متأثر بالمدرسة العقلانية المعاصرة في الكثير من آرائه العقدية والتشريعية والاصلاحية ... وبرز التناقض في آرائه ومواقفه بشكلٍ ملفت يجعل من الصعب على القارئ أن يحدد ملامح فكر الشيخ بدقة ».

هذا كلام المؤلف.

الرد عليه

كان الخوارج والمعتزلة في بدء الاسلام يستنبطون الآراء الاعتقادية والأحكام الفقهية من القرآن وحده. وذلك أحياناً يكون برد المتشابه الى المحكم. أي كانوا يقدمون النصوص، ويعملون عقولهم في رد المتشابه الى المحكم. وبعد سنين طويلة ــ أي بعد عصر « المتوكل على الله » ــ رأى أهل الحديث وضع الأحاديث مع القرآن في الحجية فظهر التعارض، وظهر موهم التعارض. أما التعارض بين القرآن والأحاديث فلا يمكن رفعه. وأما موهم التعارض بين القرآن والأحاديث، وبين القرآن والقرآن، وبين الأحاديث نفسها. فمن الممكن رفعه.

والمثال على ذلك

﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾[1] وهو نص محكم ينفي المثلية. و ﴿ **يد الله**

(١) سورة الشورى الآية ١١.

فوق أيديهم ﴾[1] هو نص متشابه (أ) يحتمل اليد الجسمية (ب) ويحتمل الكناية عن القدرة. فاذا سلمنا بظاهر النصين أي بنفي التشبيه وبالتشبيه نكون مقرين بموهم التعارض. وهذا لا يصح من مسلم. وانما يصح منه إعمال عقله في التوفيق بين النصين.

فالسلف يقولون : نقدم النصوص ولا نقدم العقل ونقول بيد لا نعلم كيفيتها، جمعاً بين النصين ويتهمون المعتزلة والأشاعرة بأعمال العقل لازالة موهم التعارض في النصوص.

والقضية التي يقصدها مؤلف الحوار، مع الشيخ محمد الغزالي ــ رضي الله عنه ــ هي قضية النص والعقل القديمة. وفي زماننا هذا. لا أحد من المسلمين يطوع تعاليم الاسلام لتتفق مع تعاليم الأمم الكافرة. والذي يحدث بين المسلمين هو : أنه لو وجد عندهم رأي محترم. فان المسلم ينظر فيه. ثم يفتش في الكتب الاسلامية عن عالم ثقة أثر عنه هذا الرأي، أو دليل يوافق هذا الرأي. فان وجد، فإنه يقول : هذا الرأي لا يتعارض مع الدين الاسلامي. وان لم يجد، فإنه لا يقدر على اظهار موافقته للدين. والدليل على أن قضية النص والعقل قضية قديمة هو أن « ابن تيمية » المتوفى سنة ٧٢٨ هـ قد ألف كتاباً وسماه : « موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » وقال في أوله ما نصه :

قانون التأويل

« قول القائل : اذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية، أو السمع والعقل، أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية. أو نحو ذلك من العبارات. فإما أن يجمع بينهما ــ وهو محال ــ لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يرادا جميعاً، وإما أن يقدم السمع ــ وهو محال ــ لأن العقل أصل النقل. فلو قدمناه عليه، كان ذلك قدحاً في العقل ــ الذي هو أصل

(١) سورة الفتح الآية ١٠.

النقل ــ والقدح في أصل الشيء، قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل جميعاً.

فوجب تقديم العقل. ثم النقل. إما أن يتأول، وإما أن يفوض.

وأما اذا تعارضنا تعارض الضدين، امتنع الجمع بينهما، ولم يمتنع ارتفاعهما.

وهذا الكلام قد جعله « الرازي » وأتباعه قانوناً كلياً، في ما يستدل به من كتب الله وكلام أنبيائه. وما لا يستدل به. ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء والمرسلون في صفات الله ــ تعالى ــ وغير ذلك من الأمور التي أنبأوا بها، وظن هؤلاء أن العقل يعارضها.

وقد يضم بعضهم الى ذلك : أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين. وقد بسطنا الكلام على قولهم هذا في الأدلة السمعية، في غير هذا الموضع.

وأما هذا القانون الذي وضعوه، فقد سبقهم اليه طائفة. منهم « أبو حامد » وجعله قانوناً في جواب المسائل التي سئل عنها في نصوص أشكلت على السائل، كالمسائل التي سأله عنها « القاضي أبو بكر بن العربي » وخالفه « القاضي أبو بكر » في كثير من تلك الأجوبة. وكان يقول : « شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر ».

وحكى هو عن أبي حامد نفسه : أنه كان يقول : « انه مزجي البضاعة في الحديث ».

ووضع « أبو بكر بن العربي » هذا، قانوناً آخر، مبنياً على طريقة « أبي المعالي » ومن قبله، كـ « القاضي أبي بكر الباقلاني ».

ومثل هذا القانون الذي وضعه هؤلاء، يضع كل فريق لأنفسهم قانوناً في ما جاء به الأنبياء عن الله، فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه :

هو ما ظنوا أن عقولهم عرفته، ويجعلون ما جاءت به الأنبياء تبعاً. فما وافق قانونهم قبلوه، وما خالفه لم يتبعوه.

وهذا يشبه ما وضعته النصارى من « أمانتهم » التي جعلوها عقيدة ايمانهم، وردوا نصوص التوراة والانجيل اليها.

لكن تلك الامانة اعتمدوا فيها على ما فهموه من نصوص الأنبياء، أو ما بلغهم عنهم. وغلطوا في الفهم، أو في تصديق الناقل، كسائر الغالطين، ممن يحتج بالسمعيات. فان غلطه إما في الاسناد، وإما في المتن. وأما هؤلاء فوضعوا قوانينهم على ما رأوه بعقولهم. وقد غلطوا في الرأي والعقل. فالنصارى أقرب الى تعظيم الأنبياء والرسل من هؤلاء. لكن النصارى يشبههم من ابتدع بدعة بفهمه الفاسد من النصوص، أو بتصديقه النقل الكاذب عن الرسول. كالخوارج. والوعيدية والمرجئة والامامية، وغيرهم ... الخ »:

* * *

ويقول المؤلف : ان جوانب التشابه بين « الغزالي » والمدرسة العقلية عديدة. ومنها :

أولاً : أحاديث الآحاد

الرد عليه :

يا أيها المؤلف هل تعد من ينكر أحاديث الآحاد أو ينكر بعضها من أصحاب المدرسة العقلانية ؟ هل الانكار قديم أم حادث ؟

ان انكار أحاديث الآحاد ليس في هذا الزمن وحده، فانه كان موجوداً في زمان الصحابة والتابعين. ومن أمثلته :

١ ـــ لما روت فاطمة بنت قيس ان زوجي طلقني ثلاثا ولم يجعل لي رسول الله عليه الصلاة والسلام سكنى ولا نفقة. قال عمر بن الخطاب

رضي الله عنه : لا نقبل قول امرأة لا ندري أصدقت أم كذبت. وقالت عائشة رضي الله عنها : يا فاطمة قد قتلت الناس. ومعلوم : أنها كانت من المهاجرات. مع أنها عند عمر وعائشة ورضي الله عنهما كاذبة.

٢ ـــ قال عمران بن الحصين : والله لو أردت لحدثت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام يومين متتابعين، فاني سمعت كما سمعوا وشاهدت كما شاهدوا. ولكنهم يحدثون أحاديث ما هي كما يقولون، وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم.

* * *

وقال المؤلف : ومن جوانب التشبيه الاجماع. وهو عند الشيخ محمد عبده والشيخ محمد الغزالي : « اتفاق أهل الحل والعقد وهم العلماء والأمراء والسلاطين والقواد ومن في منزلتهم من المسلمين على أمر من الأمور المتعلقة بالمصالح العامة. وهي التي لأولي الأمر سلطة فيها ووقوف عليها ».

الرد عليه :

الاجماع عندهما هو نفسه الاجماع الذي قال به السابقون عليهما. ففي المحصول في أصول الفقه : « وأما في اصطلاح العلماء فهو عبارة عن اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد ﷺ على أمر من الأمور. ونعني بالأتفاق : الاشتراك اما في الاعتقاد أو القول أو الفعل. أو اذا أطبق بعضهم على الاعتقاد وبعضهم على القول أو الفعل الدالين على الاعتقاد. ونعني أهل الحل والعقد : المجتهدين في الأحكام الشرعية. وانما قلنا على أمر من الأمور ليكون متناولاً للعقليات والشرعيات واللغويات ».

وذكر مؤلف « المحصول » اختلاف الناس في حجيته ومما قاله : « اجماع أمة محمد ﷺ حجة، خلافاً للنظام والشيعة والخوارج ...

الخ » فالقضية قديمة ولا صلة لها البتة بمجاراة أمم الغرب الكافرة والمشركة.

ثم بنى المؤلف على الاجماع : أن الشيخ محمد الغزالي رضي الله عنه ناقض الاجماع في صوره المختلفة في مسائل كثيرة من أبرزها : رأيه في دية المرأة ورأيه في توليها السلطة ورأيه في الحجاب ورأيه في الغناء.

هكذا يقول المؤلف :

الرد عليه

أن الشيخ محمد الغزالي في قوله هذا لم يناقض الاجماع فالمسائل المختلفة التي ذكرها هي مسائل خلافية وليست مسائل اجماع.

* * *

ويقول المؤلف : ان الغيبيات هي من جوانب التشبيه بين الغزالي والمدرسة العقلية ويبين أن تأويل الشيخ محمد الغزالي لشق صدر النبي ﷺ هو من تأثره بالمدرسة العقلية. وكذلك تكذيبه لحديث « الكلب الأسود شيطان » وانكاره أن النبي سحر.

الرد عليه

هذه المسائل قد أنكرها كثيرون من الراسخين في العلم في الزمان الأول. فقد روي عن شعبة : « أن نصف الحديث كذب » ـــ كما في المحصول للرازي ـــ وأن « الجبائي » من المعتزلة لما أنكر أن النبي قد سحر وذلك لأن الله قد عصمه. احتج على الانكار بأدلة[1] من القرآن منها : ان الكفار قالوا : ﴿ **ان تتبعون الا رجلاً مسحوراً** ﴾[2] فلو كان

(١) راجع تقديمنا لتفسير القرطبي طبعة دار الغد العربي بالقاهرة.

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٧.

النبي قد سحر لكان الكفار صادقين في قولهم. وهذه الحجج هي نفسها الحجج التي احتج بها الشيخ محمد عبده وغيره. ونقلوها عن الجبائي من تفسير الامام فخر الدين الرازي. وحديث شق الصدر حديث آحاد. ولو كان صحيحاً لما اختلف المفسرون في قوله تعالى : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾[1] وكانوا قد فسروا الشرح به.

* * *

ويقول المؤلف : ان من جوانب التشبيه : الأحكام العملية التفصيلية. ومن الآراء التي اعتنقها : أن للمرأة الحق في تولي سائر المناصب بما في ذلك المناصب العليا كرئاسة الدولة والوزارات والقضاء. كيف لا وهذه بلقيس وهذه فكتوريا وتاتشر وجولدا مائير ... الخ.

والرد على المؤلف : هذه آراء قديمة في الكتب الاسلامية. واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية. فقد قال القرطبي في تفسير سورة النمل : « روى البخاري من حديث ابن عباس : أن النبي ﷺ لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا بنت كسرى. قال : « لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة » قال القاضي أبو بكر بن العربي : هذا نص في أن المرأة لا تكون خليفة. ولا خلاف فيه. ونقل عن محمد بن جير الطبري أنه يجوز أن تكون المرأة قاضية. ولم يصح ذلك عنه. ولعله نقل عنه كما نقل عن أبي حنيفة أنها انما تقضي في ما تشهد فيه. وليس بأن تكون قاضية على الاطلاق. ولا بأن يكتب لها مسطور بأن فلانة مقدمة على الحكم وانما سبيل ذلك التحكيم والاستنابة في القضية الواحدة. وهذا هو الظن بأبي حنيفة وابن جرير. وقد روي عن عمر أنه قدم امرأة على حسبة السوق. ولم يصح. فلا تلتفتوا اليه. فانما هو من دسائس المبتدعة في الأحاديث. وقد تناظر في هذه المسألة القاضي أبو بكر بن الطيب المالكي الأشعري مع أبي

---

(١) سورة الشرح الآية ١.

الفرج بن طرار شيخ الشافعية. فقال أبو الفرج : الدليل على أن المرأة يجوز أن تحكم : أن الغرض من الأحكام تنفيذ القاضي لها وسماع البينة عليها والفصل بين الخصوم فيها. وذلك ممكن من المرأة كامكانه من الرجل. فاعترض عليه القاضي أبو بكر ونقض كلامه بالامامة الكبرى. فان الغرض منه : حفظ الثغور وتدبير الأمور وحماية البيضة وقبض الخراج ورده على مستحقه. وذلك لا يتأتى من المرأة كتأتيه من الرجل. قال ابن العربي : وليس كلام الشيخين في هذه المسألة بشيء. فإن المرأة لا يتأتى منها أن تبرز الى المسجد ولا تخالط الرجال ولا تفاوضهم مفاوضة النظير للنظير، لأنها ان كانت فتاة حرم النظر اليها وكلامها وان كانت برزة لم يجمعها والرجال مجلس واحد تزدحم فيه معهم وتكون مناظرة لهم ولن يفلح قط من تصور هذا ولا من اعتقده ».

* * *

ويقول مؤلف الحوار : ان من جوانب التشبيه : مسلك الشيخ محمد الغزالي في اعتقاده عن الله وصفاته.

وأخيراً. يعد المؤلف الوحدة الوطنية من أطروحات العقلانيين. ويتهم الشيخ محمد الغزالي بأنه ينادي بوجوب التقارب بين الأديان السماوية. وذلك لقوله : « ان اختلاف العرب من مسلمين ونصارى لا يمنع تجمعهم على اعزاز الأمة العربية ورد العدوان عنها، مهما كانت ديانة المهاجم »[1].

الرد عليه

اذا دفع اليهودي الجزية للمسلم، فان المسلم لا يظلمه، وان لم يسلم اليهودي. واذا دفع النصراني الجزية للمسلم، فان المسلم لا يظلمه، وان

---

(١) ظلام الغرب ص ٧٨.

لم يسلم النصراني. وبعد دفع الجزية يعيش الجميع معاً وهذا هو ما يقصده الشيخ محمد الغزالي من تجمعهم على اعزاز الأمة. وذلك لأنه قال في نص آخر : « الدعوة الى أخوة الأديان مشبوهة، وواضح أن تلك الدعوات شعارات يقصد بها محاولة صد المسلمين عن دينهم، بينما الآخرون جادون في نشر أديانهم والتبشير بها »[1]. وذلك أيضاً لأنه لا ينكر ظاهر قوله تعالى في سورة التوبة : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾[2].

* * *

وفي الفصل الثاني وهو موقف الغزالي من أحاديث الآحاد. بين المؤلف : أن حديث الآحاد هو ما لم يبلغ حد التواتر وهو ينقسم الى غريب وعزيز ومشهور. وقال عن الشيخ محمد الغزالي : إنه قال في كتاب قذائف الحق ص ١٠٢ : « ان سنن الآحاد عندنا تفيد الظن العلمي، انها قرينة تستفاد منها الأحكام الفرعية في ديننا » وفي كتاب دستور الوحدة ص ٦٨ قال : « حديث الآحاد يعطي الظن العلمي أو العلم الظني ومجاله الرحب : في فروع الشريعة، لا في أصولها ».

الرد عليه

١ ــ قال الامام الأسنوي : « ان رواية الآحاد ان أفادت، فإنما تفيد الظن، والشارع أجاز الظن في المسائل العملية ــ وهي الفروع ــ دون العلمية، كقواعد أصول الدين ».

٢ ــ وقال الشريف الرضي في كتاب المجازات النبوية :

---

(١) هموم داعية ص ٩٤.
(٢) سورة التوبة الآية ٢٩.

« خبر الواحد غير جائز قبوله، لأن كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط فيما يخبر به، ويصح كونه كاذباً في نقله، ولا يجوز أن نقطع في ديننا على الشيء من وجه يجوز الغلط فيه، لأنا لا نأمن بالأقدام على اعتقاده من أن يكون جهلاً، ولا نأمن من أن يكون اخبارنا عنه كذباً. وإنما نعمل بأخبار الآحاد في فروع الدين ».

٣ ـ وقال الامام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ : « أما الذين قالوا : لم يرد التعبد بخبر الواحد فهم فرق ثلاث. الأولى : أنه لم يوجد ما يدل على كونه حجة فوجب القطع بأنه ليس بحجة والثانية : أنه جاء في الأدلة السمعية ما يدل على أنه ليس بحجة. والثالثة : أن الدليل العقلي قائم على امتناع العمل به ... الخ ».

* * *

وقال المؤلف : ان الشيخ محمد الغزالي رفض من أحاديث الآحاد : أحاديث. هي : اغارة النبي على بني المصطلق بدون سبق دعوتهم الى الاسلام، وحديث حرم رسول الله كل ذي ناب من السباع ..

وقال المؤلف : ان الشيخ محمد الغزالي استدل بقوله تعالى : ﴿ **قل لا أجد في ما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه** ... ﴾[1] الآية. ولم يستدل بالحديث. وعليه فقد حرم من المطعومات ما حرمته الآية فقط. ثم وجه اليه النقد هكذا : الخمر محرمة بقوله تعالى : ﴿ **رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه** ﴾[2] ومع ذلك ليس داخلة في المحرمات من الآية.

الرد عليه

ان نص الآية يبين أن الأربعة في المطعومات لا في المشروبات فقط

(١) سورة الأنعام الآية ١٤٥.
(٢) سورة المائدة الآية ٩٠.

قال : « على طاعم يطعمه » ولم يقل على شارب يشربه. هذا من جهة. ومن جهة أخرى فان الخمر ليست محرمة بالدليل الذي ذكره الناقد، بل من نصين هما :

النص الأول : نزل في مكة وهو : ﴿ **قل انما حرم ربِّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم** ... ﴾[1] فقد عد « الاثم » من المحرمات، سواء كان قليلاً أو كثيراً. والخمر : اثم.

والنص الثاني : نزل في المدينة وهو : ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير** ﴾[2] ووجه تحريم الخمر من النصين هو : أنه اذا كان الاثم القليل محرما في « مكة »، فالاثم الكبير يكون محرماً من باب أولى. والآية التي استدل بها تفيد تقوية الحكم[3].

* * *

ويقول المؤلف : ان الحمر الأهلية محرمة وليست مذكورة في الآية وهي من المطعومات.

الرد عليه :

في أي وقت حرمت الحمر الأهلية ؟ ان قلت : مع تحريم نكاح المتعة أو مع حلها. فبين الزمن لمعرفة الناسخ من المنسوخ ــ على رأي المحدثين ــ ومعلوم : أن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن وليس فيها الا الأربعة كما في سورة الأنعام. وفي تفسير ابن كثير : قال الحميدي : حدثنا عمرو بن دينار قال : قلت لجابر بن عبد الله : انهم يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر.

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣٣.
(٢) سورة البقرة الآية ٢١٩.
(٣) تفسير القرطبي في سورة الأعراف.

فقال : قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو عن رسول الله ﷺ ولكن أبي ذلك البحر ــ يعني ابن عباس ــ وقرأ ﴿ **قل لا أجد في ما أوحي اليَّ محرما على طاعم يطعمه** ﴾[1] الآية. وكذا رواه البخاري. عن علي بن المديني عن سفيان به ... وعن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذُّراً. فبعث الله نبيه وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه. فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو. وقرأ هذه الآية : ﴿ **قل لا أجد في ما أوحى الي محرماً على طاعم يطعمه** ﴾.

* * *

وفي آخر الفصل يستدل المؤلف على صحة الاحتجاج بحديث الآحاد بقوله : « وقد كان الرسول ﷺ يرسل آحاداً من أصحابه الى القبائل لتلقينهم الدين : أصوله وفروعه. ولم يطلب منهم أن يتثبتوا أو يرسلوا من يستوضح الأمر، فدل على قيام الحجة والآحاد ».

الرد عليه

أولاً : قوله كان يرسل آحاداً من الناس. هذا قول مؤرخين. وقولهم ليس بحجة. وقوله لتلقينهم الدين يدل على أن القبيلة كانت قد أسلمت أولاً.

ثانياً : لو كان خبر الواحد يقبل في الدين، ما كان الله يذكر في القرآن وجوه اعجازه.

ثالثاً : ان محمداً عليه السلام الذي بلغ الرسالة لم يكن فرداً، بل كان الله معه بالمعجزات. فقامت المعجزات مقام الشاهد الآخر. وكذلك كان موسى عليه السلام تشهد له معجزاته. وهي تقوم مقام الشاهد الآخر.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٤٥.

وارسال النبي عليه السلام الواحد الى القبيلة ليعلم الدين. يبحث فيه عن أمرين :

أولهما : أن القبيلة كيف عرفت الدين وسمعت عن محمد عليه السلام.

وثانيهما : قوله تعالى : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم** ﴾[1] أما الأمر الأول. فمعرفة القبيلة واسلامها ما كان يتم بخبر الواحد، بل كان بوفد ترسله القبيلة، أو بجيش المسلمين تجاه القبيلة. واذا أسلمت وقبلت الدين، فان النبي ﷺ كان يترك فيها معلماً للاحكام التي شاهد النبي يفعلها ويتبعه بآخر ويعززه بثالث. والعرب كانوا يفهمون أحكام القرآن لأنه نزل بلسان عربي مبين. وأما الأمر الثاني. فان الآية تفيد جماعة ولا تفيد فرداً، تفيد جماعة من القبيلة التي أسلمت، تتفقه وترجع لتخبر، ولا تفيد فرداً.

* * *

ويقول المؤلف في الفصل الثالث وهو موقف الغزالي من مسألة القدر : ان القدر الذي أمرنا بالايمان به يشمل أربع مراتب :

الأولى : علم الله بالأشياء قبل خلقها. والثانية : مشيئته وارادته، فانه لا يقع شيء في الكون الا باذنه، والثالثة : كتابة ذلك عنده سبحانه في اللوح المحفوظ. والرابعة : الخلق والايجاد. فماذا يقول الغزالي في القدر ؟

هذا كلام الناقد

وهو يعتقد عقيدة الجبر. لقوله بكتابة ذلك في اللوح المحفوظ.

والشيخ محمد الغزالي رضي الله عنه يقول : « العلم المكتوب لا يعني

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٢.

الجبر الالهي » وقوله : علاقة العلم الالهي بأعمال الناس هي علاقة انكشاف واحاطة »[1].

يريد أن يقول : ان الله يعلم ما يكون من الناس. وعلمه لا يتغير ولا يتبدل. واذا كان العلم لا يتغير ولا يتبدل. فهب أن « زيداً » في الغد، أراد أن يفعل شيئاً، ثم بدا له أن لا يفعله. ثم انه فعل اما الفعل واما الترك. فهل الذي فعله هو من علم الله الذي لا يتغير أم لا ؟ ان كان هو الذي يعلمه الله في الأزل فارادة زيد ملغاة، وان كان الله لا يعلمه حتى فعله زيد. فهذا هو تغير العلم. وتغير العلم لازم على القول بحرية المرء لأنه يحولها الى الجبر، وثبات العلم لازم على القول بأنه مجبور. لأن ثبوت العلم معناه : أن الله كتب عليه أعماله كلها في اللوح المحفوظ.

وقد [illegible] المسألة في الرد على كتاب الكشف.

* * *

وفي الفصل الرابع وهو موقفه من قضايا المرأة. يقول المؤلف : ان الغزالي طرح في شأن المرأة آراءً غريبة على أنها آراء الأئمة والفقهاء، وأن مخالفيها يعتمدون على العادات والتقاليد البدوية.

وذكر المؤلف ان الشيخ محمد الغزالي نقل كلام ابن حزم الأندلسي الذي يرى فيه جواز أن تلي المرأة القضاء. وقال : انه ايضاً رأي ابي حنيفة وقال : ان الشيخ محمد الغزالي صحح حديث : « لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة » وحمله على أمر الخلافة، لا على القضاء[2].

والرد عليه : قول الشيخ الغزالي : ان الحديث صحيح سنداً ومتنا. يدل على أنه لا يرفض الأحاديث النبوية كلها. وتأويله بأمر الخلافة لا بأمر القضاء هو اجتهاد عقلي منه قد يقبل وقد لا يقبل.

---

(١) هموم داعية ص ١٠٥ وما بعدها.

(٢) مستقبل الاسلام ص ٥٦ ــ السنة النبوية ص ٤٧.

وليس في القرآن من نص يمنع على المرأة القضاء أو الحكم. بل والعقل لا يمنع فان رجلاً أمياً من المزارعين اذا تقدم لأن يحكم الناس، ونافسته امرأة متعلمة تحمل شهادة جامعية. فان الناس يقدمونها على الأمي المزارع مع كونها أنثى وكونه رجلاً.

والقرآن ينص على الحكم بالشورى في حدود ما أنزل الله على رسوله. ولم ينص على أن الحاكم يكون رجلاً أو امرأة. والأحاديث التي وردت في الامامة هي احاديث آحاد. وهذا كلام للأئمة في حديث « الأئمة من قريش » يتبين منه : ان الرواة لهم أغراض في وضع أحاديث الامامة.

ففي كتاب المحصول لشيخ الاسلام الامام فخر الدين الرازي محمد ابن عمر المتوفى سنة ٦٠٦ هـ « روى أبو بكر وعمر ــ رضي الله عنهما ــ يوم السقيفة : أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ قال : « الأئمة من قريش » ثم رويتم أشياء تناقضه : أحدها : قول عمر ــ رضي الله عنه في آخر حياته : « لو كان سالم حياً، لما تخالجني فيه شك » وسالم مولى امرأة من الأنصار. وهي حازت ميراثه. وثانيها : أنه عليه الصلاة والسلام قال : « اسمع وأطع ولو كان عبداً حبشياً » وثالثها : قوله عليه الصلاة والسلام : « لو كنت مستخلفاً من هذه الأمة أحداً من غير مشورة، لاستخلفت ابن أم عبد » أ.هـ. هذا كلام صاحب المحصول عن غيره. وأضيف اليه أنه لو كان الحديث صحيحاً لما قال الله تعالى : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾[1] الذي لم يشترط فيه ولاية القرشي على الناس. وأين هم القرشيون اليوم ؟

وحديث : « لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة » هو من الأحاديث التي وضعها الرواة للحط من شأن المرأة. وهو مثل الحديث الذي رواه أبو هريرة وهو أنه عليه الصلاة والسلام قال : « ان المرأة والكلب والحمار

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩.

يقطعن الصلاة » وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما سمعت به، مشت في خف واحدة وقالت : لأخشن أبا هريرة فاني ربما رأيت الرسول عليه الصلاة والسلام وسط السرير، وأنا على السرير بينه وبين القبلة.

* * *

وقال المؤلف في نفس الفصل : ان الغزالي في قضية حجاب المرأة اللهجة الغالبة عليه هي نبذ المحجبات والداعين للحجاب.

والرد عليه : الخلاف بينكما في تغطية الوجه أو كشفه، وفي النقاب أو عدمه. وليس في كشف جسد المرأة، أو تبرجها. وتغطية الوجه أو كشفه مسألة خلافة، والنقاب أيضاً من المسائل الخلافية.

ففي تفسير ابن كثير : في قوله تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها** ﴾[1] أي لا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب، الا ما لا يمكن اخفاؤه. قال ابن مسعود كالرداء والثياب. يعني : على ما كان يتعاطاه نساء العرب من المقنعة التي تجلل ثيابها. وما يبدو من أسافل الثياب، فلا حرج عليها فيه، لأن هذا لا يمكنها اخفاؤه ونظيره في زي النساء : ما يظهر من ازارها وما لا يمكن اخفاؤه. وقال بقول ابن مسعود : الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وابراهيم النخعي وغيرهم. وقال الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس « ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها » قال : وجهها وكفيها والخاتم.

وروي عن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء والضحاك وابراهيم النخعي وغيرهم نحو ذلك ... ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين. وهذا هو المشهور عند الجمهور. ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه : حدثنا يعقوب بن كعب الأنطاكي ومؤمل بن الفضل الحراني، قالا : حدثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة

---

(١) سورة النور الآية ٣١

ــ رضي الله عنها ــ أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها. وقال : « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا » وأشار الى وجهه وكفيه .. الخ.

* * *

وفي الفصل الخامس وهو موقف الغزالي من الشيعة. يقول المؤلف : أن الغزالي متعاطف مع الشيعة لقوله : « ان الشيعة لا يفترقون عن الجمهور في اعتماد الأصول التي شرحناها. وبعدما سكنت فتن النزاع على الخلافة والشقاق حول شخص الخليفة، أصبح من العبث بقاء هذا التفرق، وأصبح كلام الشيعة لا يزيد عن كلام أي مذهب اسلامي في فقه الأصول والفروع »[1].

والرد عليه : قد سبق في الرد على مؤلف كشف موقف الغزالي من السنة.

* * *

وفي الفصل السادس وعنوانه : الأدب العلمي عند الغزالي بين النظرية والتطبيق. يقول المؤلف. ان الشيخ محمد الغزالي يتلطف مع البابا شنوده رئيس الأقباط الأرثوذكس ... الخ.

والرد عليه : قد سبق في الرد على مؤلف كشف موقف الغزالي.

وفي الفصل السابع وعنوانه نظرات في كتاب السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ينقد المؤلف الشيخ محمد الغزالي في مواقف :

الموقف الأول : البكاء على الميت

يقول المؤلف : ان الشيخ الغزالي يوافق عائشة رضي الله عنها في

---

(١) ص ٦٤ ليس من الاسلام.

انكارها عذاب الميت في قبره ببكاء أهله عليه. ويقول المؤلف : ان العلماء لهم مسالك في فهم هذا الحديث وهو « ان الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » وأصح هذه المسالك ـــ في نظره ـــ المسلك الذي ذهب اليه الامام الطبري والامام ابن تيمية وغيرهما من أهل العلم وهو أن معنى قوله ﷺ « يعذب ببكاء أهله عليه » أي أنه يتألم لبكائهم وحزنهم، لا أن ذلك عذاب القبر أو عذاب الآخرة.

الرد عليه

هذه المسألة تدخل تحت مسألة الروح. هل هي تفنى بفناء الجسد، أم لا تفنى ؟ ومسألة الروح يدخل تحتها عذاب القبر أو نعيمه. لأنه اذا ثبت فناؤها يثبت أن لا عذاب ولا نعيم، واذا ثبت بقاؤها، ثبت العذاب أو النعيم.

فالكلام في الروح هو مقدم على الكلام في انكار عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ لعذاب الميت في قبره ببكاء أهله. فما هو كلام أهل الحديث في الروح ؟ وما هو كلام المتكلمين ؟ وما هو كلام الفلاسفة ؟ وما هو كلام العلم الحديث ؟ وما هو كلام القرآن ؟ كل ذلك واجب بحثه قبل ذكر عذاب الميت ببكاء أهله عليه.

يقول أهل الحديث : ان « زيدا » من الناس مكون من (أ) جسد. (ب)وروح يتنفس بها. (جـ) وروح زائدة، بها يفكر ويدبر. والروح الزائد هي جسم يلف مع الكفن ويدرج فيه. ولا يفنى أبداً. ويسمون الروح الزائدة بالنفس أو بالانسان. وزاد بعضهم روحاً رابعة ـــ كما في شرح الصدور للسيوطي ـــ.

ومحل بحث هذا الموضوع : في الجزء السابع من « المطالب العالية من العلم الالهي »[1] للامام فخر الدين الرازي، وعنوانه « الأرواح العالية

(١) المطالب العالية من العلم الالهي ـــ نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

والسافلة » وفي « الروح » لابن قيم الجوزية. وسوف يجد الباحث : أن ابن القيم نقل عبارات الامام الرازي في الروح بدون فهم، وبتر العبارات بتراً يخرجها عن معناها. وأخذ كل حججه واعتمد عليها، ونقل آراء الناس منه. ثم قال عنه بعد ذلك كله : ان « الرازي » من أهل الضلال.

سجية تلك فيهم غير محدثة ان الخلائق. فاعلم شرها البدع

أما القرآن ــ والعلم الحديث يوافقه ــ فقد أثبت فناء الأرواح قبل خلق أجسادها، وأثبت فناء الأرواح من بعد الموت. وبيان ذلك :

قال تعالى : ﴿ **كما بدأكم تعودون** ﴾[1] : وقال تعالى : ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾[2] وكان البدء مع آدم عليه السلام بخلق جسده أولا، ثم وضع الروح فيه. وذلك واضح من قوله تعالى : ﴿ **فاذا سويته ونفخت فيه من روحي** ﴾[3] فقد أثبت التسوية للجسد أولاً، ثم نفخ فيه الروح ثانياً. وهذا يدل على أن الروح لم تكن موجودة قبل الجسد. وكذلك تكون الاعادة. بخلق الله الأجساد، ثم يرد اليها أرواحاً.

وقد أثبت القرآن وأثبتت المشاهدة وأثبت العلم الحديث : أن الأرواح معدومة من قبل ولادة المرء من بطن أمه. فالانسان اذا جامع امرأته، وحصلت لذة الوقاع، يتدفق من ذكره مني. وهذا المني لم يكن في جسمه منياً قبل الوقاع، وانما كان دماً متولداً من غذاء هو لحوم وخضروات وبقول. وهذا المني الذي تدفق، فيه حيوانات منوية حية كثيرة، لا ترى بالعين المجردة. وحيوان واحد منها هو الذي يلقح بويضة الأنثى. ولا يلقحها الا اذا كان فيه حياة. ثم ينمو رويداً رويداً حتى يصير علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم ان الله يكسو العظام لحماً، ثم ينشئه خلقاً

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٩.

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٤.

(٣) سورة الحجر الآية ٢٩؛ وص ٧٢.

آخر. ثم يصير طفلاً، ثم شاباً، ثم شيخاً. ثم يموت. ثم يبعثه الله في يوم القيامة. وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿ **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم أنكم بعد ذلك لميتون * ثم أنكم يوم القيامة تبعثون** ﴾[1].

فالروح لم تكن موجودة قبل الجسد. وهي كانت في الحيوان المنوي المتولد حال اللذة، ثم نمت وكبرت. واذا مات الجسد، ماتت روحه معه. وأثبت العلم الحديث موتها. وأثبت القرآن موتها وبعثها مع الجسد في يوم القيامة. في قوله: ﴿ **ثم انكم بعد ذلك لميتون * ثم أنكم يوم القيامة تبعثون** ﴾.

هذا عن الروح. من حين تولدها من لذة الوقاع الى حين الموت الى حين البعث.

أما عن المساءلة في القبر والنعيم أو العذاب فيه.

فليس في القرآن من نص محكم على اثبات المساءلة في القبر، ولا من نص محكم على اثبات نعيم أو عذاب فيه.

وقوله تعالى: ﴿ **ثم انكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** ﴾ هو أقوى دليل على منع الحياة في القبر، وذلك لأنه أثبت البعث في القيامة وليس في القبر. وقوله تعالى: ﴿ **يا ويلنا مَنْ بعثنا من مرقدنا** ﴾[2] ؟ يدل على أنهم كانوا فاقدي الأحاسيس في القبور. وقوله تعالى: ﴿ **كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة** ﴾[3]

(١) سورة المؤمنون الآيات ١٢ ــ ١٦.
(٢) سورة يٓس الآية ٥٢.
(٣) سورة آل عمران الآية ١٨٥.

هو نص محكم على أن توفية الأجور لا تكون الا في يوم القيامة وليس في القبور. وقوله تعالى : ﴿ **ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد** ﴾[1] يدل على موعد في يوم محدد معروف للناس جميعاً، وهو ميعاد القيامة.

وفي القرآن آيات متشابهة عن الحياة في القبر. أقواها آية آل فرعون. وهي : ﴿ **النار يُعرَضون عليها غدوًّا وعشيًّا ويومَ تقوم الساعة أدخِلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾[2] فكلمة « النار » تحتمل (أ) النار على الحقيقة. وهي ذات اللهب والدخان. (ب) وتحتمل الكناية عن آلام النفس وضيق الصدر، بسبب الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. والمتفق مع المحكم هو المعنى الكنائي.

وقد قال بعض المفسرين بأن آية آل فرعون ليست نصاً في اثبات عذاب القبر. وهذا مذكور في تفسير الرازي والقرطبي وابن كثير — رضي الله عنهم — وقال بعض المفسرين في آية الشهداء : انهم ليسوا الآن أحياء، بل سيكونون أحياء. وذلك لأن وعد الله لا بد من تحققه، ولأن المدة من القبر الى القيامة، كأنهم ﴿ **لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها** ﴾[3]

ومن الممكن القول في ﴿ **اليوم تجزون عذاب الهون** ﴾ : انه يوم القيامة. على معنى أن الكلام يتم على ﴿ **أخرجوا أنفسكم** ﴾ أي أنه استأنف كلاماً جديداً. وهو « اليوم » أي يوم القيامة « تجزون عذاب الهون » لا يوم القبر. والنص هو : ﴿ **ولو ترى إذ الظالمون في غَمَرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون** ﴾[4] وعبر باليوم في كلام مستأنف. لأن المدة من حال الموت الى

---

(١) سورة القصص الآية ٨٥.
(٢) سورة غافر الآية ٤٦.
(٣) سورة النازعات الآيات ٤٦.
(٤) سورة الأنعام الآية ٩٣.

حال القيامة هي كلا مدة، اذ الاحساس فيها مفقود.

والدليل على فقدان الاحساس : أن الكافرين لما سئلوا : ﴿ **كم لبثتم في الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم** ﴾[1] وأن المؤمنين أهل الكهف لما سئلوا : ﴿ **كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم** ﴾[2] والمار على قرية « القدس » ــ التي هي عند اليهود أورشليم ــ قيل له : ﴿ **كم لبثتَ قال لبثت يوماً أو بعض يوم** ﴾[3] فالمدة غير معتبرة من حال الموت الى حال البعث. وذلك يفسر ﴿ **اليوم تجزون عذاب الهون** ﴾ بيوم القيامة.

ومن النصوص المحكمة في القرآن على نفي عذاب القبر : قوله تعالى حكاية عن الكافرين : ﴿ **ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين** ﴾[4] حياة الدنيا وحياة الآخرة. وقد كان الانسان في حالة العدم قبل ولادته من بطن أمه والعدم موت، ثم يحيا في الدنيا ويموت ويدخل القبر. فلو كان في القبر حياة، لكان لكل انسان ثلاث حياتات وثلاث موتات. وهذا يكذب الآية. ونفي عذاب القبر خير من تكذيب الآية. لأن من يكذب آية يكفر ويخرج عن ملة الاسلام، ومن يكذب بعذاب القبر لا يكفر ــ على رأي مثبتيه ــ لأن له فيه شبهة.

والآن الى الأحاديث :

اولاً ــ أحاديث نفي عذاب القبر

قال الامام أحمد ثنا هاشم ــ هو ابن القاسم أبو النضر ــ ثنا اسحق ابن سعيد ــ هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص ــ ثنا سعيد ــ يعني

(١) سورة المؤمنون الآيتان ١١٢، ١١٣.

(٢) سورة الكهف الآية ١٩.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٩.

(٤) سورة غافر الآية ١١.

أباه ــ عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة رضي الله عنها اليها شيئاً من المعروف الا قالت لها اليهودية : وقاك الله عذاب القبر، قالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ : فدخل رسول الله ﷺ علي. فقلت : يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟ قال ﷺ : « لا. من زعم ذلك ؟ » قالت : هذه اليهودية لا أصنع اليها شيئاً من المعروف الا قالت : وقاك الله عذاب القبر. قال ﷺ : « كذبت يهود. وهم على الله أكذب. لا عذاب دون يوم القيامة ».

وروى أحمد ومسلم : ثنا يزيد ثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألتها امرأة يهودية فأعطتها فقالت لها : وقاك الله من عذاب القبر. فأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك، فلما رأت النبي ﷺ قالت له . فقال ﷺ : « لا ».

ثانياً ــ احاديث اثبات عذاب القبر

في صحيح البخاري حدثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة : سمعت الأشعث عن أبيه عن مسروق عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر. فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر. فقال : نعم عذاب القبر. قالت عائشة رضي الله عنها : فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوّذ من عذاب القبر » زاد غندر : « عذاب القبر حق ».

يقول ابن حجر في شرحه لهذا الحديث : وقع في رواية أبي وائل عن مسروق عند المصنف في الدعوات : « دخلت عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا : ان أهل القبور يعذبون في قبورهم » وزاد في رواية أبي وائل : فكذبتها. ووقع عند مسلم من طريق ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت : « دخلت عليّ امرأة من اليهود وهي تقول : هل شعرت

أنكم تفتنون في القبور ؟ قالت فارتاع رسول الله ﷺ وقال : انما يفتن يهود. قالت عائشة : فلبثنا ليالي. ثم قال رسول الله ﷺ : هل شعرت أنه أُوحي الي أنكم تفتنون في القبور ؟ قالت عائشة فسمعت رسول الله ﷺ يستعيذ من عذاب القبر. وبين هاتين الروايتين مخالفة. لأن في هذه أنه ﷺ أنكر على اليهودية وفي الأولى أنه أقرها ... الخ.

* * *

وليس ههنا محل الكلام في اثبات عذاب القبر أو نفيه. وهو من المسائل الخلافية بين المسلمين كما قال ابن حجر في فتح الباري، وإنما غرضنا من ذكر هذا الذي ذكرناه : هو أن رد عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ لحديث عذاب الميت ببكاء أهله في القبر، هو رد يرجع احدى الروايتين عنها. وهما : رواية الامام أحمد في نفي النبي لعذاب القبر، ورواية الامام البخاري في اثبات النبي لعذاب القبر. والروايتان عن عائشة.

وتصحيحها أيضاً ما أنتم بأسمع بما أنتم بأعلم في رواية ابن عمر هو للترجيح ايضاً. فعن ابن عمر : أن النبي ﷺ وقف على قليب بدر. فقال : هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ ثم قال : انهم الآن يسمعون ما أقول. فذكروه لعائشة رضي الله عنها فقالت : لا. بل قال : « انهم ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق » فرواية يسمعون نص في عذاب القبر. اذ السماع يدل على الحياة. ورواية يعلمون ليست نصاً في عذاب القبر، بل هي حكاية حال عن صدق النبي ﷺ. وذلك لأن المدة من القبر الى القيامة كأنهم « لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها » ولقصرها عبر بالعلم ولم يعبر بالسماع.

وقول قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً. هو قول مردود بقول الله تعالى : ﴿ **قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل** ﴾[1] ؟ فقد

---

(١) سورة غافر الآية ١١.

أثبت موتتين اثنتين، لا موتات ثلاث، وأثبت حياتين اثنتين، لا حياتات ثلاث.

الموقف الثاني ــ قصة موسى وملك الموت

انكر الشيخ محمد الغزالي أن يضرب موسى عليه السلام ملك الموت ويفقأ له عينه.

وقد سبق الرد.

الموقف الثالث : قصة المجبوب الذي كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ

وقد أنكرها الشيخ محمد الغزالي. ومثل هذه القصة في الوقاحة على بيت النبوة : قصة المخنث الذي كان يدخل بيوت النبي بلا اذن. ففي البخاري وفتح الباري :

١ ــ حدثنا محمد بن بشار، عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ قال : جاءت امرأة من الأنصار الى النبي ﷺ فخلا بها. فقال : « والله إنكم لأحب الناس الي »[1].

لاحظ قول الراوي : « فخلا بها » ولاحظ قوله : « إنكم لأحب الناس الي ».

٢ ــ وعن أم سلمة أن النبي ﷺ كان عندها وفي البيت مخنث. فقال المخنث لأخي أم سلمة عبد الله بن أبي أمية : ان فتح الله لكم الطائف غدا، أدلك على ابنة غيلان، فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان. فقال النبي ﷺ : « لا يدخلن هذا عليكم ».

---

(١) فتح الباري ج ١٩ ص ٣٩٧.

والاشكال : هو في وجود المخنث في بيت النبي ﷺ وهو القائل : « اشتد غضب الله على قوم رغبوا عن خلق الله وتشبهوا بالنساء » وهو المخنث الراغب عن خلق الله قد اطلع على بيوت فيها نساء ورأى منهن من تقبل بأربع وتدبر بثمان. كناية عن الحسن. وفي فتح الباري أثناء الشرح : وذكر ابن الكلبي في الصفة المذكورة زيادة بعد قوله وتدبر بثمان : بثغر كالأقحوان، ان قعدت تثنت، ان تكلمت تغنت، وبين رجليها مثل الاناء المكفو وزاد المديني : أسفلها كثيب وأعلاها عسيب. وفي رواية يزيد بن رومان : قال له النبي ﷺ : « ما لك قاتلك الله ؟ ان كنت لأحسبك من غير أولي الأربة من الرجال » وسيره الى « خاخ ».

الموقف الرابع ــ نعي الموتى

فان الشيخ محمد الغزالي ينهى عن نعي الموتى. أي تعديد مآثر الميت حال موته. والمؤلف يقول : جاءت عدة أحاديث في منعه، وجاءت أحاديث أخرى في فعله. فعلى قوله فالمسألة خلافية.

الموقف الخامس ــ سكنى الشام

يقول المؤلف : ان كلام الشيخ محمد الغزالي يوهم بأن الأحاديث الواردة في فضائل بلاد الشام ضعيفة. ويقول المؤلف : ان ما ورد في الشام هو صحيح. والمؤلف دل بقوله على أنه لم يقرأ أسباب الوضع في الحديث.

الموقف السادس ــ اجبار البكر

يقول الشيخ محمد الغزالي : « اتفق المحدثون على أن رسول الله ﷺ قال : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن » ومع هذا فان الشافعية والحنابلة أجازوا أن يجبر الأب ابنته البالغة على

الزواج بمن تكره، ولا ترى وجهة النظر هذه الا انسياقاً مع تقاليد اهانة المرأة وتحقير شخصيتها »[1].

ويقول المؤلف : أنا أوافق الشيخ على أن الحديث صحيح، وعلى أن نقله عن الشافعية صحيح. ولا أوافقه على أن نقله عن الحنابلة صحيح، فإن الامام أحمد له روايتان في المسألة احداهما أنه لا يجوز أن تجبر البكر البالغة على النكاح ولا تزوج الا برضاها.

الموقف السابع : الحجاب

وسبق الكلام فيه.

الموقف الثامن ـ هل تزوج المرأة نفسها ؟

أباح الشيخ محمد الغزالي أن تزوج المرأة نفسها، ورد حديث : « أيما امرأة انكحت نفسها فنكاحها باطل باطل باطل » ومنع المؤلف من ذلك وقال : الذي وقفت عليه في كتب الأحناف : أن أبا حنيفة فعلا يجيز عقد النكاح بدون ولي، ولكن خالفه في ذلك بعض تلاميذه كأبي يوسف ومحمد وغيرهما. فلهم في ذلك أقوال أخرى. أي أن المسألة خلافية.

الموقف التاسع ـ صلاة المرأة في المسجد

وافق الشيخ محمد الغزالي على صلاة النساء في المساجد جماعات، ورد حديث يأبى على النساء حضور الجماعات كلها، ويطلب من المرأة اذا أرادت الصلاة في بيتها أن تختار المكان الموحش المعزول. وقال الناقد : ليس في الحديث منع النساء من حضور الجماعات، بل ولا في

---

(١) من الممكن الاستدلال على عدم اجبار المرأة على الزواج ممن لا تريده بقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً** ﴾ أي تتزوجوهن وهن كارهات لكم.

غير هذا الحديث. وليس في الحديث طلب الصلاة في المكان الموحش المظلم المعزول. أي أن الناقد رد الأحاديث المانعة، كما ردها الشيخ محمد الغزالي.

الموقف العاشر ـ التسمية على الوضوء وأحاديث العقل

قال الشيخ محمد الغزالي : ان حديث : « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » قد أوجب التسمية. وفقهاء المذاهب قد خالفوا الوجوب وقالوا : ان التسمية سنة.

وقال المؤلف : كلام الشيخ صحيح. ولكن صح عن الامام أحمد في رواية وصح عن الحسن البصري واسحق بن راهويه والظاهرية والقاضي أبي يعلى وجمع من الصحابة واختاره جمع من العلماء : أن التسمية على الوضوء واجب.

الموقف الحادي عشر ـ احاديث الآحاد

وقد سبق الحديث فيها.

الموقف الثاني عشر : الغناء

يبيح الشيخ محمد الغزالي الغناء من الرجال أو من النساء بشرط عدم اثارة الغرائز الجنسية[1]، وبشرط أن يكون الكلام حسناً.

فقد أباح أغنية لأم كلثوم فيها :

ويا رب هل تغني عن العبد حجة وفي العمر ما فيه من الهفوات ؟

والمؤلف يقول : ان الغناء حرام من الرجال والنساء.

(١) ربما أخذ شرط عدم اثارة الغرائز الجنسية من المفهوم من قوله تعالى : ﴿ **فلا تخضعن بالقول، فيطمع الذي في قلبه مرض** ﴾.

الرد عليه :

هل تحريم الغناء بنص قرآني أم بأحاديث آحاد ؟ وليس في القرآن نص على تحريم الغناء. وقوله تعالى : ﴿ **لهو الحديث** ﴾[1] في سورة لقمان يحتمل معنيين. إن أخذت أحدهما، أخذت أنا الآخر. وتصير المسألة خلافية. وأحاديث الآحاد ليست حجة لا على الموافق ولا على المخالف.

في تفسير ابن كثير ــ رحمه الله ــ في قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله** ﴾[2] قال ابن مسعود : ان اللهو هو الغناء وبقوله قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومكحول وعمرو بن شعيب وعلي بن بذيمة والحسن البصري. وقيل : ان المراد بقوله ﴿ **يشتري لهو الحديث** ﴾ اشتراء المغنيات من الجواري. وقال الضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير : ان المراد باللهو : كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله.

* * *

وهذا هو حكم الغناء في تفسير القرطبي رحمه الله :

استدل العلماء على كراهة الغناء والمنع منه بقوله تعالى : ﴿ **لهو الحديث** ﴾ وبقوله تعالى : ﴿ **وأنتم سامدون** ﴾[3] على معنى اسمدي لنا : غنى لنا بالحميرية ــ في رواية عن ابن عباس ــ ويقول تعالى : ﴿ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك** ﴾[4] قال مجاهد : الغناء والمزامير. وفي ﴿ **لهو الحديث** ﴾ قيل: انه الغناء. وقيل : هو الكفر والشرك.

---

(١) سورة لقمان الآية ٦.
(٢) سورة لقمان الآية ٦.
(٣) سورة النجم الآية ٦١.
(٤) سورة الإسراء الآية ٦٤.

والغناء المعتاد

الذي يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن. فهذا النوع اذا كان في شعر يتسبب فيه بذكر النشاء ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات، لا يختلف في تحريمه، لأنه اللهو والغناء المذموم ــ بالاتفاق ــ فأما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفرح، كالعرس والعيد وعند التنشيط على الأعمال الشاقة. كما كان في حفر الخندق وحدو أنجشة، وسلمة بن الأكوع. فاما ما ابتدعته الصوفية اليوم من الادمان على سماع المغاني بالآلات المطربة من الشبابات والطار والمعازف والأوتار فحرام. قال ابن العربي : فأما طبل الحرب فلا حرج فيه، لأنه يقيم النفوس ويرهب العدو. وفي اليراعة ــ وهي مزمار الراعي ــ تردد. والدف مباح. قال القشيري : ضرب بين يدي النبي ﷺ يوم دخل المدينة. فهمَّ أبو بكر بالزجر. فقال رسول الله ﷺ : « دعهن يا أبا بكر حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح » فكن يضربن ويقلن :

نحــــن بنـــــات النجـــــار حبـــــذا محمـــــدا من جار

وقد قيل : ان الطبل في النكاح كالدف، وكذا الآلات المشهرة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن فيه رفث.

الاشتغال بالغناء

والاشتغال بالغناء على الدوام سفه، ترد به الشهادة، فإن لم يدم، لم ترد. وذكر اسحق بن عيسى الطباع قالت : سألت مالك بن أنس عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء. فقال : انما يفعله عندنا الفساق. وذكر أبو الطيب ــ طاهر بن عبد الله الطبري ــ قال : أما مالك بن أنس، فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه. وقال : اذا اشترى جارية ووجدها مغنية كان له ردها بالعيب. وهو مذهب سائر أهل المدينة. الا ابراهيم بن سعد فانه

حكى عنه زكريا الساجي : أنه كان لا يرى به بأساً. وقال ابن خويز منداد : فأما مالك. فيقال عنه : انه كان عالماً بالصناعة وكان مذهبه تحريمها. وروي عنه : أنه قال : تعلمت هذه الصناعة وأنا غلام شاب. فقالت لي أمي : أي بني ان هذه الصناعة يصلح لها من كان صبيح الوجه، ولست كذلك. فاطلب العلوم الدينية. فصحبت ربيعة فجعل الله في ذلك خيراً. قال أبو الطيب الطبري : وأما مذهب أبي حنيفة فإنه يكره الغناء مع اباحته شرب النبيذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب. وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة ابراهيم والشعبي وحماد والثوري وغيرهم. لا اختلاف بينهم في ذلك. وكذلك لا يعرف بين أهل البصرة خلاف في كراهية ذلك والمنع منه. الا ما روي عن عبيد الله بن الحسن العنبري أنه كان لا يرى به بأساً. قال : وأما مذهب الشافعي فقال : الغناء مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته. وذكر أبو الفرج الجوزي عن امامه أحمد بن حنبل ثلاث روايات. قال : وقد ذكر أصحابنا عن أبي بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز اباحة الغناء. وانما أشاروا الى ما كان في زمانهما من القصائد الزهديات. قال : وعلى هذا يحمل ما لم يكرهه أحمد.

سماع القينات

قال القاضي أبو بكر بن العربي : وأما سماع القينات. فيجوز للرجل أن يسمع غناء جاريته. اذ ليس شيء منها عليه حراماً، لا من ظاهرها ولا من باطنها، فكيف يمنع من التلذذ بصوتها ؟

[انتهى بنصه من تفسير القرطبي].

الموقف الثالث عشر : حديث خباب في البناء

قال الشيخ محمد الغزالي : ان خباب بن الارت قال : « ان أصحابنا الذين سلفوا ومضوا لم تنقصهم الدنيا، وانا أصبنا ما لا نجد له موضعاً الا

التراب » ثم يقول خباب : « ان المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه الا في شيء يجعله في هذا التراب » وكلام خباب عليه مسحة تشاؤم. ولا يجوز أن نعد البناء رذيلة فقد يكون فريضة.

ويقول الناقد : ان نص الحديث هو

عن قيس بن أبي حازم قال : دخلنا على خباب نعوده وقد اكتوى سبع كيات. فقال رضي الله عنه : « ان اصحابنا الذين سلفوا ومضوا. مضوا ولم تنقصهم الدنيا. وأنا أصبنا ما لا نجد له موضعاً الا التراب. ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به » قال : ثم أتيناه مرة أخرى وهو يبني حائطاً له. فقال : « ان المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه الا في شيء يجعله في هذا التراب » ثم قال المؤلف : فخباب بنى حائطاً. وهذا يؤكد أنه ما كان متشائماً حين قال هذه الكلمة. وليس في كلام خباب ما يومئ الى أن البناء رذيلة.

الرد عليه

ان هذا الحديث ومثله كثير وضعه الذين تظاهروا بالاسلام من أهل الكتاب ليمنعوا المسلمين من عمارة الدنيا. والشيخ الغزالي قد نبه على هذا في أكثر من كتاب، وسخر من الشاعر الذي يقول :

جرى قلم القضاء بما يكون ... فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق ... ويرزق في غشاوته الجنين

الموقف الرابع عشر : المس (أي تلبس الجني بالانس)

يقول الشيخ محمد الغزالي : « عندما تناقلت الصحف أن الشيخ عبد العزيز بن باز أخرج شيطاناً بوذياً من أحد الأعراب، وأن هذا الشيطان أسلم، كنت أرقب وجوه القراء وأشعر في نفوسهم مدى المسافة بين العلم والدين ».

والرد على المؤلف قد سبق في الرد على نظيره. وهو أن لهذه المسألة جانبين :

الأول : هل الجن يدخل بدن الانسان ؟

والثاني : اذا كان الداخل شيطاناً فهل يسلم ؟

أما دخول الجن بدن الانسان فهذا صحيح ومؤكد. والداخل لا يكون الا شيطاناً أو شيطانة. واما اسلامه فلا. وان صرح بأنه أسلم، فهو من قبيل الخداع والتضليل[1]. وتعجب الشيخ الغزالي هو من الشيخ عبد العزيز باز، لأنه خدع بقول الشيطان وصدقه. والشيطان لا يسلم.

الموقف الخامس عشر : النذر

يقول الشيخ محمد الغزالي : أن ابن عمر روى عن النبي ﷺ نهيه عن النذر. وأنا أقول : ان النذر المنهيّ عنه هو النذر المشروط مثل أن يقول : لله عليَّ كذا ان شفيت من مرضي. أما النذور الأخرى التي هي في طاعة الله، فلا حرج فيها.

ويقول المؤلف : ان النذر منهي عنه ومحرم سواء كان مشروطاً أو غير مشروط.

الرد عليه

قال الله تعالى : ﴿ **وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه** ﴾[2] وهو لم يفرق بين المشروط وغير المشروط. ولم يحرم النذر ولم ينه عنه. لكن المشروط فيه سوء أدب مع الله تعالى.

---

(١) راجع كتاب علم السحر بين المسلمين وأهل الكتاب ــ نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٧٠.

الموقف السادس عشر : الدعوة قبل القتال

يقول الشيخ محمد الغزالي : عن عبد الله بن عون : كتبت الى نافع ــ رحمه الله ــ أسأله عن الدعاء قبل القتال ــ يعني عن دعوة الناس الى الاسلام قبل مقاتلتهم. قال : فكتب الي : إنما كان ذلك في أول الاسلام وقد أغار النبي ﷺ على بني المصطلق وهم غارون. ونافع مخطئ فدعوة الناس الى الاسلام قائمة ابتداء وتكراراً. وقد أخطأ نافع في روايته عن إبن عمر أن قوله تعالى : ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾[1] نزلت في رجل أتى امرأته في دبرها، فشق ذلك عليه.

وقال الناقد : لا يصح للشيخ محمد الغزالي أن يصف نافعاً بالمخطئ. وأن الدعوة قد بلغت الناس أولاً، ثم أغار النبي على بعض القبائل بعد سنين من تبليغ الدعوة.

الرد عليه

أولاً : الشيخ محمد الغزالي اذا قال ان الصحابي مخطئ، فهو لا يقصد الصحابي، وإنما يقصد الراوي الذي كذب على الصحابي. وهذا مشهور عنه من أكثر من كتاب. ومفهوم من كلامه في التهوين من أحاديث الآحاد اذ انها لو كانت من كلام رسول الله، ما رد بعضها. وهو بعضها، لأنها كلام الرواة. فاذا قال أخطأ نافع فهو لا يقصد نافع، بل الرواة الكذابون الذين كانوا في عصر المأمون رضي الله عنه.

ثانياً : دفاع المؤلف في غير موضعه. وذلك لأن التبليغ ليس هو السبب في شن الهجوم على المخالف. والسبب في شن الهجوم هو : رغبة المخالف في العدوان. وبيان ذلك : أن المسلمين مأمورون بتبليغ الدعوة. فاذا سمعها الكافر وأسلم، فقد صار من جماعة المسلمين. واذا

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٣.

سمعها ولم يسلم. ينظرون في حاله. فاذا لم يسلم وسالم. فإنه لا يحق لهم قتاله ولا الاغارة عليه، واذا لم يسلم وتصدى للمسلمين بالحرب، ففي هذه الحالة يحل قتاله والاغارة عليه. وذلك واضح من قوله تعالى: ﴿ **فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً** ﴾[1] والكتابي حكمه حكم الكافر الا أنه يدفع الجزية في حال المسالمة. لقوله تعالى: ﴿ **حتى يعطوا الجزية** ﴾[2] وعلى هذا فالحديث باطل ودفاع الناقد باطل.

وهذه هي عبارة الناقد: « نظراً لأن الاسلام أول الأمر كان غير منتشر: فانهم كانوا يستخدمون مع كل قبيلة أن يقفوا ثم يدعوهم الى الاسلام. فإن أجابوا والا قاتلوهم. فلما انتشر الاسلام وعلمت به جميع القبائل العربية في الجزيرة، استغنوا بذلك وأغاروا على بعض القبائل دون انذار مسبق باعتبار أن هذه القبيلة عرفت الاسلام وأبت الانصياع له ... الخ »[3].

وأين حكم المسالمة مع الكفر؟

ثالثاً: وطء المرأة في دبرها. أطال الكلام فيه الحافظ ابن كثير – رضي الله عنه – في تفسيره، وخطأ فيه الرواة. كما خطأهم الشيخ محمد الغزالي – رضي الله عنه – بل أثر عن « نافع » نفسه قوله: ان الرواة كذبوا علي.

الموقف السابع عشر: أحاديث الزهد

يقول الشيخ الغزالي: « قرأت خمسين حديثاً ترغب في الفقر وقلة

---

(١) سورة النساء الآية ٩٠.

(٢) سورة التوبة الآية ٢٩.

(٣) ص ١٢٨ – ١٢٩ حوار هادئ مع محمد الغزالي.

ذات اليد وفضل الفقراء والمساكين والمستضعفين وحبهم ومجالستهم، كما قرأت سبعة وسبعين حديثاً ترغب في الزهد في الدنيا والاكتفاء منها بالقليل، وترهب من حبها والتكاثر فيها والتنافس وقرأت سبعة وسبعين حديثاً أُخر في عيشة السلف، وكيف كانت كفافا. ذكر ذلك كله المنذري في الترغيب والترهيب، وهو من أمهات كتب السنة ».

ويقول المؤلف : وماذا في ذلك ؟

الرد عليه

ولماذا تنتقد أهل التصوف في إهمالهم عمارة الدنيا ؟

الموقف الثامن عشر : حديث الساق

يقول الشيخ الغزالي : ان الحديث الذي فيه أن الله تعالى يكشف عن رجله في يوم القيامة حديث ضعيف. وذلك لأن الله تعالى ليس جسماً. واذا قلنا : ان الذي يكشف رجله ملك من الملائكة نيابة عن الله، فليس من قرينة على هذا القول. وقوله تعالى : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾[1] هو كناية عن شدة هول القيامة.

ويقول المؤلف : صفة الساق لله عز وجل ثابتة لله تعالى بالقرآن والسنة.

الرد عليه

وصفة النسيان لله عز وجل ثابتة لله تعالى بالقرآن والسنة وكذلك صفة الأسف والاستيحاء والمكر والخداع. فهل تثبت أيها الحاسد ان الله ينسى على الحقيقة ويتأسف ويستحي ويمكر ويخدع على الحقيقة ؟ هل تثبت

---

(١) سورة القلم الآية ٤٢.

هذه الصفات وتنفي التشبيه ؟ أليس في القرآن الكريم : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾[1] ؟

أيها الناقد : ان السلف مجسمون وأنت مجسم. وقد شبهوا الله بانسان، كما شبهته التوراة بانسان، ففي الأصحاح الأول من سفر التكوين : « وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض. فخلق الله الانسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم » [تك ١ : ٢٦ ـــ ٢٧] الا أن علماء بني اسرائيل ينزهون الله تعالى عن الجسمية ويصرحون بأنه ليس جسماً. وذلك لقوله في الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية : « ليس مثل الله » [تث ٣٣ : ٢٦].

الموقف التاسع عشر : احاديث قطع الصلاة

قال الشيخ محمد الغزالي : ان حديث يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب الأسود حديث ضعيف وذلك لأن النبي ﷺ كان يصلي وزوجته عائشة مضطجعة أمامه، كما أن ابن عباس مر بحمار كان يركبه أمام جماعة.

وقال المؤلف : ان حديث يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب الأسود صحيح. وحديث : لا يقطع الصلاة شيء حديث ضعيف. وقال ان ابن تيمية يستثني المرأة.

الرد عليه

الشيخ الغزالي ضرب حديثاً بحديث. أي ضعف حديثاً وقوى حديثاً.

---

(١) سورة الشورى الآية ١١.

والمؤلف فعل نفس الشيء. وليس أخذ أحدهما بأولى من ترك الآخر. وعليه يتعين الرجوع الى القرآن. وليس فيه أن الصلاة يقطعها شيء.

الموقف العشرون : حديث الرضعات

ذكر الشيخ الغزالي ان مالكاً ـ رضي الله عنه ـ روى حديث عائشة وهو « كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات. وتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن » وقال الامام مالك : ليس على هذا العمل. ورفض الحديث. ونحن نؤكد مرة ومرتين على أنه ليس لروايات الآحاد أن تشغب على المحفوظ من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أو أن تعرض حقائق الدين للوهم والريب.

وقال المؤلف : هل هذه الرواية تشغب على المحفوظ من كتاب الله ؟ ان كان قصد الشيخ أنها تقول : توفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن. فهذا ليس فيه اشكال يدعو الى رد الحديث فالمقصود : أن هذا الحكم ـ وهو عشر رضعات ـ أخر نسخه الى آخر حياة النبي ﷺ.

الرد عليه

النزاع يتخلص في نسخ حديث بحديث. حديث يثبت ان عدد الرضعات كان عشراً، وحديث يثبت أن عدد الرضعات صار خمساً. وهو نزاع إلهي عن النص القرآني الواجب الاتباع. والنص هو : ﴿ **وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم** ﴾[1] وليس فيه بيان العدد. وفي الأحاديث ما يوافقه.

ولو أنهم قالوا : حديث الرضعات العشر نسخ بالنص القرآني، لكان

---

(١) سورة النساء الآية ٢٣.

قولهم مستساغاً في العقول. اذ القرآن ينسخ السنة. وحديث كان فيما أنزل هو من السنة.

وكلام الأئمة في النسخ محمول ــ في الأظهر ــ على الموجود، لا على المفقود. أي في القرآن الذي نحفظه والأحاديث المدونة في الكتب. وقد قال الامام الشافعي : « وأبان الله لهم : أنه انما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب » وهل قال الشافعي رضي الله عنه بجواز نسخ الكتاب بالسنة أم لا ؟ ونص عبارته تدل على الايجاب والنفي. وهي : « وأبان الله لهم أنه انما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب، وأن السنة لا ناسخة للكتاب، وإنما هي تبع للكتاب بمثل ما نزل نصا، ومفسرة معنى ما أنزل الله منه جملا »[1] ونسخ السنة بالكتاب تدل عبارته فيها على الايجاب والنفي. وهي : « وهكذا سنة رسول الله لا ينسخها الا سنة لرسول الله. ولو أحدث الله لرسوله في أمر، سن فيه غير ما سن رسول الله، لسن فيما أحدث الله اليه، حتى يبين للناس : أن له سنة ناسخة للتي قبلها مما يخالفها ... الخ ».

فلماذا يرد المؤلف على الشيخ الغزالي بما ليس متفقاً عليه ؟ فانه رد سنة بسنة. وقد اشترط الخمس رضعات عدد من الأئمة كابن مسعود وعائشة وابن الزبير وعطاء وطاووس وسعيد والليث بن سعد والشافعي وأحمد ــ في ظاهر المذهب ــ واسحق وابن حزم.

وقول الناقد : « توفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن » يدل على أن القرآن قد ضاعت منه آيات. اذ المصحف الذي نحفظه الآن ليس فيه عشر رضعات. فأين ذهبت بعد وفاة الرسول ﷺ ؟ أين ذهبت يا من تتهم الشيعة بتحريف القرآن ؟ أليست هذه الرواية مثل روايات أخرى تطعن في القرآن ؟

---

(١) الرسالة ص ١٠٦ ــ ١٠٨.

روي أن عائشة ــ رضي الله عنهـا ــ سئـلت عن هذه الآية : ﴿ **والمقيمين الصلاة** ﴾[1] ــ وعن قوله : ﴿ **ان هذان لساحران** ﴾[2] وقوله : ﴿ **والصابئون** ﴾[3] في سورة المائدة فقالت للسائـل : يا ابـن أخي. الكتاب أخطئوا. وقال ابان بن عثمان : كان الكاتب يملي عليه، فيكتب. فكتب « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون » ثم قال : ما أكتب ؟ فقيـل له : اكـتب : « والمقيميـن الصلاة » فمـن ثم وقـع هذا »[4] أ.هـ.

وبعد ذلك نقول :

ذهب أكثر الأئمة : الى أنه لا يحرم من الرضاعة، الا ما كان دون الحولين، لقوله ﷺ : « لا يحرم من الرضاع الا من فتق الأمعاء في الثدي، وكان قبل الفطام » أي قبـل تمـام الحوليـن، لقولـه تعالـى ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمـن أراد أن يتـم الرضاعة** ﴾[5] وقد روي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت ترى رضاع الكبير يؤثر في التحريم وتحتج في ذلك بحديث سالم مولى أبي حذيفة حيث أمر النبي ﷺ امرأة أبي حذيفة أن ترضعه وكان كبيراً ــ شهد معركة بدر ــ فكان يدخل عليها بتلك الرضاعة.

ومعنى هذا : أن رجلاً لو دخل على زوجه، والحال أن معها رجلاً يمص ثديها على انفراد في خلوة، واتهمها بالزنا، لأجابت بأنني أرضعه لكي أكون له أما ويكون لي ابناً، ليدخل علي ويخرج كما يشاء وأشاء وهذا الحكم الثابت سنده في الصحيحين لا تكون للبيوت حرمة.

---

(١) سورة النساء الآية ١٦٢.
(٢) سورة طه الآية ٦٣.
(٣) سورة المائدة الآية ٦٩.
(٤) تفسير القرطبي في سورة النساء، وفي تفسير الطبري بابن اختي.
(٥) سورة البقرة الآية ٢٣٣.

الموقف الحادي والعشرون : مسح الله على ظهر آدم

ذكر الشيخ الغزالي ما رواه الترمذي عن عمر مرفوعاً وهو أن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال : هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح على ظهره فاستخرج منه ذرية وقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون. وعلى الشيخ الغزالي على الرواية بقوله : وهذا السياق يكاد أن يكون نصًّا فيه الجبر ولذلك نرفضه.

وقال المؤلف : ان الحديث ضعيف. فلا داعي للاشتغال بالكلام فيه. ولم يفهم المؤلف مراد الشيخ الغزالي. ومراده ليس رد الحديث، بل رد معناه. بدليل أنه ضعف نظيراً له في المعنى. والمؤلف قوى النظير. قوى ما في صحيح البخاري : وهو حدثنا عثمان قال حدثني جرير عن منصور، عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد. فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته. ثم قال : ما منكم من أحد. ما من نفس منفوسة الا كتب مكانها من الجنة والنار. والا قد كتبت شقية أو سعيدة. فقال رجل : يا رسول الله. أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان منا من أهل السعادة، فسيصير الى عمل أهل السعادة، وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير الى عمل أهل الشقاوة. قال : أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة. ثم قرأ : ﴿ **فأما من أعطى واتقى** ﴾[1] الآية.

هذا نص حديث في البخاري برقم ١٣٦٢ وقال في شرحه الحافظ ابن حجر : « عظيم في اثبات القدر ».

الموقف الثاني والعشرون : اطفال المسلمين يوم القيامة

رد شيخنا الشيخ محمد الغزالي حديثاً مروياً عن عائشة وهو : أن

---

(١) سورة الليل الآية ٥.

الرسول ﷺ دعي الى جنازة من الأنصار. فقالت عائشة رضي الله عنها : طوبى لهذا. عصفور من عصافير الجنة. فقال النبي ﷺ : « أو غير ذلك يا عائشة ؟ ان الله خلق للجنة أهلا. خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ».

وقال المؤلف : حديث عائشة صحيح. رواه مسلم وأبو داود والنسائي. وهل في هذا الحديث مشكلة كما يقول الشيخ ؟

الرد عليه

أنت أيها المؤلف لم تفطن لمراد الشيخ محمد الغزالي ـــ رضي الله عنه ـــ ومراده : هو انكار الجبر. وليس مراده : رد الحديث في حد ذاته. وأنت قد وافقته في مراده لما ضعف حديث الترمذي عن عمر. ومن يضعف حديثاً، يلزمه تضعيف غيره في معناه، لأن طرق أحاديث الجبر كلها واحد، والشك ظاهر فيها للعامي والعالم. هذا من جهة. ومن جهة أخرى : أنت جبري. صرحت أم لم تصرح. والشيخ محمد الغزالي يقول : ان علم الله لا يتغير. وعدم العلم يدل على الجبر. كما بينا من قبل. الا أن يقول بقول أبي الحسين البصري ـــ رضي الله عنه ـــ وهو أن العلم بأن الشيء سيوجد هو نفس العلم بوجوده حال ما يصير موجوداً قال : إن مجرد العلم بأن الشيء سيقع، لا يكون علماً بوقوعه اذا وقع. فان من علم أن « زيدا » سيدخل البلد غداً، ثم أنه جلس في بيت مظلم لا يميز فيه بين الليل والنهار وبقي مستديماً لذلك العلم حتى جاء الغد ودخل « زيد » البلد. فهاهنا هذا الشخص بمجرد علمه بأن زيدا سيدخل البلد غدا، ولا يصير عالماً بأنه دخل الآن في البلد. فثبت بهذا : أن العلم بأن الشيء سيوجد غداً، لا يكون نفس العلم بوجوده اذا وجد. بلى من علم أن زيدا سيدخل البلد غداً، ثم علم حصول الغد، فحينئذ يتولد من هذين

العلمين علم ثالث وهو العلم بأن زيدا دخل البلد الآن[1].

والمعتزلة لا يقولون بالجبر. لا تصريحاً ولا تلميحاً. ولا يقولون بأن المسلم العاصي سيعذر في الآخرة بالجبر. ويجوزون الخروج على الامام الفاسق، لأنهم لا يعذرونه. اذا قال : هذا قد كتبه الله علي وأجبرني عليه والسلفيون يقولون بالجبر تصريحاً وتلميحاً، ويقولون بأن المسلم العاصي سيدخل الجنة رغم أنف أبي ذر أو أبي الدرداء. ولا يجوزون الخروج على الامام الفاسق لأنهم يعذرونه اذا اعتذر بأن الله قد أراد مني الفسق.

وأعتقد أنك الآن أيها الناقد قد فهمت غرض الرواة من أحاديث الجبر والقدر.

حكي[2] : أن القدرية والمعتزلة غلبا على بلدة « بخارى » في آخر أيام آل سامان. وكان الوزير يميل اليهم. وكان أهل السنة والجماعة مقهورين في أيديهم، وكان لذلك الأمير معلم سني. فقال يوماً للأمير : هؤلاء الذين يعدون أنفسهم من القدرية يعتقدون أنك لست بأمير ولا سلطان، وأولئك الأئمة الذين هم من أهل السنة والجماعة يعتقدون أنك سلطان. فقال : كيف هو ؟ فقال : أعملك غدا ان شاء الله تعالى.

فدعا أئمة أهل السنة والجماعة وأقعدهم في دار الخلافة، والأمير وراء الستر وقال لهم : ان الأمير اذا زنى وجار وشرب الخمر واتبع الغلمان، مع اعتقاده أنه حرام. هل ينعزل ؟ قالوا : لا. وعليه أن يتوب عن هذه المعاصي. ثم أذن لهم بالخروج.

ثم دعا بأئمة القدرية والمعتزلة بأجمعهم. وقال : ان واحداً من الأمراء أخذ الأموال ظلماً وزنى وشرب الخمر واتبع الغلمان غير مستحل لها. هل

(١) الاربعين في اصول الدين لشيخ الاسلام محمد بن عمر رضي الله عنه.

(٢) هذه الحكاية توضح لك سبب تمسك الحكام بمذهب اهل السنة.

ينعزل ؟ فقالوا بأجمعهم : إنه ينعزل. وشددوا في هذا الباب. فأمر بخروجهم. ثم قال للأمير : سمعت ما قالوا ؟ قال : نعم. فقال : فقد رأوك معزولاً، وأخرجوك من الامارة، فأنك تفعل بعض هذه القبائح. فما ترك منهم عيناً تطرف، الا حنفيا. وخلع على كل واحد من أئمة أهل السنة والجماعة بخلعة فاخرة[1].

---

(١) اصول الدين لابي اليسر البزدوي ــ المسألة الرابعة والستون.

خاتِمة الكِتاب

قضية هذا الكتاب ليست قضية انكار أحاديث أو اثبات أحاديث. فالأخذ بالأحاديث النبوية كلها أو عدم الأخذ بها كلها، أو أخذ البعض وترك البعض في أصول الدين وفروع الدين، هذا كله مسطور في الكتب من مئات السنين. ومن اليوم الذي سطرت فيه الأحاديث في الكتب الى هذا اليوم والعلماء يقوون أحاديث ويضعفون أحاديث. فاذا قوي عالم في زماننا هذا حديثاً ضعفه الأقدمون، أو ضعف حديثاً قواه الأقدمون. فانه مسبوق بغيره. وله أسوة بمن فعلوا من قبله كالشافعي وابن حنبل ومالك وأبي حنيفة ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ

وقد بينا : أن الأستاذ الامام محمد الغزالي السقا ــ رضي الله عنه ــ

(أ) قد ضعف بعض الأحاديث. ومنها أحاديث في البخاري ومسلم. وما ضعفه كان غيره قد سبقه الى تضعيفه.

(ب) وأنه نقد المذهب السلفي، يدرسه الأزهر للمسلمين.

فقضية هذا الكتاب : هي قضية مذهب ضد مذهب، لا قضية أشخاص ضد أشخاص.

وقد ألف الأستاذ الامام الشيخ محمد الغزالي في نقد المذهب السلفي كتبا أذكر منها :

ـــ السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ـــ وابن زفيل هو ابن قيم الجوزية ـــ

ـــ ابن تيمية ليس سلفياً.

ـــ الله وصفاته في اليهودية والنصرانية والاسلام.

وكتب المتصوفة كلها ضد المذهب السلفي. وكذلك كتب الشيعة والمعتزلة والخوارج والأشاعرة والماتريدية. ومن السلف انفسهم ظهرت كتب في نقد المذهب السلفي. منها :

دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه. لابن الجوزي.

واني اقترح على ولاة الأمور في كل بلد : أن يمنعوا كتب المذهب السلفي من الانتشار بين المسلمين وغير المسلمين، وذلك لأنها تشوش على تعاليم القرآن الكريم.

وقد بينت كما بين الشيخ محمد الغزالي كيفية رد المتشابه الى المحكم. كما بيّنت وجه الدليل كيف يكون.

* * *

ويتذرع السلفيون في ردهم على المصلحين من أئمة المسلمين بأن المصلحين أساءوا الى « ابن حنبل » ومن هو « ابن حنبل » الذي يدعي السلفيون أنهم هم الوارثون لعلمه وأدبه ؟ ابن حنبل الحقيقي أم المقلد ؟ الأصل أم النسخ الشبيهة به ؟ قولا لي أيها الناقدانْ السلفيان أنتما وارثان لمن ؟ للحقيقي أم للمزيف ؟ كثيرون قد انتحلوا اسم أحمد بن حنبل كما روى أهل الحديث عن القصاص والمذكرين في « مجد الرصافة ». والذين يسيئون اليه ان أساءوا يسيئون للمزيفين الضالين المبتدعين.

لي حيلـــة في من ينـــم ولـــيس في الكـــذاب حيلـــه
من كان يخلـــق ما يقـــول فحيلتـــــي فيـــه قليلـــــه

* * *

والأحاديث المفسرة للقرآن بسبب المقلدين لـ « ابن حنبل »، لم تسلم من الرد. ومثال ذلك :

حديث أن جبريل عليه السلام أتى الى النبي ﷺ وشق صدره، وأخرج قلبه وغسله وأنقاه من المعاصي، ثم ملأه علماً وايماناً، ووضعه في صدره. طعن « القاضي » في هذا الحديث من وجوه :

أحدها : أن الرواية تبين أن هذه الواقعة وقعت في حال صغره ــ عليه السلام ــ وهي من المعجزات، فلا يجوز أن تتقدم نبوته.

وثانيها : ان تأثير الغسل يكون في ازالة الأجسام، والمعاصي ليست بأجسام فلا يكون للغسل فيها أثر.

وثالثها : أنه لا يصح أن يملأ القلب علماً، فان الله تعالى يخلق فيه العلوم[1]. أ.هـ.

* * *

وأحاديث السنة المنشأة لم تسلم من الرد، ولم تسلم من التناقض. فحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو عن أبي حجيفة : سألت عليا ــ رضي الله عنه ــ هل عندكم شيء مما ليس في القرآن[2] ؟ فقال : « والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما عندنا الا ما في القرآن، والا فهماً يعطى الرجل في كتابه، وما في الصحيفة. قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل[3]، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر ».

---

(١) التفسير الكبير للامام فخر الدين الرازي ص ٢ ج ٣٢ طبعة دار احياء التراث العربي ببيروت.

(٢) قال الامام الشافعي : ان السنة لا تخالف القرآن ابداً [ص ١٤٦ الرسالة].

وفي حديث عمران بن حصين انه قال لرجل : اتجد في كتاب الله الظهر اربعا ؟ ثم قال له : « ان كتاب الله ابهم هذا، وان السنة تفسير ذلك » [جامع بيان العلم ٢ /٢٣٤] نقلا عن الكشف.

(٣) العقل : هو الدية. أي أن المقتول بطريق الخطأ ــ مثة ــ يدفع قاتله لأهله عدداً من الابل، أو شيئاً من الخير. وسميت الدية عقلا، لأن الابل كانت تعقل بفناء ولي القتيل.

هذا الحديث كافٍ في الردّ على السلفيين؛ فانه يبين أن النبي ﷺ ما ترك للناس أحاديث يعملون بها، وإنما ترك القرآن والصحيفة. فمن أين أتت هذه الأحاديث التي تبلغ الآلاف ؟ والسلفي الناقد يقوي هذا الحديث. وليس معناه كما فهم السلفي فان معناه موضح في حديث آخر وهو : « المسلمون يد على من سواهم، وتتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ولا يقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده » فقوله « لا يقتل مسلم بكافر » معناه : أن المسلم اذا قتل كافراً لا عهد له ولا ذمة، فان المسلم لا يقتص منه أمير المؤمنين. ولكن ان قتل كافراً له عهد وله ذمة، فان المسلم يقتص منه أمير المؤمنين لقوله في الحديث : « ولا ذو عهد في عهده » ويؤيد هذا التفسير : ما روى أهل المدينة : أن رسول الله ﷺ قتل مسلماً بكافر وقال : « أنا أحق من وفى بذمته » هذا. وقد ذكر الطحاوي في شرح معاني الآثار ٣ /١٩٢ ـــ ١٩٦ حديث علي رضي الله عنه وتأوله في ضوء اللغة والنظر، كما يقول السلفي ـــ أي أن في الحديث كلام ـــ

* * *

وفي الأحاديث التفسيرية أحاديث متعارضة. ومثالها :

هل الدية على القاتل أم على أهل القاتل ؟

روى المغيرة : أن امرأة ضربت بطن امرأة أخرى، فالقت جنيناً ميتاً، فقضى رسول الله ﷺ على عاقلة الضاربة بالغرة.

وروى أن أبا رمثة دخل على النبي ﷺ ومعه ابنه. فقال عليه الصلاة والسلام : « من هذا » ؟ فقال : ابني. قال : « انه لا يجني عليك ولا تجني عليه » ومعلوم : انه ليس المقصود منه : الأخبار عن نفس الجناية، وانما المقصود : بيان أن أثر جنايتك لا يتعدى الى ولدك، وبالعكس. وهذا يدل على أن إيجاب الدية على الجاني، أولى من ايجابها على الغير.

فهذان حديثان متعارضان : بالأول أخذ بعض الفقهاء وبالثاني أخذ « أبو بكر الأصم » وجمهور الخوارج.

* * *

وقد فسر بعض الصحابة[1] آيات من القرآن بلا أحاديث نبوية، وخالفهم في التفسير أئمة. ومثاله : أن دية المرأة ــ على مذهب أكثر الفقهاء ــ نصف دية الرجل. وقال الأصم وابن علية : ديتها مثل دية الرجل. وحجة الفقهاء : أن عليا وعمر وابن مسعود قضوا بذلك، ولأن المرأة في الميراث والشهادة على النصف من الرجل، فكذلك في الدية. وحجة « الأصم » : قوله تعالى : ﴿ **ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله** ﴾[2] فانهم ــ أي الفقهاء ــ أجمعوا على أن هذه الآية دخل فيها حكم الرجل والمرأة. فوجب أن يكون الحكم فيها ثابتاً بالسوية.

وقد بينا : أن السلفي الناقد مؤلف الكشف قد تعمد التمويه على الشيخ محمد الغزالي وعلى عائشة وعلى الصحابة والتابعين ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ لمصلحة الوضاعين[3] من أهل الحديث. فقد نقل قول الشيخ محمد الغزالي وهو : « انظر موقف عائشة ــ رضي الله عنها ــ عندما سمعت الحديث : « ان الميت يعذب ببكاء أهله عليه » لقد

---

(١) اقصد الرواة الذين نسبوا التفسير الى الصحابة.

(٢) سورة النساء الآية ٩٢.

(٣) روى الشعبي عن قرظة بن كعب، قال : خرجنا نريد العراق، فمشى معنا عمر، الى صرار. فتوضأ، فغسل اثنتين، ثم قال : اتدرون لم مشيت معكم ؟ قالوا : نعم. نحن اصحاب رسول الله ﷺ مشيت معنا. فقال : انكم تأتون أهل قرية، لهم دوي القرآن كدوي النحل، فلا تصدوهم بالحديث فتشغلوهم. جودوا القرآن، واقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وامضوا وأنا شريككم. فلما قدم قرظة. قالوا : حدثنا. قال : نهانا عمر بن الخطاب [جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٢٠].

أنكرته، وحلفت أن الرسول ما قاله، وقالت ــ بيانا لرفضها اياه ــ : أين منكم قول لله سبحانه : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ ؟ انها ترد ما يخالف القرآن بجرأة وثقة »[1].

وعقب عليه السلفي بقوله : « وعائشة لم تضع منهجاً لرد الأحاديث الصحيحة، بل هو تصرف فردي اتضح خطؤه » والسلفي قد أخطأ في قوله : وعائشة لم تضع منهجاً. وذلك لأنها وضعت منهجاً وهو رد الأحاديث الى القرآن للتمييز بين الصحيح منها والضعيف. وعبرت عن منهجها بقولها : « حسبكم كتاب الله ».

والسلفي قد أخطأ ايضاً في قوله : ان منهجها لم يتابعها عليه أحد من المحدثين والفقهاء، ولذلك اتضح خطؤه. وذلك لأن سكوت الصحابة عنها حال قولها لهم : حسبكم كتاب الله يدل على أنهم قد اقتنعوا بقولها ولانا نقلنا عن الامام الشافعي وغيره أنهم يشترطون لصحة الحديث عدم معارضته للقرآن.

والسلفي أوقع المحدثين في تهمة الكذب العمد على رسول الله ﷺ بقوله : « كلام الغزالي » واضح في التفريق بين منهج الفقهاء الأربعة وبين منهج المحدثين، والذي يعرفه الفقهاء والمحدثون : أن أصول المحدثين هي عينها أصول الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد ... الخ » ص ٨٧.

والشيخ محمد الغزالي فرق بين المحدثين والفقهاء ليبعد عن المحدثين تهمة الكذب العمد. وذلك لأنه لما ظهر التناقض في مروياتهم قالوا : روينا والعهدة على الراوي، فلسنا فقهاء، وإنما نحن كما يقول عنا الناس : « زوامل » وجاء الفقهاء فبنوا فقههم على ما رووا. وقالوا : العهدة على الراوي. وهذا واضح في مذهب الامام أحمد بن حنبل السلفي، فانه جعل الأحاديث الضعيفة من أصول مذهبه الفقهي. وقال : العهدة على الراوي.

(١) السنة النبوية ص ١٥ ــ ١٦ نقلا عن كشف موقف الغزالي ص ٨٥.

وهذا هو السبب الرئيسي في دفاع السلفيين عن الأحاديث الضعيفة.

وقد بينا نحن : أن المحدثين القدامى فقهاء، وكانوا على بصيرة من أمرهم. والله تعالى يقول :

﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم إذاً مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴾[1].

* * *

(١) سورة النساء الآية ١٤٠.

فهرست الكتاب